قسم اللغة العبرية

الفــرق والطــوائف

اليهوديــــــــة

الفصل السادس

المذاهب والفرق

يعتبر ما ذكرناه حتى الآن هو خلاصة الفكر الدينى عند السواد الأعظم من اليهود، وهم اليهود الربيون أو الربانيون، نسبة إلى «رب» التى تعنى فى اللغة العبرية «الكبير» أو «الرئيس». والمقصود بذلك أنهم اليهود الذين أبقوا باب المقدسات مفتوحا على مصراعيه بعد وفاة موسى بل بعد السبي البابلى، بحيث دخلت منه المرويات الشفوية، والاجتهادات. والفتاوى، وغيرها من النصوص الدينية المحتواة فى المشنا والتلمود والمدراش، والمروية عن هؤلاء «الكبار» أو «الرؤساء» أو «الأحبار»، من طبقات «السوفريم» أى الكتبة، و«التنائيم» أى رواة المشنا، و«الأمورائيم» أى أحبار التلمود، و«الدرشانيم» أى المفسرين للكتاب المقدس أصحاب المدراش الذى هو التفسير، «الجأونيم» أى الفقهاء العظام الذين ظهر الاسلام أثناء وجودهم، و«الموسيفيم» أى أصحاب الحواشى والتعليقات والفتاوى، الذين استمروا على طول العصور الوسطى حتى العصر الحديث.

وجمهور اليهود هذا ينقسم إلى طائفتين كبيرتين جداً:

(أ) الاشكناز:

وهم اليهود الذين استقروا فى شمال أوروبا وشرقها. وكلمة إشكناز

كانت تدل فى الفكر اليهودى فى العصور الوسطى على الأراضى الاوروبية التى يسكنها الجنس الجرمانى ، ثم أصبحت تعنى « ألمانيا » باختصار . ومع ذلك فإن جزءا كبيرا من اليهود الإشكناز سكنوا ، لا فى ألمانيا ، ولكن فى شمال فرنسا وشرقها ، وفى ألمانيا بطبيعة الحال ، والنمسا وبولونيا وسائر دول أوروبا الشرقية ، وكذلك فى الاتحاد السوفيتى . وكان هؤلاء اليهود الإشكناز قد فقدوا القدرة على استعمال اللغة العبرية نهائيا ، وحلت محلها فى مجتمعاتهم رطانة خاصة بحارات اليهود فقط فى تلك الأقاليم ، أساسها لهجة ألمانية قديمة محرفة مكسرة امتزجت بألفاظ وعبارات كثيرة من اللغات السلافية وببعض الكلمات العبرية الشديدة التحريف ، المستقاة من المصطلح الدينى والأخلاقى والاجتماعى عند اليهود . فلما عاد هؤلاء الإشكناز إلى الاهتمام باللغة العبرية ، كانت لهم فيها لهجه خاصة محرفة أيضا خارجة على القواعد التى أقرها القدامى من العلماء . وهم فى صلواتهم ينطقون بالعبرية هذا النطق المميز لهم ، كما أنهم يختلفون اختلافا طفيفا عن غيرهم من حيث بعض النصوص التى توجد فى كتاب صلواتهم ولا توجد عند الآخرين ، أو العكس . كما أنهم يختلفون أيضا فى بعض طقوس الأعياد وبعض التقاليد فى المأكل والمشرب والملبس والمسكن ، بفعل المناخ البارد الذى عاشوا فيه قرونا طويلة ، وبتأثير الأمم التى جاوروها أيضا . ومن الجدير بالذكر الاشارة إلى أن الإشكناز هم أقطاب الصهيونية الحديثة .

(ب) السفرد :

وهؤلاء هم اليهود الذين استقروا فى حوض البحر الأبيض المتوسط . وكلمة « سفرد » كانت تدل فى الفكر اليهودى فى العصور الوسطى على شبه جزيرة إيبيريا ، التى تضم إسبانيا والبرتغال . ثم أصبحت تعنى « إسبانيا » باختصار . وهؤلاء اليهود ، كانوا أيضا قد فقدوا اللغة العبرية بعد « الدياسبورا » ، أى التشتيت الذى أوقعه بهم الرومان على يد تيتوس سنة ٧٠ ميلادية ، وهدريان سنة ١٣٥ ميلادية ، وأصبحوا يتكلمون لهجة إسبانية قديمة ركيكة مكسرة محرفة ، كانت تسمى « لادينو » أى « لاتينى » . لاعتمادها على أصول لاتينية إسبانية عامية ممزوجة ببعض المصطلحات الدينية العبرية . إلا أن هؤلاء السفرد كانوا من الناحية اللغوية أسعد حظا من الإشكناز ، فعندما ظهر الإسلام ، ودخل العرب الأندلس بقيادة طارق بن زياد ، منح اليهود حرية دينية وثقافية واجتماعية لم يعرفوها فى أى عهد من عهودهم ، ولا نكون مبالغين إذا قلنا إن اليهودى البسيط لم يعرف هذا الأمن ولا هذه الكرامة حتى فى فلسطين تحت حكم سيدنا سليمان ، إذ من الثابت تاريخيا أن رعية سليمان تمردت عليه أكثر من مرة بسبب ثقل الضرائب ونقص الحريات .

وفى إسبانيا الإسلامية ازدهرت اللغة العبرية مع ازدهار اللغة العربية، وكثرت المدارس والجامعات والمعاهد والمعابد اليهودية فى قرطبة وأليسنة (لوسينا) وطليطلة وأشبيلية وسرقسطة وتطيلة وبرشلونة وغيرها . وانبثقت حركة أدبية قوية باللغة العبرية اقترنت بعناية فائقة بضبط اللغة وتقييد ألفاظها وقواعدها ، بحيث أصبح استعمال السفرد لهذه اللغة هو أنقى وأفصح صورها المعروفة وقد ازدادت فصاحة بمجاورتها للغة العربية التى تعد أرقى لغات المجموعة

السامية كلها . وتأثر اليهود السفرد فى عبـــاداتهم وتلاوتهم وترتيلهم وإنشادهم بالذوق العربى فى الأذكار والأناشيد والموسيقى ، كما انفردوا بنصوص شعرية ونثرية فى أدعيتهم وصلواتهم قريبة الشبه بما يماثلها عند المسلمين . وقد ترتب على ذلك أن دولة إسرائيل عنــدما قامت على أكتاف الإشكناز وجدت نفسها ، بالرغم من كل شىء ، مضطرة إلى اعتبـــار عبرية السفرد هى اللغة الرسمية للمسرح والاذاعة والتعليم فى الجامعات والمدارس . بل إن المؤلفين فى الادب العبرى الحديث ، أو فى الدراسات اللغوية ، حتى ولو كانوا من الإشكناز ، قد اضطروا إلى الخضوع المطلق للسان السفرد .

وما دمنا بصدد الحديث عن الطائفية اللغوية بين اليهود الربانيين ، فإنه ينبغى أن ننبه إلى أنه بعد خروج العرب من الأندلس ، وتضييق محاكم التفتيش الكاثوليكية بعد ذلك على بقـــايا المسلمين واليهود فى إسبانيا ، هاجر عدد كبير من هؤلاء السفرد إلى فرنسا وايطاليا واليونان وتركيا ، فضلا عن استقر منهم فى العـــالم العربى ، كما ذهبت أعداد كبيرة منهم أيضا إلى انجلترا وأقام بعضهم كذلك فى هولندا .

ويهود العالم العربى هم بطبيعة الحال من السفرد . إلا أن فروقا محلية فى النطق أصبحت تميز اليهودى العراقى من اليهودى اليمنى أو المغربى أو المصرى . ويهود إيران هم كذلك من السفرد ، منذ استقرار العرب واللغة العربية فى تلك البلاد على عهـد عمر بن الخطاب ، وإن كانت لهجتهم متأثرة أيضا بنطق اللغة الفارسية .

إلى جانب هذه اليهودية العامة التى تتبعها الكثرة الغالبة من أهل هذه

الملة ، وجدت فرق ومذاهب أخرى كثيرة تنبثق من التطور المستمر فى الفكر الدينى الإسرائيلى ثم تعيش مدة تطول أو تقصر بحسب الأحوال والملابسات ، بحيث اندثر أكثرها وبقى بعضها قائما حتى الآن . وأهم هذه الفرق وأشهرها هى التى سنتحدث عنها بإيجاز الآن .

١ - السامريون

هذه الفرقة الصغيرة الفقيرة التى لا يزيد أبناؤها على وجه هذه الأرض عن بعض مئات من الأنفس ، تعيش بجوار مدينة نابلس العربية بفلسطين تثير خلافا وجدلا شديدا حول أصلها وتاريخها . والذى زاد من حدة هذا الجدل هو أن هؤلاء السامريين بحكم طبيعة دينهم ليسو صهيونيين ، ولا يمكن أن يكونوا كذلك ، لسبب بسيط جدا هو أن جبل صهيون اكتسب قدسيته من كونه القلعة التى اختارها داود للدفاع عن مملكته ، والقصة التى جعلها سليمان امتدادا ومقدمة لقصبة ملكه فى أورشليم ، وهؤلاء السامرة يكفرون بداود وسليمان . وبناء على ذلك فإن جبل صهيون بالنسبة لهم يمثل قاعدة الكفر ، والصهيونية تمثل محاولة خطيرة لتجديد هذا الكفر وتقويته وبسط سيادته على كل صور الفكر الإسرائيلى.

وهم ينتسبون إلى مدينة السامرة القديمة التى يعيشون حولها ، والتى قامت على أنقاضها مدينة نابلس . وكانت السامرة عاصمة مملكة إسرائيل المنشقة على عرش سليمان بعد وفاته . ونابلس أو السامرة هى التى كانت تسمى قبل أن تطرق اقدام العبريين أو اليهود فلسطين مدينة « شكيم » ويشرف عليها جبل مقدس اسمه جبل « جرزيم » . وتقول التوراة إن يعقوب ، الجد الأول للعبريين ، قد بنى معبده المكرس للرب فى هذا

المكان وسماه « بيت إل » أى بيت الله . وهكذا يزعم السامريون أنهم البقية الباقية على الدين الصحيح . وأن موسى كان يجعل قبلته نحو « بيت إل » . أما داود وسليمان فقد غيرا من شكل المجتمع الدينى بحسب هواهما، حتى تحول إلى مملكة تشبه مملكة فرعون أو بختنصر ، وأنهما غيرا القبلة القديمة ، كما غير الأنبياء الذين ظهروا بعد موسى شكل الدين وشوهوه وحرفوه ولذلك فإن عقيدة السامريين تتلخص فى النقط الآتية [١] :

(ا) الإيمان بإله واحد ، وبأن هذا الإله روحانى بحت .
(ب) الإيمان بأن موسى رسول الله ، وأنه خاتم رسله ،
(ج) الإيمان بتوراة موسى وتقديسها وبأنها كلام الله .
(د) الإيمان جبل جرزيم المجاور لنابلس هو المكان المقدس الحقيق وهو القبلة الحقيقية الوحيدة لبنى إسرائيل .

وقد ترتب على أركان الايمان هذه أنهم لايؤمنون كما قلنا بنبوة الأنبياء الذين جاءت أسفارهم بعد توراة موسى فى العهد القديم . ويعتبرون كل هذه النصوص من صنع البشر وأنها من عمل قوم ضالين مضللين ، ولا يستثنون من ذلك إلا يوشع بن نون الذى يأتى سفره بعد توراة موسى مباشرة ، لأن التوراة نفسها تشير إلى أن يوشع كان صاحب موسى وخادمه ، وأن موسى عهد إليه بالخلافة من بعده ، وأنه هو الذى عبر الأردن بأول موجة من بنى إسرائيل تدخل فلسطين . وبطبيعة الحال هم يرفضون بقية النصوص المقدسة اليهودية ، كالمشنا

---

(١) السامريون : تأليف الأب مرمورة ، طبع نابلس .
J, Rosenerg; Lehrbuch der Samaritanischen Sprache und Literatur; Hartleben, Leipzig-Pest-Wien; p 4-5

والتلمود والمدراش ونحوها ، يعتبرونها من الأعماق البعدة فى الكفر .

والنص المقدس الذى يتعبدون به هو توراة موسى ويضاف إليها أحيانا سفر يوشع بن نون ، وبذلك يتألف كتابهم المقدس من ستة أسفار فقط . وهم لايستعملون النسخة الموجودة من ذلك عند باقى اليهود بل لهم نسخة برواية خاصة تختلف اختلافا محسوسا عن التوراة الشائعة ، كما أن لهم لهجة عبرية ، وكتابة خطية ، مختلفة يزعمون أنهما جاءتا إليهم صحيحتين دقيقتين من عهد موسى .

أما المعتدلون من اليهود الربانيين فإنهم يقولون إن أصل هؤلاء السامريين يرجع إلى من بقى من اليهود الجهلة الضعفاء فى فلسطين بعد السبى البابلى[١] . ويبالغ غيرهم فيقول إن منشأ السامريين واضح مشروح فى سفر الملوك الثانى الإصحاح السابع عشر إذ يقول : « وجرى بنو إسرائيل على جميع خطايا يربعام التى صنعها ولم يحولوا عنها . حتى نفى الرب إسرائيل من وجهه ، كما قال الرب على ألسنة جميع عبيده الأنبياء: وجلا إسرائيل عن أرضهم إلى أشور إلى هذا اليوم . وأتى ملك آشور بقوم من بابل وكوت وعوا وحماة وسفروايم ، وأسكنهم فى مدن السامرة مكان بنى إسرائيل ، فامتلكوا السامرة واستوطنوا مدنها » . والذين يعتمدون على هذا النص من اليهود يريدون أن يستشهدوا به على أن هؤلاء السامريين لا يمتون إلى العبريين ، ولا إلى موسى أو يعقوب بصلة . فهم جماعة من أخلاط الناس ، ومن « الجوييم » المتعاونين مع أعداء اليهود ، إذ أحضرهم الأشوريون إلى هذا المكان وأحلوهم محل بنى إسرائيل

---

(١) دائرة المعارف العبرية التى سبقت الاشارة اليها — المجلد العاشر ، المقال الخاص بالسامرة .

تنفيذ للعنة إلهية حلت على بنى إسرائيل لاجرامهم وإغضابهم الرب . والذين يقولون بذلك لا يسمون السامريين بهذا الاسم بل يسمونهم « الكوتيين » ، اى الذين جاءوا مع الاشوريين من « كوت » المذكورة بعد بابل فى الآيات السابقة .

فإذا استمر القارىء بعد ذلك فى سياق هذه الحكاية فى هذا الإصحاح فإنه يجد فيه قوله : « وكان فى مبدأ إقامتهم هناك أنهم لم يتقوا الرب ، فبعث الرب عليهم أسوداً تقتلهم لأنهم لا يعرفون حكم إله الارض . فأمر ملك آشور وقال ابعثوا إليهم واحدا من الكهنة الذين جلوتهم من هناك فيذهب ويقيم هناك ، ويعلمهم حكم إله الارض . فأتى واحد من الكهنة الذين جلاهم من السامرة وأقام فى « بيت إل » وأخذ يعلمهم كيف يتقون الرب . وأخذت كل أمة تعمل آلهتها وتضعها فى بيوت المشارف التى عملها السامريون ، كل أمة فى مدنها التى سكنتها » ويتأكد عن طريق هذا النص أن السامريين الذين كانوا أخلاطا من الامم الاخرى لم ينفعهم تعليم الكاهن الذى أرسل إليهم فقد انزلقوا إلى عبادة الأصنام . وتتأكد هذه الحملة ضد السامريين وتزداد وضوحا عندما يذكر النص أسماء الاصنام التى صنعتها كل جماعة من السامريين فيقول : « فعمل أهل بابل سُكوت بَنُوت وأهل كوت عملوا نرجال ، وأهل حماة عملوا أشيما ، والعوّيون عملوا نِبْحاز وترتاق ، والسفروائيميون كانوا يحرقون أولادهم بالنار لأدْرَمَّلك وعنَمّلك إلهيْ سفروائيم . فكانوا يتقون الرب ويقيمون له من قومهم كهنة مشارف يقربون لهم فى بيوت المشارف . وكانوا يتقون الرب ويعبدون

آلهتهم كعادة الأمم الذين جلوهم من بينهم . وهم إلى هذا اليوم يعملون كعاداتهم الاولى : لايتقون الرب ، ولا يعملون بحسب سننهم وعوائدهم ، ولا بحسب الشريعة والوصية التى أمـــر الرب بها بنى يعقوب الذى سماه إسرائيل .

وخلاصة القول أن كثيرا من اليهود ينفون عن السامريين الانتساب إلى إسرائيل أو الإيمان بإله إسرائيل . وقد وصل ذلك إلى حد أن أحبار اليهود كانوا اعتمادا على النص السابق يسمونهم «جيران السباع»[1].

أما السامريون أنفسهم فانهم ينتسبون إلى هـــارون أخى موسى وينتخبون كاهنا أعظم يسمونه « الكاهن اللاوى » أى المنحدر من سبط لاوى أو ليفى الذى انحدر منه موسى وهارون ، وكثيرا مايكتفون فى تسميته بلقب « الحبر الكبير » .

ونظرا للعزلة التى عاشوا فيها فقد انتشر فيهم الجهل بحيث قل عدد من يعرفون القراءة والكتابة بينهم ، وأكثرهم الآن يحفظون صلواتهم بعبريتهم بدون فهم لأنهم يتخاطبون فى الأغلب باللغة العربية .

وكان آخر كهنتهم الذين يدعون الانتساب إلى هـــارون يعيش فى أوائل القرن السابع عشر الميلادى ، وبعد وفاته عام ١٦٢٣ أصبح كهنتهم حتى الآن ينتسبون إلى فرع من اللاويين اسمهم بنو « عزيئيل بن لهات » ، وهم يعظمون كاهنهم تعظيما كبيرا .

---

(١) دائرة المعارف العبرية .

والسامريون - كاليهود الربانيين - يؤمنون بيوم القيامة ، ويسمونه يوم البعث ، أو يوم الموقف العظيم . كما يؤمنون بمجىء المسيح المخلص.

وكما تسمى هذه الطائفة نفسها « السامرة » ، تتخذ لنفسها أسماء أخرى أشهرها « بنو إسرائيل » ، وكذلك « بنو يوسف » .

٢ – الفريزيون

وهم طائفة علماء الشريعة من الربانيين قديما ، وكانت لهم الكلمة العليا فى توجيه المجتمع اليهودى على عهد المسيح ، كما كانوا من أشد خصوم المسيح خطرا عليه ، لتبحرهم فى العلم ، وزعامتهم بين الناس ومنزلتهم عند الولاة الرومان التى اكتسبوها من تعاونهم مع الظلم والطغيان والاستعمار ، ربما لتحقيق مخطط أزلى مرسوم لتدعيم الكيان اليهودى ، مهما كانت وسائل ذلك منافية للدين الأخلاق .

وبعض الذين ترجموا الإنجيل ، أو الذين يكتبون عن علاقة المسيحية باليهودية يسمون هذه الجماعة « الفريسين » ولسمهم بالعبرية « فروشيم » يعنى « المفروزين » أى الذين امتازوا عن الجمهور ، وعزلوا عنه ، وأصبحوا لعلمهم وورعهم واتصالهم بأسرار الشريعة من الصفوة المختارة. فالعامة من اليهود الربانيين كانوا يوصفون على ألسنة زعمائهم الروحيين بالصفة العبرية « عام ها آرص » أى عوام الارض ، وهى صفة ذم ، تتضمن الجهل والبهيمية ، والحاجة المستمرة إلى رقابة المتشددين والمتزمتين من رجال الدين وهم « الفريزيون » .

وكانوا يلقبون أنفسهم فيما بينهم بلقب « حسيديم » أى الأتقياء ،

وكذلك « حبيريم » أى الرفاق والزملاء ، ولعلها أصل استعمال العرب لكلمة « الاحبار » أى علماء اليهود ، ومفردها فى اللغة العربية « حَبْر » بفتح الحاء .

ونحن نرى من ذلك أنهم لم يكونوا « طائفة» أو فرقة دينية منفصلة ، بل كما يقول الباحث الفرنسى شارل جنيبير متفقا فى ذلك مع الاب لاجرانج (١) إنهم جمعية تدعى لنفسها معرفة أدق من أى إنسان آخر بشريعة الله فى نصوصها المقدسة ومأثوراتها . وهى بهذه الصفة تنظم نفسها بما يتفق مع تطبيق فى منتهى الدقة للأحكام الشرعية يسمح لها بأن تفرض كلمتها فى ذلك على الآخرين .

والفريزيون بمسلكهم هذا يعتبرون الشريعة اليهودية المنبع الذى لاينضب للسعادة فى الدنيا والآخرة ، ويقولون أن التوراة هى التعبير الكامل عما كان يمكن للانسان أن يختاره لنفسه لو أنه أوتى علما كاملا . أما نظرتهم إلى مايكمل - فى رأيهم - التوراة من شرائع وحكايات وأساطير وأمثال فى المشنا والتلمود والمدراش بكل ماتحتوى من «هلاخا» ، أى تشريع ، و« هجادا » أى قصص ، فنظرة خاصة يعتبرون بها كل ذلك مندمج اندماجا عضويا فى التوراة ، بحيث لايمكن الايمان بهذه التوراة مع الشك فى مكملاتها السالفة الذكر .

وتاريخ الفريزيين فى شكله الذى نعرفه من المراجع الاوروبية يميل إلى كثير من التنديد بهؤلاء الناس ، والتشنيع عليهم ، بسبب الأوصاف

---

(١) Ch Guignebert; Le Monde Juif au Temps Jésus ; Paris 1935 - p. 213.

Le p. M. -J. Lagrange; Le Judaïsme avent Jésus - Christ; Paris 1931, p. 267 ss.

التى وصفوا بها فى الإنجيل، نتيجة لما أشرنا إليه من مناهضتهم للمسيح ووقوفهم فى وجهه بصلابة وعناد . لقد وصفوا بأنهم متزمتون عن جهل وتنطع فى الدين ، وبأنهم يغرقون من النصوص فى تفاصيل تافهة ، ويخرجون منها بنتائج جافة وتافهة أيضا ، وبأنهم حرفيون شكليون ، وبأنهم جدليون كذابون منافقون ، وبأنهم يمثلون انحطاطا بالنسبة لأسلافهم ، ومسخا وتشويها لما كان لهؤلاء الأسلاف من فضائل .

ومثل هذا الصراع يكاد يكون ظاهرة شائعة فى التطور التاريخى لمعظم الأديان . فبمجرد ظهور نزعة ترتكز على الروحانية ، وتعنى بجوهر الدعوة دون شكلها وتتصل وجدانيا بالله غير حافلة تماما بما يقوله الكهنة وما يأمرون به من شعائر وطقوس ، يبدأ أولئك الكهنة بالتصدى الدعاه الروحيين الجدد ، وهكذا ينشب الصراع بكل حدته وحرارته بين المعسكر الدينى التقليدى المحافظ ممثلا فى الفقهاء والكهنة ورجال الشريعة ، والمعسكر الوجدانى الروحانى الثائر ممثلا فى الزهاد والنساك والقديسين والمتصوفين . ونحن نعرف أن الفقهاء من رجال الشريعة الإسلامية حكموا على متصوفين من أمثال الحلاج بالكفر والإعدام فى جولة من الصراع بين الفقه والتصوف ، كما نعلم أن الكنيسة المسيحية الكاثوليكية قد حكمت على قديسة مثل جان دارك بالكفر والاعدام عندما نشب مثل هذا الصراع ، ومن ورائه صراع سياسى هو ليس عنه بغريب ، كان موجودا أيضا فى الأعماق لما الخلفية لما وقع للحلاج من فقهاء المسلمين وما وقع للمسيح من الفريزيين . ومهما يكن من شىء فنحن لا نريد هنا أن ندافع عن الفريزيين بقدر ما نريد أن نشير إلى ضرورة التدقيق فيما يقع تحت أيدينا عنهم من أخبار ومعلومات .

وهناك ملاحظة قيمة يلاحظها شارل جنيبير[1] عندما يقول إن الفريزيين الذين آمنوا بالتوراة ثم بكل الأنبياء الذين جاءوا بعد موسى ، وبجميع الأسفار اليهودية المقدسة ثم بالمشنا والتلمود والمدراش ، كانوا عن غير عمد وربما عن غير معرفة أيضا يؤكدون بمسلكهم هذا يقينا عفويا عميقا بضرورة الاستمرار مع التطور ، إذ بذلك ، وبذلك فقط تستطيع الأديان أن تعيش وأن تستمر .

لكن يبدو من جهة أخرى أن هذه التطورية التي يؤمن بها الفريزيون كانت في حسبانهم أيضا محدودة بسياج من التقاليد والمقدسات التي لا يسمحون باقتحامها لأحد ، حتى ولو كان السيد المسيح نفسه . فمن مظاهر تطور الفكر الديني عندهم بروز فكرة الايمان بالله مع الاعتقاد الواضح في وجود الشيطان ، وهي عقيدة لم يكن العبريون القدماء قد أدخلوها في نصوص التوراة . وتبعا لذلك توسع الفريزيون في الكلام عن الملائكة على أنهم المؤتمرون بأمر الله القائمون في خدمته ، كما توسعوا في الكلام عن الأبالسة والجن والعفاريت على أنهم المؤتمرون بأمر الشيطان القائمون في خدمته . وكان هذا أمراً جديدا يضاف إلى الوضوح والبروز في الاعتقاد في مجيء المسيح وإقامته مملكة الله على الأرض ، وفي اليوم الآخر .

وبحكم القيادة الدينية التي حرص الفريزيون على أن تبقى في أيديهم ، فإنهم تعرضوا لكثير من المواقف التي اختلفت فيها تصرفاتهم بحسب الظروف . فهم مثلا كانوا دائما حريصين على غرس بذور الصهيونية في نفوس عوام الأرض ، وتوجيههم إلى احتقار الأمم والأجناس والأديان

---

(١) المرجع السابق ، نفس الموضع .

الأخرى ، وحضهم ، جهارا أحيانا وسرا أحيانا ، على رفض أية حكومة أجنبية غير يهودية تهيمن عليهم ، ومن هنا كانوا دائما وراء القلاقل والاضطرابات والثورات وأعمال التخريب والمؤامرات التى ظل اليهود يقومون بها فى منطقة الشرق الأوسط - وكانوا إذ ذاك قلة قليلة جدا وسط ملايين كثيرة من السكان الآخرين ، فى كل هذه المنطقة بما فيها فلسطين - طوال العهدين اليونانى والرومانى حتى انتهت بتشريدهم نهائيا على يد تيتوس ثم هدريان كما قلنا .

فالفريزيون بتعصبهم وتشددهم مسئولون عن « الدياسبورا » ، وهى التشريد الرومانى لليهود الذى استمر إلى ما بعد وعد بلفور ، وهم أيضا مسئولون أيضا أمام الرأى العام العالمى عن كل التفاسير التى وجهوا بها النصوص المقدسة وجهة الصهيونية السياسية ، ولعلهم فى ذلك لم يكونوا أقل خطراً على الإنسانية من تآمرهم لصلب المسيح عليه السلام . وهذه المسئولية القيادية التى آلت إلى الفريزيين فوضعتهم فى مواقف معينة فى قمة البسالة والشجاعة هى أيضا التى أعطيتهم القدرة على المناورة ، وتخطيط المكايد ، وإظهار ما يخالف الباطن فى انتظار الفرصة السانحة للانقضاض. ومن هنا جاء حكم الانجيل عليهم بالتزمت الأحمق ، والتناقض فى الأقوال والأفعال ، والتآمر والنفاق .

٣ - الصدوقيون

إذا كان الفريزيون قد استمروا إلى يومنا هذا تحت أسماء أخرى هى التى تميز الجماعات والأحزاب الدينية الصهيونية فى إسرائيل وباقى أنحاء العالم ؛ فإن هناك فرقة دينية يهودية عاصرت الفريزيين ، بل ربما كانت

أقدم منهم ، ولكنها لم تساير تطور الفكر الدينى اليهودى حتى النهاية فانطفأت مع الزمن ، هذه الفرقة هى فرقة الصدوقيين .

وبالرغم من شهرة هذه الفرقة فإن أمرها لايخلو من غموض ، حتى فى أصل اسمها . فالروايات الفريزية القديمة تقول إن «انتيجنوس السوخى» الذى كان من كبار كهنة الهيكل الثانى ، وعاش حوالى سنة ٣٠٠ ق م . كان له تلميذان أحدهما اسمه «صدوق» والآخر اسمه «بيتوس» ، وإلى الأول منهما تنسب هذه الفرقة ، ولما كان قد ورد ذكر «البيتدسيين» فى بعض النصوص القديمة أيضا ، فقد جرى اليهــود على اعتبار أن الصدوقيين والبيتوسيين فرقة واحدة لها اسمان مختلفان ، وإن كان بعضهم قد تلمس فرقا جعله يعتقد - وسط هذا الغموض - أنهما فرقتــان مختلفتان[1] . والصدوقيون أنفسهم لم يكونوا يوافقون على ذلك ، فهم يدعون أنهم ينتسبون إلى «صدوق» أقدم من هذا بكثير هو - فيما يقال - الكاهن الأعظم لداود ، الذى تولى أخذ البيعة لابنــه سليمان ، وتنصيبه على العرش ، فعينه سليمان كاهنا أعظم لهيكله . جاء فى سفر الملوك الأول : ١/٣٢ - ٣٥ : «وقال الملك داود على بصدوق الكاهن وناتان النبى وبنايا بن يوياداع ، فدخلوا بين يدى الملك . فقــال لهم الملك خذوا معكم عبيد سيدكم ، وأركبوا سليمان ابنى على بغلتى وانزلوا به إلى جيحون . وليمسحه هناك صدوق الكاهن وناتان النبى ملكا على إسرائيل ، واهتفوا بالبوق وقولوا : ليحى الملك سليمان . واصعدوا

---

(١) جريتس ، حنبير ، لاجرانج ، دائرة المعارف العبرية

وراءه فيجىء ويجلس على عرشى ، وهو يملك مكانى ، فإنه هو الذى أوصيت أن يكون قائدا على إسرائيل ويهوذا » . ويقول فى الإصحاح الثانى ، آية ٣٥ : « وأقام الملك بنايا بن يوياداع مكانه على الجيش ، وأقام صدوق الكاهن مكان أبيثار » . ويبدو أن الأيام دارت ، وأحفاد صدوق هذا يرثون الكهانة عن جدهم ، ففى حزقيال ٤٠/٤٦ نقرأ : «والغرف التى تتجه نحو طريق الشمال هى للكهنة المتولين حراسة المذبح، وهم بنو صدوق المقربون إلى الرب ، من بين أبناء لاوى ليخدموه » . ويقول الفرنسى جنيبير[1] ، إن إنتساب الصدوقيين الأول إلى الكاهن الأكبر لسليمان صدوق يبدو مستبعدا ، إذ لو كانت هناك أدنى مناسبة لحرص أبناء هذه الطائفة ، لا على تسمية أنفسهم الصدوقيين ، ولكن (بنى صدوق) على نحو ما جاء فى آية حزقيال مثلا .

وإزاء هذا الغموض قال بعضهم إن الصدوقيين الذين يسمون بالعبرية (صدوقيم) ربما كانوا يسمون فى الأصل (صديقيم) أى الصديقون بمعنى العادلين والأبرار ، ثم غيروها من الياء إلى الواو تواضعا ، بحيث يصبح معناها (أهل العدل) أو نحو ذلك[2] : المسألة ما تزال مفتقرة إلى وثائق حتى يتم شرحها بشكل حاسم ، خصوصا أن الصدوقيين ، لعداوتهم العقائدية المرة للفريزيين والمسيحيين ، قد نعتـــوا بأوصاف كثيرة تحول دون الرؤية الواضحة فى هذه التسمية ، لدرجة أن التلمود لم يقنع بوصفهم بأقبح الصفات ، بل أضرب عن تسميتهم بالصدوقيين

---

(١) دائرة المعارف العبرية ، فى مادة «صدوقيم» ، المجلد التاسع .

(٢) كتابه السابق ذكره ، ص ٢١٠ وما بعدها .

وسماهم (الابيقوريين) ، لأن مفهوم هذه الصفة عند اليهود التلموديين ينطبق على من يصاب بالشك فى الحقائق ، وعدم تصـــديق الروايات الشفوية ؛ مع الانفكاك من قيود الدين والأخلاق . ومهما يكن من شىء فهذه الطائفة تمتاز بما يلى :

(أ) أنها لا تؤمن بقيامه الاموات من القبور .

(ب) ولا تؤمن بالحياة الابدية للبشر بأفرادهم وأشخاصهم كما كانوا فى الدنيا .

(ﺟ) وترفض بالتالى الثواب والعقاب فى الآخرة .

(د) تنكر وجود الملائكة والشياطين .

(ﻫ) تنكر القضاء والقدر وما كتب للإنسان أو عليه فى اللوح المحفوظ.

(و) تقول تبعا لذلك بأن الإنسان خالق أفعال نفسه ، حر التصرف وبذلك فهو مسئول .

(ز) تؤمن بقدسية العهد القديم ولا تؤمن بالتلمود ونحوه .

كانت هذه الفرقة تشبه فرقة المعتزلة المسلمين من وجوه كثيرة كما رأينا ، وكانت تشبههم أيضا فى أنها عقيدة الخاصة والمثقفين والطبقة الارستقراطية . ولذلك فإنهم على الرغم من عدم وضوح فكرة المسيح المنتظر فى عقائدهم ، ربما كانوا يؤمنون بها من خلال تأويلهم لنصوص معينة معروفه من العهد القديم ، وبخاصة سفر إشعيا . ولكنهم لم يبرزوا هذه الفكرة ، ولم يلحوا عليها ، لما رأوه من تحولها إلى نوع من الدروشة والتهريج الدينى بين الجهلة والعوام . ولعل ذلك هو الذى حدد موقفهم العدائى المعروف من المسيح ، فاشتركوا مع الفريزيين فى مقاومته ومعاداته.

وسنرى فيما بعد كيف أثر الفكر الديني الصدوقي على طوائف أخرى متأخرة من أشهرها طائفة اليهود القرائين .

٤ ـ القنـاءون

وهم في الواقع ليسوا فرقة بمفهوم هذه الكلمة في تاريخ الأديان ، وإنما هم شعبة من الفريزيين يمتازون بالتطرف الشديد ، والعنف ، بحيث يمكن وصفهم بأنهم سياسيا ودينيا «غلاة» اليهود . وكلمة «قنّاء» التي يتسمى بها كل فرد من هذه الجماعة الدينية معناها في استعمال العبريين « الغيور » أو « صاحب الحية » . وهي الكلمة التي وصف الله بها نفسه في الوصايا العشر عند النهي عن اتخاذ آلهة أخرى . وكان الاستعمال القديم لهذه المادة في اللغة العبرية قد اصطبغ بمعنى الجهاد في سبيل الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقوة وجرأة ، وأن يقف المرء في المجتمع مناضلا لاتأخذه في الله لومة لائم . فعندما ذهب النبي إيلياهو الذي أجملنا أهم أخباره فيما سبق من هذا الكتاب إلى جبل الله حوريب ، حيث كان الله قد كلم موسى تكليما ، دخل إلياهو المغارة وبات فيها . « وكان كلام الرب إليه ، يقول : مالك ها هنا يا إلياهو ؟ فقال : قد غرتُ غيرة للرب إله الجنود ، لأن بني إسرائيل قد تركوا عهدك ، ونقضوا مذابحك ، وقتلوا أنبياءك بالسيف ... » فهذه الغيرة للرب يعبر عنها في العبرية بمشتقات من نفس مادة « قنّاء » .

ويقول المفسرون اليهود أصحاب المدراش إن من أشهر القنائين القدماء الذين أخذتهم الغيرة لله ، من عهد موسى ، فنحاس بن إلعازار بن هارون الكاهن ، الذي أثر عنه في سفر العدد هذا الخبر (عدد ٢٥/٦-١٣) :

وإذا رجل من بنى إسرائيل قد جاء وقدّم إلى إخوانه (زوجته) المديانية أمام عينى موسى ، وأعين كل جماعة بنى إسرائيل ، وهم باكون لدى باب خيمة الاجتماع . فلما رأى ذلك فنحاس بن إلعازار بن هارون الكاهن قام من وسط الجماعة وأخذ رمحا بيده ودخل وراء الرجل الإسرائيلى إلى القبة ، وطعن الرجل الإسرائيلى كما طعن المرأة فى بطنها كليهما ، فامتنع الوباء عن بنى إسرائيل . وكان الذين ماتوا بالوباء أربعة وعشرين ألفا فكلم الرب موسى قائلا : « فنحاس بن إلعازار بن هارون الكاهن قد رد سخطى عن بنى إسرائيل ، بكونه غار غيرتى فى وسطهم ، حتى لا أفنى بنى إسرائيل بغيرتى . لذلك قل إنى أعطيه ميثاق ، ميثاق السلام ، فيكون له ولنسله من بعده ميثاق كهنوت أبدى ، لأجل أنه غار لله ، وكفر عن بنى إسرائيل » . وواضح من هذه القصة أن ذلك « القنّاء » القديم المعاصر لموسى ، فنحاس ، كانت غيرته للرب دموية جدا لم يتحرج فيها عن القتل ، بل عن قتل اثنين أحدهما من إخوانه بنى إسرائيل ، وامرأة غريبة ضعيفة هى الزوجة المديانية . أما مبرر هذا القتل فالعصبية العنصرية التى جعلت فنحاس الكاهن يرى فى الزواج بأجنبية جريمة مابعدها جريمة ، بل جعل معاصريه من بنى إسرائيل ، حسب هذه القصة ، يسندون الأوبئة والطواعين التى تفتك بعشرات الآلاف من أبناء شعب الله المختار إلى الزواج بالأجنبيات .

والذى يعنينا هنا هو أن فرقة القنّائين التى تكونت فى الفترة المحيطة بمولد المسيح كانت تستوحى من أمثال هـــذه الحكايات دستورا للعنف والتطرف والمغالاة . وكانت بوادر هذا الاتجاه قد ظهرت فى عهد أحبار

المشنا ، فقد جاء فى باب القضاء (السنهدرين ٨١) أن من يسرق أدوات الخدمة الدينية ، ومن يعمل عملا سحريا للإضرار ، ومن يتزوج بامرأة آرامية ، فان القنائين كانوا يقتلونه ، وأما الكاهن الذى قام بالخدمة الدينية وهو فى حالة نجاسة فإن إخوانه الكهنة لا يحضرونه ويقدمونه إلى المحكمة بل يأتى صغارهم ويخرجونه ويهشمون رأسه .

وقد أصبح « قضاء القنائين » مضرب الأمثال فى القسوة ، مما جعلهم فى أيام هيرودس ، حوالى ميلاد المسيح ، يعتبرون فرقة قائمة بذاتها ، وجعل الفريسيين الذين لا يختلفون عنهم من الناحية الاعتقادية أو التشريعية يعادونهم بسبب هذا الغلو والإرهاب الذى اشتهروا به لدرجة أنهم كانوا يسمون « سيقاريين » أو « سيقاريقيين » وهى كلمة يهودية من ألفاظ التلمود معناها « الإرهابيون » أو « السفاحون » أو « قطاع الطرق » ، كما أنهم سموا فى بعض الوثائق « بريوناى » أى « الخارجون على القانون » أو « المتمردون » .

ويقول المؤرخ اليهودى المعاصر لهم يوسيفوس [1] إن هذه الجماعة كانت تمتاز بتمسكها بفكرة الوطن اليهودى الحر المستقل ، وكانوا لا يعترفون برئيس أو سيد إلا الله . وكانوا يفضلون الخروج على القانون ، بل يفضلون الموت لهم ولذويهم على أن يبايعوا حاكما أجنبيا . وينقل شارل

(١) فى كتابه المشهور « تواريخ اليهود » وكذلك فى كتابه الاخر « حرب اليهود » الذى خصصه لتدمير تيتوس للوجود اليهودى بفلسطين سنة ٧٠ ميلادية . وهذه النقول موجودة فى دائرة المعارف العبرية ، المجلد التاسع ، وهذه الطائفة تسمى فى الكتب الأوروبية الحديثة :—
Zelots, Les Zélotes

جنيبير (١) عن يوسيفوس أنه يعزو نشـــأة حزب القنائين فى صورته الرهيبة المعروفة إلى الحوادث التى وقعت فى السنة السادسة أو السابعة من ميلاد المسيح ، والتى انتهت بعزل أرخيلاوس عن الإمارة على اليهود وهو ابن هيرودس وخليفته وصدور مرسوم رومانى باعتبار فلسطين رومانية ليس لها أى كيان ذاتى .

وقد بدأت هذه الحوادث بأمر من السلطات الرومانية بعمل تعداد إحصائى لليهود الموجودين فى فلسطين إذ ذاك ، فقام أحد القنائين واسمه « يهوذا دى جملا » المعروف بيهوذا الجليلى ، نسبة إلى مقاطعة الجليل بشمال فلسطين ، واتفق سرا مع أحد الفريزيين واسمه « صدوق » على إشعال نار الثورة ، ولكنه لم ينجح هو وصاحبه إلا فى استقطاب بعض المتطرفين وتكوين عدد محدود من العصابات وبمجرد علم الرومان بذلك هبوا لقمع هذا التمرد ونجحوا فى إبادة هذه العصابات والقضاء على الرجلين المتزعمين لها . ومنذ ذلك الوقت أصبحت حركة القنائين حركة سرية تعتمد على الاغتيال ، وكانت ضحاياها من بين اليهود المتعاونين مع الرومان ، وخصوصا الفريزيين . كان الواحد من القنائين يمر أحيانا بسرعة البرق وخنجره فى يده ، فيقتل الشخص المتفق عليه بطعنة واحدة ثم يختفى . وكان زعيمهم قبيل نزول تيتوس بجيشه لإبادة فلول اليهود فى فلسطين سنة ٧٠ ميلادية هو مناحم بن يهودا الجليلى الذى قاد الحركة بعد أبيه ، وراح ينشر الاضطرابات فى أرجاء فلسطين سنة ٦٦ ميلادية ، ممـــا أدى إلى هذا التدخل الرومانى الحاسم سنة ٧٠ ، وانتهى فيه أمر القنائين مع انتهاء أمر اليهود جميعا .

---

(١) المرجع السابق ، ص : ٢٢٠ وما بعدها .

وخلاصة القول هي ماقدمناه من أن هذه الجماعة لم تكن تؤمن فى الدين بما يخالف إيمان الربانيين والفريزيين على وجه الخصوص ، وإنما كانت تنظيما صهيونيا سياسيا وعسكريا ، يرى استعمال القوة والالتجاء إلى الإرهاب والقتل والاغتيال لتحقيق الأغراض السياسية البحتة التى رسمتها الجماعة لنفسها ، وهى انتزاع فلسطين من الرومان ، وبسط السيطرة اليهودية بصورة دكتاتورية عليها .

ونلاحظ أيضا أن اشتعال حركتهم على أثر الأمر بالقيـــام بتعداد وإحصاء لليهود فى فلسطين يشعر بصورة واضحة بأن اليهود كانوا أقلية وأن القنـّائين كانوا على يقين من أن عمليـة التعداد لم تكن فى مصلحة هذه الفئة من النــاس ، ولذلك لم يجدوا حلا للموقف إلا فى العنف والتخريب والاغتيـال وبث القلاقل والاضطرابات ، آملـين أن يصلوا بذلك إلى أن تتحكم الأقلية فى الأكثرية ، وأن يقيموا حكومة تستمد هيبتها من التهديد بالخناجر .

وإذا كانت جماعة القنائين قد اندثرب كتنظيم ومذهب فى هذا الوقت المتقدم ، فإن منهاجها ووسائلهـا مازال توحى للفكر الصهيونى الحديث بكثير من التفاصيل التعسفية التى يعتمدهـا المتطرفون من أصحابنا حتى اليوم فى فرض كلمتهم بالقوة ، وإهدار كل الحقوق المنبثقة عما هى تشريع أو قانون أو سلوك إنسانى .

٥ - الأسيين او الأسيفين

كانت هذه الفرقة على أيام ظهور المسيح من أهم فرق اليهود وأكثرها نشاطا وأشدها احتراما . لدرجة أنه جرت عادة من يكتبون عن الفكر

الديني الإسرائيلي إبان ظهور المسيحية على الاكتفاء غالبا بذكر أربع فرق هم الفريزيون والصدوقيون والقناؤن والأسينيون . وإذا كانت معلوماتنا عن الفرق الثلاث الأولى قد سمحت لنـــا بالكلام عنهم بشيء من الدقة لكثرة ماوصلنا حولهم من معلومات ، فإن فرقة الأسينيين ليست كذلك ، إذ أحاط بها الغموض الشديد منذ البداية ، مما جعل كل شيء يتصل بها يمثل مشكلة كبيرة أمام الباحثين .

وأول تلك المشاكل هي ندرة من كتبوا عنهم من القدماء . إذ تكاد هذه الكتابات تنحصر في فقرات قصيرة لاتتجاوز العشرين فقرة لدى المؤرخ اليهودي يوسيفوس في كتابيه المشهورين : حرب اليهود ، وتواريخ اليهود . يضاف إلى ذلك تعريف مختصر بهؤلاء الناس جاء تحت قلم العالم الطبيعي الروماني بلينوس الأكبر ، الذي عاش في القرن الأول الميلادي (٢٣ - ٧٩) ، في كتابه المشهور « التاريخ الطبيعي » ، وبضعة معلومات تنسب إلى الفيلسوف اليهودي السكندري فيلون .

أما الكتابات اليهودية - العبرية أو الآرامية - المنبثقة عن رواة ومؤلفين مخالفين عاشوا في تلك الأزمان ، وكتبوا في أمور بعضها أقل أهمية بكثير من الأسينيين ، فإنها لاتتحدث عن هؤلاء بشكل يقيني يمكن تشخيصهم من خلاله . وكذلك الأمر في الكتابات المسيحية القديمة .

وكان أكثر المؤلفين يعجبون أيضا وحتى عهد قريب ، من أن هذه الفرقة - على ما اشتهرت به من العلم والثقافة - لم تترك مؤلفات أو كتبا يعتمد عليها . وظل ذلك هو اعتقاد العلماء إلى أواخر صيف سنة ١٩٤٧ ، عندما أميط اللثام عن مجموعة من الكتابات العبرية ، في مغارة بالقرب من

«عين فشخة»، فى منطقة أريحا بفلسطين على الجانب الغربى للبحر الميت. وهذه الكتابات بغرابتها وغزارتها والموضع التى خبأها أصحابها فيه تنطق بدون أدنى شك عن فرقة دينية يهودية، ولكن اسم الإسينيين لم يرد بكل أسف ولو مرة واحدة فى كل هذه النصوص. ومع ذلك فقد ذهب كثير من الباحثين، فى مقدمتهم أستاذنا ديبون سومير الأستاذ بالسربون إلى أن الكتابات المذكورة هى تراث من ثقافة الاسينيين، بينما احتاط بعض آخر من العلماء فاكتفوا بنسبة هذه النصوص إلى المكان الذى وجدت فيه وقالوا «كتابات البحر الميت» أو «مخطوطات قمران» لأن المغارة التى كانت مستودعا لهذه المخطوطات توجد فى بقعة من الأرض بقرب عين فشخة تسمى «خربة قمران». ولما كان هذا التراث يشبه من كثير من النواحى مايمكن تصوره عن الأسينيين من كتابات يوسيفوس وبلينوس الأكبر وفيلون السكندرى، فإننا لن نترك الحديث عن الأسينيين إلا وقد أعطينا فكرة موجزة عن وثائق البحر الميت هذه أيضا.

وإذا كانت مشكلة المراجع ومصادر المعلومات عن هذه الفرقة تمثل عقبة كبيرة أمام الباحث فى تاريخها عقائدها، فإن اسم هذه الفرقة أيضا يثير مشاكل كثيرة. فهو لم يرد مكتوبا بالعبرية قط، ولكنه رسم هكذا باليونانية واللاتينية. ومن حق الباحث أن يسأل: ماأصله؟ مامعناه؟ وحول ذلك تكثر الأقوال وتتضارب. والشائع الآن بين العلماء هو أن الكلمة معناها «الأطباء»، وأن أصلها آرامى هو كلمة «آسيا» بمعنى الطبيب والمداوى، أو كما تقول العرب «الآسى». وعلى هذا الرأى يمكن تسمية هذه الفرقة «الأُساة». والذين خرجوا الاسم هذا التخريج يعتمدون على ماسماهم به الفيلسوف اليهودى فيلون السكندرى وهو يكتب

عنهم باليونانية إذ دعاهم « ثيرا بوتى ثيو » ، التى تعنى لأول وهلة « أطباء الله » . ومع ذلك يبقى إشكال حول هذا التخريج وهو أن كلمة « ثيرابوتى » لها فى اللغة اليونانية معنيان ، أولهما « الأطباء » والثانى « الخدم » أو « الوصفاء » .

ومال بعض الباحثين إلى اشتقاق اسم هذه الفرقة من اللفظ اليونانى « أوسيوى » التى تستعمل بمعنى « القديسين » أو « الابرار » ، كما ربطها غيرهم باللفظة اليهودية القديمة « حسيا » أو « حسين » بمعنى « الاتقياء » وإن كان هذا التخريج الأخير مشكوكا فيه لإنعدام الوثائق الصريحة التى ترد فيها الكلمة بالمعنى المذكور فى التراث اليهودى . وهناك من يقول بإرجاعها إلى اللفظ اليهودى « حاشيا » أى الصامت الذى لايتكلم ، بل تكلف آخرون فأرادوا جعلها صيغة محرفة من « ساحيا » التى معناها نزل إلى الماء وسبح فيه ، وبنوا على ذلك أن هذه الطائفة ربما كانت تعتقد دينيا فى المعمودية أو الغطاس أو الطهارة بالاغتسال الكامل فى الماء (١) .

ومن الصعب جدا أن يتخير الباحث رأيا من هذه الآراء الكثيرة ويرجحه ، فإن أقربها إلى التصديق من أول وهلة ، وهو الدلالة على « الأطباء » يدعمه ماوصفهم به يوسيفوس من أنهم يلتزمون لبس الثياب البيضاء النظيفة ، ويظهرون فى المجتمع بصورة مهيبة محترمة تدعوا الناس إلى الثقة بهم والإقبال عليهم . ومع ذلك فلم يرد إلينا من خبرهم شىء أكثر من هذا يتصل بالطب أو الصيدلة أو علاج المرضى ، حتى فى

---

(١) دائرة المعارف العبرية ، المجلد الثانى - فى مادة « آسيبيم » ؛ جينيبر - المرجع السابق ، ص : ٢٢٣ ـ ٢٤٦ .

الكتابات الكثيرة التي عثر عليها في منطقة البحر الميت. ويرد المتحمسون لهذا التخريج بأن سيدنا عيسى المسيح لم يكن قبل بعثته فريزيا ولا صدوقيا، فقد هاجم هاتين الطائفتين بصراحة في تعاليمه؛ كما أنه لا يمكن أن يكون من أولئك المتطرفين الإرهابيين السفاحين «القنائين». فقد ظل حياته كلها ينهى عن العنف، حتى دفاعا عن النفس، ويحاول غرس بذور المحبة والتسامح في القلوب. وعلى ذلك فإن الاحتمال الباقي هو أن يكون متعاطفا مع فرقة الأسينيين التي لم يندد بها ولم يهاجمها قط في تعاليمه. ولما كان هو نفسه قد اشتهر بمعجزاته المذهلة في الطب، من إعادة البصر إلى العميان، وإقامة المصابين بالشلل أو الكساح يتحركون ويمشون بين الناس، وإبراء المرضى بالبرص، بل إحياء الموتى، فقد مال أكثر الباحثين الذين يتجهون نحو جعل الإسينيين «أطباء» إلى الربط بينهم وبين السيد المسيح بمعجزاته الطبية هذه.

وكان يمكن الرضا بهذا الشرح، لولا أن البر والقداسة والالتجاء إلى الصمت والغطاس في الماء وهي من المعاني المعطاة لكلمة الإسينين كما قلنا كانت أيضا من تعاليم المسيح، ومن الرياضات الدينية الشائعة عند كثير من النساك والأتقياء من اليهود في عصره. وربما يكون الأمر الوحيد الذي يقوى فكرة أنهم «أطباء» هو الاعتبار اللغوى البحت، واقتراب اسمهم من كلمة الآسى السامية القديمة الموجودة في الآرامية والعربية بمعنى الطبيب، وما جاء من وصف الإسينيين في اللغة اليونانية بأنهم «ثيرابوتى» أى أطباء، على الأرجح.

وهذه الفرقة الغامضة في اسمها وكنهها غامضة في تاريخها أيضا. فأقدم

حديث عنها يرجع إلى أسرة المكابيين الحشمونيين إذ يذكر يوسيفوس فى « تاريخ اليهود » أنهم كانوا موجودين على عهد الأمير الحشمونى يوناثان (١٦١-١٤٨ ق م) ، ولكن يبدو من مسلكهم نفسه أنهم ماكانوا يتيحون للعالم الخارجى أن يعرف عنهم الكثير ، والظاهر أنه كانت لهم فلسفة دينية وأخلاقية عملت فيها تيارات أجنبية غير يهودية ، منها الفلسفة الفيثاغورية اليونانية ، ومنها التنظيم الدينى المجوسى الفارسى القائم على تقديس النور وربطه بالخير ، ومنها رواسب وبقايا من العقائد المصرية الفرعونية لاسيما مايتصل منها بتقديس الشمس ، إلى جانب المعتقدات النابعة من كتب اليهود المقدسة بطبيعة الحال . ويمكن تلخيص معتقدهم ومظهرهم العام على النحو التالى :

١ - الاعتزال عن الناس ، والارتباط القائم بين أعضاء الفرقة بعهد مقدس ، ويمين يحلفونه عند الدخول فى الفرقة ثم لايحلفون بعده يمينا أبدا . وقد لاحظ الباحثون التشابه القائم من هذه الناحية بينهم وبين المسيح والحواريين ، الذين كانوا مرتبطين فى هيئة جماعة تعتزل الناس ، وكذلك فى النهى عن التأكيد باليمين اكتفاء عند الإجابة بلفظتى « نعم » أو « لا » .

٢ - كانوا يلبسون الثياب البيضاء ، ويحرصون على نظافتها ونظافة أجسامهم والظهور بمظهر طيب وقور . وهم فى ذلك يشبهون المسيح والحواريين أيضا ، فنحن نعلم أن كلمة حوارى معناها لابس الثياب البيضاء .

٣ - المعيشة الجماعية فى دار عامة للطائفة بعيدة عن الناس ، يتولى كل واحد منهم فيها مهمة من مهام الحياة اليومية من زراعة أو صناعة

أو طبخ أو تنظيف تعليم أو تأليف . وكانوا فى هـــذه الدار يعيشون حياة شبيهة بحياة الأديرة المسيحية .

٤ - الاهتمام بتهذيب شعر الرأس واللحية ، والتطهير بالاغتسال والغطاس فى الماء .

٥ - الاهتمام بشروق الشمس ، فقد كانوا يقومون من نومهم قبل الفجر فيقفون جماعة فى انتظار لحظة الشروق حيث يؤدون صلاة معينة يسمونها « صلاة الأسلاف » ، وقد لمس الباحثون فى هذه النقطة (١) اقترابا من الشرائع القديمة المصرية والمجوسية .

٦ - كانوا يحرمون فى عبادتهم الذبيحة ، ويرون فيها لونا قاسيا من سفك الدماء ، مخالفين فى ذلك أكثر فرق اليهود ، ومقتربين من المجوسية من ناحية والمسيحية من ناحية أخرى ، بل لقد رأى بعض العلماء أنهم لابد أن يكونوا قد تأثروا فى ذلك بشىء من الفلسفات الدينية الهندية .

٧ - كان لهم تنظيم داخلى دقيق فى فرقتهم ، ففى كل دار من دورهم التى يعيشون فيها هذه الحياة الجماعية رئيس لهم يعظمونه ويطيعونه ، ومن تحته كـــان كل فرد من أفراد الطائفة له مكان فى الترتيب الهرمى لمجتمعهم لايجوز له أن يتعداه ، وحتى بالكلام ، فعند المحادثات والمناقشات تعطى الأولوية لكل فرد منهم بحسب منزلته فى هذا الترتيب .

٨ - كانوا يأخذون أنفسهم بالتقشف والقناعة ، فلا يقبلون هدية أو زكاة أو راتبا من أحد ، وكان على كل منهم أن يعيش من عمل يديه ، وربما كان علماؤهم يحترفون الطب حتى تجتمع لهم فضيلة علاج الأجسام والأرواح

(١) جنيبير فى الموضع السابق .

٩ - يذكر عنهم كذلك حسب رواية فيلون أنهم كانوا يحرمون على أنفسهم الزواج ، وقد حار الباحثون إزاء هـذا التأكيد الذى يسجله بلينوس وفيلون ، وأرجعوه إلى تأثير الفلسفة الفيثاغورية ولكن شارل جنيبير[1] يقول إن هذه الفيثاغورية التى تمثل تناقضا صارخا مع ماجرى عليه العرف الدينى اليهودى من ضرورة الزواج ، ربما أتت إلى الإسينيين من إرتباطها بفكرة أخرى خاصة بالطهارة . فالشريعة اليهودية ترى فى الاتصال الجنسى بين الرجل والمرأه عملا يدنس جسميهما ، ويبعدهما عن هذه الطهارة . ويبدو ذلك واضحا فى توصية موسى لقومه فى التوراة (خروج ١٩/١٥) بأن يكونوا مستعدين فى ظرف ثلاثة أيام فيقول لهم « لاتقتربوا من أية إمرأة » . وفى سفر صمويل الأول ٢١/٤ - ٥ نجد داود وهو يتساءل عن إمكان أكله من الخبز المقدس يقول « ألم نتجنب النساء منذ ثلاثة أيام ... فكل رجالى طاهرون » .

١٠ - كانوا يحرمون الاستعباد والرق ويقولون بالحرية للناس جميعا .

١١ - ذهب جنيبير إلى أن الأسينيين لم يكونوا يحرمون ذبيحة القربان فقط ، بل كانوا يمتنعون بتاتا عن أكل اللحم وعن إسالة الدماء وكانوا نباتيين ملتزمين بذلك فى حياتهم اليومية .

١٢ - كانوا يؤمنون بضرورة التمسك بالتوراة وأحكامها ولو جر ذلك عليهم القتل .

١٣ - يبدو من خلال ما نقل عنهم أنهم يؤمنون بمجىء المسيح ، لكن

---

(١) نفس المرجع .

ذلك يلفه غموض كبير إلا فى كتابات البحر الميت . وأوضح من ذلك إيمانهم باليوم الآخر ، وقد رأينـــا أن اليوم الآخر والمسيحانية ركنان من الاعتقـــاد اليهودى لايكاد أحدهما ينفصل عن الآخر .

١٤ - كانت هذه الفرقة هى أكثر الفرق إيمانا بالقضاء والقدر .

١٥ - نظراً لانتشار تعاطى الطب بينهم فقد قوى فيهم الإيمان بالأعمال السحرية ، وتأثير البروج والأفلاك على صحـــة الانسان ، ثم على مقدراته .

١٦ - انطلاقا من النقطـــة السابقة كانوا يؤمنون بالأرواح والملائكة ويعطونها أسماء ، ويحاولون بطقوس معينة أن يوجهـــوها إلى تحقيق ما يريدون .

١٧ - كانوا يؤمنون ، تبعا لإيمانهم بالقضاء والقدر ، بأن الله هو المتصرف فى كل شىء ، وليس من الضرورى أن تتفـــق تصرفاته مع اجتهادات عقولنا .

١٨ - كانوا يلتزمون بالفضيلة ، ويبتعدون عن الشر ، ولا يلجأون إلى العنف أبدا ، ولعل ذلك هو السبب فى نظرة الاحترام التى كانوا يتمتعون بها بين الناس البسطاء ، وبين المخالفين لهم من أتباع الفرق الأخرى ، كما كان ذلك بلا شك من عوامل فنائهم واندثارهم .

كان هؤلاء الأسينيون من الفرق التى اصطبغت بالتصرف ، وكادت تبتعد بموقفها السلبى عن السياسة ، وعن الصهيونية .

فرقة الاسينيين ومخطوطات البحر الميت :

تعتبر مخطوطات البحر الميت ، التى بدأ العالم يعرفها منذ أواخر صيف سنة ١٩٤٧ ، من أهم الكشوف الحديثة فى ميدان الفكر الدينى الإسرائيلى ، من حيث كميتها أولا وأهمية المحتوى الذى تتضمنه هذه الكتابات العبرية ثانيا . ومع ذلك فقد كان أمر هذه المخطوطات محفوفا بصعوبات جمة ، سواء أكان ذلك فى تجميعها ، أم فى الإدلاء بحكم أثرى وتاريخى رصين حول أصلها مصدرها وسبب كتابتها ، أم فى تحديد الاتماهات المذهبية التى تسودها . وليس عجيبا والحالة هذه أن تتناولها أقـــلام الباحثين والمعلقين والمترجمين منذ ذاك الوقت حتى الآن ، دون أن ينقطـع من حولها الشك باليقين . فلا نكاد نعرف نصوصا أثرية ظفرت بهذا القدر الكبير من المؤلفات التى تبحث فيها ، والتى أصبحت تعد بآلاف يصعب حصرها ما بين كتب مطولة ودراسات مختصرة ومقـالات فى المجلات المتخصصة وتقارير فنية من لجان شكلت لأجل ذلك ومن سجلات لمناقشات دارت فى ،ؤتمرات دولية حول هذا الموضوع . وبعد كل هذا ما تزال أكثر من علامة استفهام قائمة حول هذه المخطوطات . ولهذا فنحن لا نطمع بهذه السطور فى أكثر من إعطاء فـكرة معتدلة للبـاحث العربى عن مشكلة تتجاوز بدون أدنى شك أبعاد هذا الكتاب ، وتحتاج إلى أكثر من باحث ومتخصص يركز إهتمامه عليها ، فى أعمال علمية مكرسة من أجلها من البداية إلى النهاية .

وتبدأ قصة إكتشاف هذه المخطوطـات بشخص لا علاقـة له بهـذا النوع من النشاط الإنسانى ، فهو راع عربى فلسطينى من قبيلة من أنصاف

البدو تسمى « التعامرة » ، تقوم بتربية قطعان الغنم والماعز فى جنوب فلسطين ، وفى المنطقة الممتدة من مرتفعات بيت لحم إلى أريحا على البحر الميت بالتحديد . وجد هذا الراعى ، واسمه محمد الديب ، مخطوطات من هذه المجموعة فى مغارة واقعة فى صخور « خربة قمران » بقرب « عين فشخة » فى منطقة أريحا على البحر الميت ، وكان عثوره عليها وهو يبحث عن حيوان شارد من القطيع الذى كان يرعاه فى تلك الجهة ، كان المخطوط الذى معه عبارة عن طومار من الجلد ملفوف وعليه كتابة عبرية مخطوطة بعناية . وهذا الطومار مقسم إلى أعمدة ، وكل عمود قد جرت فيه خطوط متوازية بطريقة الحز بآلة حادة ، بحيث يكتب الكاتب على السطر فلا ينزل عنه ولا يرتفع . وكانت الكتابة بالحبر الأسود ، وبخط مربع سهل القراءة .

أخذ محمد الديب مخطوطا من هذه المخطوطات وذهب إلى تاجر للسلع السياحية والآثار فى بيت لحم ، اسمه خليل اسكندر شاهين ويعرف فى فى المنطقة باسم « كندو » وهى عندهم تدليل لاسم اسكندر ، وسأله عن قيمتها من الناحية التجارية . وكان الرجل جاهلا بمثل هذه الأشياء ، فأعطاها إلى قس فى كنيسة القديس مرقس للسريان فى مدينة القدس العربية ليعطيه رأيه فيها . ولما كان هذا القس لايعرف عنها أكثر من معرفة التاجر خليل اسكندر شاهين فإنه راح يطوف بالمخطوط على العلماء ، حتى انتهى يوم ١٨ فبراير سنة ١٩٤٨ إلى المدرسة الأمريكية للدراسات الشرقية بالقدس ، وهناك أطلع عليها المستشرق الدكتور جون تريفر ، الذى كان يقوم بمهام المدير نيابة عنه أثناء غيابه فى بعض الحفائر بالعراق

وفوجىء بالحقيقة المذهلة عندما بدأ يقرأ بعض أعمدة هذا المخطوط العبرى فوجد أنه أمام نص من سفر إشعيا ، من أسفار أنبياء العهد القديم ، وأنه أقدم مخطوط من حيث التاريخ يحتوى على نص من الكتاب المقدس .

فى هذه الأثناء اندلعت الحرب بين العرب والصهيونية على أثر إعلان اليهود لقيام دولة إسرائيل فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ ، وتولى الأثرى البريطانى لانكستر هاردنج ، مدير الآثار الأردنية ، أمر المحافظة على الآثار الفلسطينية فى كل الأراضى التى منعت الجيوش العربية اليهود من احتلالها . وكانت منطقة أريحا من بين هذه المناطق . ومنذ ذلك الوقت بدأ العلماء والأثريون فى العالم أجمع يهتمون بأمر هذه الحفائر والآثار ، وبخاصة بعد أن ظهرت مجلة المدرسة الأمريكية للدراسات الشرقية فى نوفبر سنة ١٩٤٨ (وهو عدد إبريل من هذه السنة ، ولكن تأخر ظهوره بسبب الأحداث السياسية والحربية فى فلسطين) ، وكان هذا العدد يتضمن الاكتشافات والآراء الأولى حول هذه المخطوطات .

ومنذ ذلك الحين عرف العلماء مكان مغارة قمران ، لكن بعد أن كان البدو قد أخذوا كل محتوياتها من المخطوطات ، وراحوا يبيعونها سرا بأثمان مرتفعة وصلت فى النهاية إلى أكثر من جنيه استرلينى للسنتيمتر المربع من المخطوطات . ومع ذلك فقد تسابقت الجهات العلمية المهتمة بالموضوع فى اقتنائها . وكان لأمريكا منها نصيب الأسد ، كما آل جزء قليل منها إلى الأردن ، وتمكنت الجامعة العبرية بإسرائيل بوسائلهـــا السرية من الحصول على كمية لابأس بها ، وكذلك نالت إنجلترا نصيبا منها ، كما كان لفرنسا جانب أيضا . ويقال إن أمر هذه المخطوطات

ما يزال قابلا لمفاجآت جديدة ، فقد تظهر فى الأسواق نصوص أخرى منها .

لم يكن أمام العلماء لهذا إلا إستقصاء أدق التفاصيل حول أصحاب هذه المخطوطات من الموقع التى وجدت فيه . وهكذا توالت الحفائر فى منطقة قمران وكان من نتيجتها التفاصيل التالية :

١ - أن المغارة التى وجدت فيها المخطوطات لايسهل تصور أنها كانت مكتبة ، أو دارا للمخطوطات (أرشيف) ، أو مدرسة لضيقها وظلامها وصعوبة الوصول اليها ، ولأنها لم تكن واقعة فى منطقة آهلة بالسكان تدعو إلى التفكير فى مكتبة عامة أو مدرسة أو دار للمحفوظات .

٢ - لوحظ مع ذلك أن معظم هذه المخطوطات قد نسخ فى فترة معينة وقصيرة من الزمن ، على ملفات أو طوامير جديدة من الجلد عولجت وهذبت لهذا الغرض . وأن هذه الطوامير كانت ملفوفة فى لفات من الكتان المدهون بالقار لمنع الرطوبة والحشرات وبالتالى وضح للعلماء أن الناسخين كانوا يريدون الاحتفاظ بتراث معين يخافون عليه من الضياع ، وفى صورة موحدة .

٣ - عثر فى المغارة على قدور أسطوانية من الفخار موحدة الصنع ، وتنقسم من حيث أبعادها إلى صنفين إثنين أحدهما أطول من الآخر قليلا ، وعملت لها أغطية من الفخار مفصلة من أجلها ، وكل هذا يقين أنه قد صنع خصيصا لحفظ المخطوطات فيه ، فإرتفاع الصنفين من القدور يتفق مع عرض الطوامير التى كانت أيضا من قياسين ، بحيث توضع فى كل قدر ثلاثة طوامير ملفوفة فتملؤها.

كما وجدت فى المغارة أدوات الكتابة والنسخ كقناديل من الفخار ودوايات الحبر ولوحات يستعملها الكاتب مثل المنضدة عند الكتابة.

٥ - وجدت فى المغارة آثار أخرى وبعض نصوص أقدم عهدا من هذه النصوص العبرية .

٦ - وتوالت الحفائر فكشف بالقرب من المغارة عن بقايا دير أو مستعمرة كاملة تعيش فيها الطائفة التى تركت هذه المخطوطات .

وكان الخلاف أولا على تاريخ هذه الكتابة التى لم يُذكر التاريخ على واحد منها . فبعض العلماء ، كالأمريكى ألبرايت قالوا لأول وهلة إنها ترجع إلى حوالى سنة ٢٠٠ ق.م. بينما زعم آخرون أنها ربما كانت من بعد الفتح الإسلامى ، كالبريطانى درايفر . وبين هذين الطرفين تعددت الأقوال وتشعبت . وفى هذه الأثناء وقع فى أيدى العلماء مخطوط من تلك المخطوطات عنوانه « حرب أبناء النور مع أبناء الظلام » ، وهو كتاب صوفى يدور حول الأمرين الأساسيين فى الاعتقاد اليهودى العام، وهما كما سبق أن ذكرنا ، المسيحانية من ناحية ونهاية العالم من ناحية أخرى . وهذه الحرب الخيالية التى يصفها المؤلف ، هى حرب الفناء الأخير ، وأبناء الظلام هم جميع البشر من يهود وغيرهم ماعدا أبناء الطائفة الذين هم أبناء النور بطبيعة الحال . وهو فى وصف الصراع بين المعسكرين يعتنى بإعطاء تفاصيل دقيقة عن تنظيم جيش أبناء النور . وقد قام باحثون متخصصون فى التاريخ العسكرى المقارن بمنطقة الشرق الأوسط ببحث تنظيم هذا الجيش الخيالى ، فتبين بما لايدع مجالا الشك

أنه يشبه الكتائب العسكرية الرومانية فى نفس هذه المنطقة فى منتصف القرن الأول قبل الميلاد . ثم دخلت إعتبارات أخرى أيدت هذه النتيجة، وأصبح الإجماع الآن يكاد يكون منعقداً على أن هذه الطائفة كانت موجودة فى أواسط القرن الأول قبل الميلاد فى هذا المكان ، وأنها ربما اضطرت تحت تهديد القتل والإبادة إلى الهرب من المعقل الذى كانت تعيش فيه ، وفى الفترة القصيرة التى كانت تنظم فيها أمورها نسخت كل تراثها بهذا الشكل الموحّد ، وخبأته فى تلك المغارة البعيدة عن الأنظار الوعرة المسالك ، على أمل العثور عليه عند العودة بعد نهاية الخطر الذى كان يهدد كيانها إذ ذاك ، ولكن يبدو أنها ذهبت إلى غير عودة .

من أهم النصوص التى طالعتنا بها هذه المخطوطات :

١ ـ مجموعة القوانين التنظيمية المطبقة فى الطائفة ، وهى اللائحة الداخلية للجماعة .

٢ ـ مجموعة من الصلوات والأناشيد والابتهالات وأدعية الحمد والشكر .

٣ ـ تفاسير على بعض النصوص المقدسة ، منها مختصر لشرائع توراة موسى وتفسير على أسفار صغيرة قصيرة للأنبياء « ميخا » و « ناحوم » و « حبقوق » والمزمور ٣٧ .

٤ ـ نصوص خاصة بنهاية العالم ، ومجىء المسيح المخلص ، وأهمها كتاب الحرب الذى أشرنا اليه ، ثم كتاب فيه أصول السلوك فى المجتمع الإسرائيلى بعد أن يظهر فيه المسيح ، وكذلك نص يسمى العهد الجديد (ليس على صلة فى شىء بما يسمى بهذا الاسم عند المسيحيين)،

وأخيراً نص عنوانه « الشر القادم » وهو موعظة تتعلق أيضا بيوم القصاص والجزاء (١) .

ويبدو من خلال النصوص المختلفة الواردة من قمران أن هناك تشابها لايمكن نكرانه بينهم وبين الأسينيين ، من حيث الإقامة فى دار خاصة بالجماعة ومنعزلة عن الجمهور ، ومن حيث النظام الذى يخضع له أبناء الطائفة حسب ما يبدو بتفاصيله فى مجموعة القوانين التنظيمية الداخلية، ومن حيث الإيمان باليوم الآخر وإرتقاب المسيح ، وضرورة الإشتغال بالعلم ، والتقشف ، ولبس البياض ونحو ذلك .

ونحب أن نشير هنا إلى أن الرئيس الأعلى للطائفة كان مقدسا عندها

---

(١) — J.M. Allegro ; The Dead Sea Scrolls; Pelican 1956.

— R K. Harison ; „ „ „ ; London, 1961

— W. F. Albright ; The Archaeology of Palestine ; Pelican, 1963

— Theodor H. Gaster ; The Dead Sea Scripture ; New-York, 1956

— A. Dupont-Sommer : Aperçus préliminaires sur les Manuscrits de la Mer Morte ; Paris, 1950

— A. Dupont-Sommer ; Nouveaux Aperçus sur les Manuscrits de la Mer Morte ; Paris, 1953

ولم نذكر هنا إلا الكتب العامة ، التى يمكن للمبتدىء أن يأخذ منها فكرة ما عن هذا الكشف الاثرى العظيم .

يطيعونه طاعة عمياء ، ويسمونه « معلم الحق » أو « المعلم الحق » (١) وبالعبرية « مُوريه صِدق » ، ويبدو من بعض إشارات وردت فى التفسير الرمزى على سفر حبقوق الذى وصلنا من هذه الطائفة أن أحد رؤسائها المقدسين كان قد قبض عليه وعذب وأهين وجرد من ملابسه البيضاء ثم قتل على الصليب . لدرجة أن الأستاذ الفرنسى ديبون سومير (٢) قال أن « معلم الحق » هذا هو مسيح من المسحاء الذين كانوا لايكفون عن الظهور فى المجتمع اليهودى إبان ظهور المسيح عيسى بن مريم ، أو قبله بقليل .

والذى يبدو لنا بالرغم من هذا التشابه بين فرقة الأسينيين وجماعة « العهد الجديد » فى قمران أن هناك خلافا لايمكن تجاهله بينهما :

ففرقة قمران حريصة على النقاء الثقافى التام من ناحية الارتباط بالعبرية ، سواء أكان ذلك فى اللغة أو فى الخط ، وقد عرفنا أن أرجح الأقوال فى اسم طائفة الأسينيين يحمل هذا الإسم أجنبياً ، مما لايسهل قبوله من طائفة شديدة التزمت فى نقائها اللغوى وارتباطها بالعبرية الفصحى . وإن لم يستبعد أن يكون لهم فيما بينهم اسم آخر عبرى .

كذلك عرفنا أن الأسينيين كانوا طائفة مسالمة ، بينما تدل كل

---

(١) الرأى الاخير من استدراكات ثيودور جاستر فى كتابه المذكور فى القائمة الصغيرة السابقة .

(٢) فى بحث له عن المخطوط المشتمل على تفسير سفر حبقوق ، طبع فى باريس سنة ١٩٥١ .

الإمارات ، وفى مقدمتها تعرض طائفة قمران للإبادة ، وهجرتها العاجله الجماعية من مكانها ، على أنها طائفة أشد عنفا ، تشبه فى ذلك القنائين.

يتأكد تعلق هذه الطائفة بالعنف فى كتابها الذى عنوانه حرب أبناء النور مع أبناء الظلام ، وهى حرب فناء نهائى يهلك فيه أبناء البشرية جميعا ما عدا أعضاء هذه الطائفة .

وليس لدينا ما يمنع من الاعتقاد بأن طائفة قمران كانت طرازاً خاصاً يجمع بين الأسينية فى التدين ، والقنائية فى إقرار العنف والإرهاب وسيلة لتحقيق مآرب الطائفة ، وإن كانت مآربها لاتبدو مرتبطة إرتباطا سياسيا بفلسطين على النهج الصهيونى ، بل ربما كانت صهيونية متصوفة لاتقنع بفلسطين دون السيطرة على العالم أجمع ، وهذا النوع من الدروشة الحالمة كثير فى المجتمع الإسرائيلى قديمة وحديثة .

وهكذا نرى من تلك العجالة أن نصوص البحر الميت بالرغم من أنها ظفرت حتى الآن بالآلاف من المؤلفات والمقالات ما تزال فى حاجة إلى مزيد من البحث ، لاسيما من حيث نوع علاقتها بالإسينية ، إذ يميل الكثيرون إلى وضعها فى نفس معسكرهم دون تصنيف أو إدراك للظلال الجزئية التى تجعل منها فكراً إسرائيليا له كيان ذاتى يميزه .

كذلك نشعر بأننا - مع فرقة العهد الإلهى الجديد فى قمران ، ومع الإسينيين أقترب جدا من الدعوة المسيحية . والواقع أن الفكر الدينى الإسرائيلى فى عبوره من المسيحانية إلى المسيحية ممثلة فى عيسى بن مريم كان يخطو فى الطريق المنطقية الطبيعية فى تطوره . ولم يكن يبدو فى هذا الخضم المتلاطم من المذاهب والفرق والآراء والاتجاهات السياسية منها

والصوفية والشرعية ، أن المسيح ظاهرة شاذة أو داعية غريب ، وكادت اليهودية بعد إنتهاء أمره من هذه الدنيا أن تبتلعه وتتمثله وتخفى عبقريته مع كل مختزناتها ، ونفاياتها ، ومهملاتها ، وعجائب مقتنياتها ، على المدى الطويل من أفكار ودعوات . ولولا اليهودى القديم المحنك شاؤل ، الذى عرف فى المسيحية باسم القديس بولس ، لتغير الوضع . فهو الذى جاهر مؤكدا بأن دعوة المسيح عيسى بن مريم ليست مذهبا يهوديا . بل دين جديد بوحى جديد وعهد جديد .

ومع ذلك فقد ظهر بين العلماء الذين اشتغلوا بمخطوطات البحر الميت من يعلن - كما قلنا - أن « معلم الحق » أو « المعلم الحق » ، رئيس طائفة قمران ، يعتبر صورة طليعية للمسيح الذى ظهر بعد ذلك بأقل من نصف قرن من الزمان .

ونجد أنفسنا هنا مشدودين ، مرة أخرى ، إلى الاعتبار اللغوى ننشد فيه بعضا من نور للتمييز بين الشخصيتين والدعوتين . فقد قلنا إن طائفة قمران كانت شديدة الولاء للغة العبرية ، وكانت فيها متزمتة محافظة إلى حد يشبه أن يكون تعصبا جميا ، على حين أننا نعرف أن المسيح عليه السلام كان أكثر كلامه بالآرامية ، وكأن لايكاد يخوض فى تيار العبرية إلا فى مجادلاته مع الكتبة والفريزيين من رجال العقيدة اليهودية التقليدية . كما أننا نعرف أن أتباعه وحوارييه كلموا الناس بالألسنة التى يفهمونها ، واتجهوا بدعوتهم إلى غير اليهود بحيث تخلصت المسيحية من عصبية الجنس وعصبية اللغة لتكون ، فى إبان ظهورها ، دعوة ديمقراطية تحررية أساسها عالمية الدين ، وتساوى الناس جميعا أمام الله .

وأهم من ذلك أنها نظفت من أدران الصهيونية السياسية التى جرت على اليهود الويلات ، وعلى غيرهم أيضا .

٦ - الابيونيين

هم فرقة تعود الباحثون من اليهود والمسيحيين أن يوجزوا فيها القول أو يمروا بها مر الكرام ، مما جعل دقائق عقيدتها تكاد تخفى على محبى الاستقصاء فى هذا الميدان من المعرفة . وأهم أسباب ذلك أنها فرقة آمنت باليهودية بعض الإيمان فقط ، وآمنت بالمسيحية إيمانا جزئيا أيضا ، فسقطت بين المعسكرين وفقدت اهتمامها جميعا .

والكلمة العبرية « إبيون » التى ينتمون إليها معناها « الفقــير » أو « الوضيع » أو « المسكين » ، فهم إذن فرقة الفقراء أو المساكين . ولهذه التسمية فى تاريخ الفكر اليهودى مظهران كل منهما بعيد عن الآخر فى الزمن وفى الجوهر .

فمن المظهر الأول يقول المؤرخ اليهودى الألمانى « جريتس »[١] إنه ربما يعود إلى أيام القضاة ، أى إلى ما قبل سنة ١٠٠٠ ق . م . ففى ذلك الوقت لم يكن اليهود مستقرين فى فلسطين ، بل كانوا فى حروب مستمرة مع سكانها الأصليين من أجل هذا الاستقرار . وكانوا - وهم بعد ينفذون خططهم فى إحتلال هذه البلاد - قد قسموا أرضها مقدما على الأسباط الاثنى عشر ، بل على أحد عشر سبطا منها فقط ، أما السبط الثانى عشر وهو سبط اللاويين عشيرة موسى وهارون فقــد

---

(١) H. Graetz; Histoire des Juifs, Paris 1884, p. 257 ss.

جعلت الرئاسة الدينية وقفا عليهم ، وفى مقابل ذلك لم تخصص لهم أرض يمتلكونها ، بل أعطيت لهم ثمان وأربعون بلدة متفرقة فى أراضى الأسباط الأخرى يمارسون منها سلطتهم الدينية . ولكن حدث حادث أدى إلى ظهور فرقة باسم الإبيونيين أو المساكين فى هذا الوقت المتقدم.

كان فى جبل إفرايم (شمال فلسطين) شاب عبرى إسمه ميخا ، سرق من أمه ألفا ومائة شاقل (مثقال) من الفضة ، ولكنه سمعها تلعن من سرقها فتشاءم وأعادها اليها . فنذرت المرأة الفضة ليصنع منها تمثالا للرب أحدهما منحوت والآخر مسبوك . وأقام لها ميخا معبدا وجعل أحد أولاده يقوم بالخدمة فى هذا المعبد . وبالصدفة كان أحد أبناء اللاويين قد ترك بيت لحم وراح يهيم على وجهه شمالا يريد أن يتغرب ويعيش. فوصل إلى ميخا وعرفه أنه من اللاويين . وتستمر القصة (قضاة ١٧/ ١٠-١٣) : « فقال له ميخا أقم عند ، وكن لى أبا وكاهنا ، وأنا أعطيك عشرة شواقل فضة فى السنة ، وحلة ثياب ، وقوتك . فذهب معه اللاوى ، ورضى اللاوى بالإقامة مع الرجل وكان هذا الشاب له كأحد أبنائه . فملأ ميخا يد اللاوى ، وكان الغلام له كاهنا ، وظل فى بيت ميخا . فقال ميخا الآن علمت أن الرب يحسن إلى ، لأنه صار لى اللاوى كاهنا » .

وعلم اللاويون بذلك فكان صداه عندهم أن بعضا منهم قرر أن يعيش على الكفاف ، وألا يؤجر نفسه لأحد ، ولا يتخذ الدين تجارة. وظهرت بهذا الشكل طائفة الفقراء ، تلتزم عمل الخير وسبيل الاستقامة وتنشر علم الشرع والدين بين الناس وتساعد البائس والمسكين والضعيف

ويقال أن هؤلاء المتقشفين الأول كانوا الأساتذة والموجهين لكثير من الشخصيات العبرية الشهيرة من أنبياء وكهنة وغيرهم ، فقد ذكروا أنه تخرج من تحت أيديهم الكاهن الأكبر « عيلى » الذى أشـــرف على تربية النبي صموئيل ، بل إن هذا الأخير أيضا يعتبر من تلاميذهم ، وكذلك النبي العبرى ناثان ، والعراف جاد ، وأخيا الكاهن الشيلونى ، وعبدو الرائى ، والياهو النبي ، وكذلك إشعيا وأرميا وغيرهم من الانبياء. وإن القــارىء فى الإصحاح الأول من سفر إشعيـــا ليشعر بأنه يكاد ينادي بشريعة الإبيونيين عندما يقول (١١/١ - ١٧) : « ما فائدتى من كثرة ذبائحكم » يقول الرب . قد شبعت من محرقات الكباش وشحم المسمنات ، وأصبح دم العجول والخراف والتيوس لا يرضينى . حينما تأتون لتمثلوا أمامى ، من طلب هذا من أيديكم حتى تدوسوا ساكنى . لاتعودوا للإتيان بتقدمة باطلة . فالبخور لدى رجس ، ومستهل الشهور والسبوت ونداء المحفل لا أطيقها . إنما هى إثم وتصنع . رؤوس شهوركم وأعيادكم كرهتها نفسى . صارت على ثقلا ، وقد سئمت احتمالها . فحين تبسطون أيديكم أحجب عينى عنكم ، وإن أكثرتم من الصلاة لا أستمع لكم ، لان أيديكم مملوءة من الدماء . فاغتسلوا ، وتطهروا ، وأزيلوا شر أعمالكم من أمام عينى ، وكفوا عن الاساءة . تعلموا الاحسان . والتمسوا الإنصاف . أغيثوا المظلوم . وأنصفوا اليتيم . واحموا الأرملة». ويبدو هذا الضيق بالطقوس ، وبخاصة الذبائح والقرابين فى قول النبي أرميا (٧/٢١ - ٢٢) : (هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل ، لمو محرقاتكم إلى ذبائحكم وكلوا لحمها ، فانى لم أكلم آباءكم ولم آمرهم ، يوم أخرجتهم من أرض مصر ، بمحرقة ولا ذبيحة) ويقول نفس

النبي أرميا فى الاشادة بهذه « الابيونية » القديمة (٢٠/١٣) : « رنموا للرب . سبحوا الرب . فإنه أنقذ روح المسكين (إبيون) من أيدى فاعلى الشر » . وفى نفس الموضوع يقول النبي صفنيا (٣/١٢ - ١٣) : « سأبقى فيما بينك شعبا وديعا فقيرا ، فيتحصنون باسم الرب . فبقية إسرائيل لا يصنعون الاثم ، ولا ينطقون بالكذب ، ولا يوجد فى أفواههم لسان مكر ، لانهم سيرعون ثم يضطجعون ، ولا أحد يزعجهم » .

وخلاصة ذلك كله أن الأبيونية الاولى كانت نوعا من التصوف الذى وصل إلى تعطيل بعض أوامر الدين ، مثل الذبيحة المحرقة وذبيحة القربان . ولكن يبدو أن روح المسالمة ، والسعى إلى النفع العام من جانب هؤلاء الأبيونيين القدماء جعلهم يعيشون فى سلام مع بنى ملتهم . ويظهر أنه كانت هناك بقايا منهم عند فتح الاسكندر المقدونى لفلسطين فى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد . فقد جاء فى كتابات الفيلسوف اليونانى تيوفراست ، تلميذ أرسطو ، قوله [1] إن هؤلاء اليهود شعب عجيب ، فكثير منهم قد وهب حياته للتأمل والدرس وتعليم خفايا الحكمة ومعرفة الحياة والكون . وهذا الوصف يطابق ما تردد من نصوص قديمة حول الإبيونيين الاول .

هناك مظهر آخر وأخير لهذه الإبيونية ، يتمثل فى فرقة يهودية ظهرت على أثر انتهاء أمر المسيح عيسى بن مريم من هذه الدنيا ، فآمنت به مع احتفاظها بيهوديتها وعنصريتها العبرية ، وسمى أبناء هذه الطائفة

---

(١) دائرة المعارف العبرية - المجلد الاول .

أنفسهم بالاسم القديم « الإبيونيين » ، واستمرت عقائدهم قائمة إلى أواخر القرن الرابع الميلادى ، ثم انطفأت بعد ذلك . وهذه الظاهرة هى التى دعتنا إلى الحديث عنهم فى معرض حديثنا عن الفرق اليهودية التى خطت خطوات ملحوظة من المسيحانية إلى المسيحية .

وإذا كان كثير من الباحثين قد زعم أن المسيح عيسى بن مريم قد تتلمذ قبل بعثته على الإسينيين ، فإن دائرة المعارف العبرية (١) ترى فى الإنجيل آثارا من حكمة الإبيونيين ، وتستشهد بما روى عن المسيح فى موعظته على الجبل (إنجيل متى ٥/٣-٩) : « طوبى للمساكين بالروح (الإبيونيين) فإن لهم ملكوت السموات . طوبى للودعاء فإنهم يرثون الأرض . طوبى للحزانى فإنهم يتعزون . طوبى للجياع والعطاش إلى البر فإنهم يشبعون . طوبى للرحماء لأنهم يرحمون . طوبى لأنقياء القلب فإنهم يعاينون الله . طوبى لصانعى السلام لأنهم يُدْعَوْن أبناءَ الله » .

وقد وردت بعض أخبار عن الإبيونيين فى كتابات آباء الكنيسة المسيحية الأول ، مثل ترتوليان وأوريجن وغيرهما ، تفيد أنهم حافظوا على الشريعة الموسوية كما هى فى التوراة بكل تفاصيلها ، ولكنهم آمنوا بعيسى المسيح إيمانا خاصا . فهم يقولون إنه ليس مخلصا سياسيا ولا دنيويا ولا ماديا ، ولكنه مسيح منقذ الأرواح ، يعلم الناس قاطبة تفاهة عرض الدنيا ومتاع هذه الحياة . جاء ليبين للبشر أنه لاخير فيمن يلهجون بكلام الله ثم يجرون وراء الثروة والجاه ، وأن الخير كل الخير فى

---

(١) نفس الموضع السابق .

التقوى والاستقامة وعمل مايرضى الله والناس . وهؤلاء الإبيونيين لم يؤمنوا بالمسيح على أنه أقنوم من أقانيم الثالوث المقدس : الآب والابن والروح القدس ، ولا بأن له قدرة إلهية ، بل هو بشر ورسول وعبد من عباد الله كسائر عباد الله . ولذلك فإنهم قاموا فى وجه القديس بولس عندما وضح مفهوم المسيح والدعوة المسيحية فى رأيه . وذكرت دائرة المعارف العبرية أن ترتوليان نسب اسم الإبيونيين إلى واحد من اليهود اسمه « أبين » أو « أبينا » ، وأضافت أن هذا لايعتمد على أى سند تاريخى ، وأن الوثائق لاتتضمن يهوديا بهذا الاسم أسس هذه الطائفة .

واستمر عداء المسيحين من تلاميذ القديس بولس للابيونيين ، الذين كانوا من جانبهم يتهمون هؤلاء المسيحين بخيانة تعاليم المسيح ، وتأليهه ، وجعل دينه وسيلة لاكتساب عرض الدنيا .

وكما قلنا وقع الإبيونيون بين عدوين ضاريين هما : المسيحيون على شريعة القديس بولس ، واليهود على شريعة التلمود ، فكان فى ذلك نناؤهم .

٧ ــ الغنوصية الصابئة

وهم عند اليهود جماعات تتفق على القول بأن المعرفة هى الطريق إلى الله ، وكانوا يريدون بذلك معرفة المادة والروح ، أو كما يقولون إدراك علم السموات والأرض . والظاهر أنهم كانوا فى بدايتهم تلاميذ للاسينيين أيضا ، وكان ولاؤهم القومى وتعصبهم الدينى لليهودية يكفل لهم احتراما بين الناس كالذى كان يتمتع به الإسينيون . ولكنهم مع مرور الزمن وجدوا من حولهم تراثا علميا من الامم الأخرى كالبابليين والفرس واليونان فأخذوا ماشاؤا من ذلك وراحوا يبتعدون عن اليهودية

التقليدية ، ويتخطون من المسيحانية إلى المسيحية هم أيضا ، على نحو جعل اليهود يمقتونهم ويعلنون تكفيرهم .

والظاهر أن هذه الغنوصية اليهودية ، مع الزمن أيضا ، تلونت ألوانا ، وتجزأت طوائف ، ربما كان منها طائفة الصابئة فى بدايتها ، وهم الذين يسمون كذلك « المندائيين » .

ولهؤلاء الصابئة دين خاص بهم تعتبرهم المسيحية واليهودية من أجله كفارا ، بينما يلحقهم الاسلام بأصحاب الديانات السماوية وأهل الذمة . ويقوم دينهم على نقاط مميزة أهمها :

١ - الإيمان برسالة موسى ، وهم يعملون بتوراته فى كثير من شئونهم ، وبخاصة فيما يحل ويحرم من الأطعمة .

٢ - يؤمنون بالله والملائكة والجن ، ويولون بعض الكواكب ، وبخاصة نجوما معينة ، شعائر تعظيم وتقديس ، الأمر الذى ترتب عليه أن يشيع بين عامة اليهود والمسيحيين والمسلمين أن الصابئة هم عبدة كواكب . يقول الأديب الفرنسى فولتير فى بعض كتاباته : « إننى أقنع برفع يدىّ إلى نجم الشمال ؛ فأنا على دين الصابئة » . (١)

٣ - يؤمنون بالمسيحانية ، وباليوم الآخر .

٤ - يؤمنون إيمانا مطلقا بأن يوحنا المعمدان نبى مرسل ، وأنه هو المسيح المنتظر ، ويسمونه فى كتبهم يحيى بن زكريا ، متفقين فى ذلك الاسم مع المسلمين .

ومعروف أن يوحنا المعمدان ، أو سيدنا يحيى بن زكريا ، قد ولد

---

(١) E Litiré; Dictionnaire de la Langue Française ; Paris 1883 ; tome 4 ; sub verbo Sabéen.

قبل المسيح بستة أشهر ، وكانت أمه إليصابات بنت عم السيدة مريم العذراء . وكان يوحنا يدعو إلى التطهر بالغطاس فى مياه الأردن ، ويعلن قرب مجىء المسيح . ويهدى الناس إلى طاعة الله . وكان فيما يبدو على عداء شديد للطوائف اليهودية التقليدية ، ينظرون إليه على أنه زنديق ومشاغب ومزعج للأمن ، ثم حدث أن هيرودس أنتيباس ، حاكم الجليل بشمال فلسطين تزوج من هيروديا التى كانت متزوجة من قبل بأخيه ولا تحل له ، وكان لها ابنة اسمها سالومى ، طلبت فى يوم عيد من زوج أمها أن يحضر لها رأس يوحنا المعمدان ، ويبدو أن الصبية طلبت منه ذلك بإيعاز من أمها ، لأن يوحنا كان يكثر من التشنيع على هـذا الزواج ، ونفذ هيردوس أنتيباس الطلب ، فاعتبر يوحنا شهيدا للحق ، بل قدوة للشهداء جميعا فى المسيحية الأولى . وبالغت الصابئة فى تقديسها له فاعتبرته هو المسيح ، وكفرت بسيدنا عيسى وبالإنجيل ، وزعمت أن عيسى ليس إلا مزيفا لدعوة المعمدان ، ومغتصبا للرسالة ولصفة المسيحانية ولذلك فهم يمجدون سيدنا يحيى فى صلواتهم اليومية ، وفى نفس الوقت يصبّون عكس ذلك على السيد المسيح عليه السلام .

٥ ـ أخذوا عن يوحنا المعمدان شريعة الغطاس ، واجتهاده فى القول بقدسية عقد الزواج ، بحيث يحرم الطلاق وتعدد الزوجات إلا زوجة ثانية فى ظروف خاصة ، كما أخذوا من الطقوس المسيحية القربان المقدس ، وإن كانت لهم تخريجات أخرى فى حكمة هذه الشرائع ومع ذلك فإنه يلاحظ حدوث تطور فى شريعة الزواج عندهم إذ يباح الزواج لرجال الدين ، ويباح لهم ولغيرهم الزواج باثنتين لا واحدة فى حالات معينة .

٦ - لهم أساطير دينية كثيرة، معظمها يتعلق بالصلة بين البشر والكواكب، كما يتعلق بعضها بالطوفان والمعصية الأولى وبداية البشر وخلق العالم، ومن المفيد جدا الاهتمام بدراسة هذا التراث، فبعضه قد تسرب إلى القصاصين المسلمين والمسيحيين، ويوضع حتى الآن تحت الكلمة العامة «الإسرائيليات».

وللمندائيين الصابئة نصوص مقدسة مكتوبة بلغة تعتبر لهجة آرامية وتسمى اللغة المندائية، ولها حروف خاصة بها في الكتابة تتأرجح بين السريانية النسطورية والنبطية والعبرية. وقد عرفوا بأسماء أخرى منها «الأقدمين» أو «الشيوخ»، ويسميهم بعض اليهود «نصارى يوحنا المعمدان»، أما «المندائيون» فتعني «أهل المعرفة».

ويقيم عدد منهم الآن في العراق، وإن كان اتصالهم بتراثهم وشريعتهم قد أصبح محدودا جدا، كما هي الحال لدى السامريين.

وفيما عدا فرقة الصابئة يصعب جدا الإلمام بكل أصحاب الأهواء من اليهود الذين كانوا يظهرون على مدى أجيال طويلة من القرن الأول قبل المسيح إلى القرن الرابع بعده، والذين يعتبر من أشهرهم اليهودي حزقيا، الذي اشتهر باسم فالينتينوس القبرصي، الذي باشر نشاطه في القرن الثاني الميلادي والكارثة واقعة على رءوس اليهود في أعنف صورها بيد الإمبراطور الروماني هدريان. ولذلك لم تكن فلسفته الغنوصية ذات أثر كبير في اليهودية من بعده وإن كانت قد أثرت تأثيرا عميقا في المسيحية.

٨ — اليودجانيــة

بعد أن استتب الأمر للدولة الإسلامية بجهود النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده ، كانت طوائف أهل الكتاب من يهود ومسيحيين وصابئة تخضع لتشريع واضح ، تتمتع فيه بحرية العقيـدة والثقافة وتعيش فى ذمة المسلمين وتحت حماية دولتهم . وهكذا مضت الحقب الأولى للدولة الإسلامية بدون أن تقع حوادث تاريخية جسام على الصعيد الفكرى لدى أهل الكتاب .

ولكن فى عهـد الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان (٦٨٥ - ٧٠٥ ميلادية) ظهر بين اليهود رجل اسمه أبو عيسى (عوبديا) الأصفهانى، فادعى النبوة ، وأراد أن يكتل أبناء دينه حول دعوة جديدة تهدف إلى الحصول على كيان قومى لهم ، إلا أن دعوته لم تلق ما كان يؤمل فيه هو من نجاح .

ولكن تلميذا لأبى عيسى الأصفهانى اسمه « يودجان » قام من بعده وراح هو أيضا يدعى النبوة بين اليهود فى منتصف القرن الثامن الميلادى . وكان حظه أحسن قليلا من حظ شيخه ، فتبعه عدد من التلاميـذ والمريدين واشتد إيمانهم به بعد موته ، حتى قالوا إنه المسيح المنتظر، وأنه سيرجع من السماء مرة ثانية . وأطلقوا عليه لقب الراعى . وزعموا أن الزمن الذى يفصل بينه وبين النبى دانيال هو ١٣٣٥ سنة ، وأنهم وجدوا فى سفر دانيال ما يفهم منه أن المسيح سيأتى بعد هذه الفترة من الزمن . وتقول دائرة المعارف العبرية [١] إن لقب « الراعى » الذى

(١) المجلد الخامس.

أطلق عليه ، قد وصل إلى علماء المسلمين محرفا ، فسماه الشهرستانى « الداعى » .

وأهم ما يعرف من تعاليم يودجان التى يقال إنها نفس تعاليم أبى عيسى الأصفهانى أنهما أوصيا بالتقشف والنسك ، والإكثار من الصوم والصلاة . وجعلا تناول اللحم والخمر حراما فى وقت النسك . والظاهر أن الدعوة كانت تتضمن برنامجا للتوعية الصهيونية ، فإن يودجان وأبا عيسى أعلنا أن طقوس السبت والأعياد ليست فرضا واجب الأداء فى فترة تشريد اليهود فى الأرض ، وأن من يقوم بها إنما يفعل ذلك فقط لإحياء ذكرى شعائر السلف الأقدمين . كذلك عطل يودجان عددا من الشرائع مسببا ذلك بأنها واجبة التنفيذ فقط عندما تكون لليهود دولة فى فلسطين . وكان يرى أن تفسير التوراة يجوز أن يؤدى إلى استخراج المعانى البسيطة الظاهرة المباشرة ، كما يمكن أن تستنبط به الأسرار الباطنية الرمزية . وكانت اجتهاداته فى هذه التأويلات الباطنية شديدة الجموح والشطط .

وفى غضون القرن العاشر الميلادى ، فى حكم الخلفاء العباسيين ، كانت اليودجانية قد تقلصت وقل عدد أتباعها وتجمعوا كلهم تقريبا فى مدينة أصفهان ، ومالوا إلى التأثر بمنهج المتكلمين المسلمين من المعتزلة . وما أن ظهرت فرقة اليهود القرائين حتى اتبعوها .

ولعل من المفيد أن نذكر ما نقلته دائرة المعارف العبرية عن الشهرستانى من قوله إن يودجان كان يهوديا من مدينة همذان ، واسمه بالعبرية يهوذا . وقد وجد علماء اليهود فى كتابات إبراهيم بن عزرا

الأندلسى قوله إن يهوذا الفارسى ألف كتابا قال فيه إن تقويم السنين عند اليهود يحسب على الشمس . فذهب هؤلاء العلماء إلى أن يودجان أو يهوذا المولود فى همذان عند الشهرستانى ، هو نفس يهوذا الفارسى عند إبراهيم بن عزرا .

وأشار الشهرستانى إلى شعبة من اليودجانية كانت تسمى «الموشكانية» نسبة إلى مؤسسها الذى كان اسمه «موشكا» . وكان هذا الرجل أشد عنفا من سابقه فقال بوجوب قتال الخارجين على الدين . ويقال إنه خرج لقتال كهذا فقتل بالقرب مدينة «قُم» بإيران .

ومن بين الموشكانية من يقولون إن محمدا صلى الله عليه وسلم نبى حق ، وأن الله أرسله إلى العرب وإلى بقية الامم ما عدا بنى إسرائيل ، وقد اشتهر هذا الرأى أيضا عن أبى عيسى الاصفهانى .

ومن شظايا اليودجانية كذلك طائفة الشادجانية الذين تزعمهم يافث بن على ، وكانوا يقولون بإسقاط الشعائر وأحكام النجاسة والطهارة طالما شعب الله المختار يعيش مشردا فى البلاد . وقد لاحظ مؤرخو الفكر الدينى الإسرائيلى أن كل هذه الفرق والشعب يحيطها غموض كثيف جداً . حتى لقد وجد اسم فرقة أخرى هى الشاركانية التى يكاد الرأى يجتمع على أنها هى الشادجانية وأن أحد الاسمين محرف عن الآخر[1].

---

(١) دائرة المعارف العبرية ، الموضع السابق .

٩ ـ القراءون

تسمية القرائين بهذا الاسم ترجع إلى أن العهد القديم ، أى التوراة والانبياء والكتب ، كانت تسمى عند اليهود « المقرا » أى « المقروء » أو « القرآن » . وهذه الفرقة رفضت المنعنات الحبرية ، والمرويات الشفوية ، التى تناقلها « التناءون » فى المشنا ، و « الاموراثيون » فى التلمود ، وكفرت بها ، وجعلت المرجع الاول والآخير فى الدين هو النص المقدس المكتوب المنزل المسمى « المقرا » ، فأصبح أتباعها يسمون لهذا السبب القرائين .

فهذه الفرقة إذن تأتى بعد فرقة السامرة من حيث حدود النص المقدس المعمول به . فالسامرة كما قلنا يؤمنون بأسفار موسى الخمسة التى تسمى التوراة فقط ، ويضيفون إليها سفر يوشع بن نون مع التسامح والتساهل ، دون أن يؤمنوا ببقية العهد القديم من أسفار الانبياء والكتب . والقراءون أوسع منهم دائرة فهم يؤمنون بهذا كله ولكنهم يرفضون ما سواه ، أما الربانيون فإن المشنا والتلمود لهما عندهم نفس القدسية التى للمقرا . ومن هنا نشأت المشاكل العظيمة بينهم وبين القرائين.

ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى تصطدم فيها اليهودية الجماهيرية بحملة تشكيك فى تراثها الدينى ، فالمسيحية التى حمل لواءها القديس بولس قد أعلنت بصراحة وحسم نهيها عن الرجوع إلى المرويات الشفوية الفريزية ، ونددت بها ، ووصفتها بالمسروق والتزييف والتدجيل ، بل أوقعت فى نفوس المؤمنين أن الشريعة المكتوبة فى العهد القديم قد

أصبحت منسوخة بالعهد الجديد . وفى ذاك الوقت لم يكن نص المشنا ، فضلا عن التلمود ، قد انتهى بعد إلى الصورة المعروفة . ولما كان لكل فعل رد فعل فإن الأوساط اليهودية العلمية المحافظة قد انساقت فى تيار هذا التحدى ، فاشتد اهتمامها بالمشنا والتلمود ، ونظمت صفوفها على أن يكون ذلك هو الطابع المميز لها إلى الابد ، وهو الملجأ الفكرى والروحى الذى تتحصن من ورائه ضد جميع الهجمات .

وفى ظل الإسلام ، والتلمود ما يزال حديث العهد بالجمع والتثبيت والتسجيل ، قام منشقون من بين اليهود أنفسهم يهاجمونه وينكرونه ، وفى مقدمتهم سيرينوس ثم أبو عيسى الاصفهانى وتلميذه يودجان من بعده . ولكن حركاتهم كانت محدودة فى الزمان والمكان والقوة مما جعلها تنقلب إلى عنصر منشط للعصبية التلمودية ، بحيث ازداد الربانيون على أثر ذلك وعيا وإمعانا فى العناية بهذا التراث والحفاظ عليه .

وحدث فى النصف الأخير من القرن الثامن الميلادى (حوالى سنة ٧٦١ م) أن توفى حاخام العراق الأكبر ، ورأس الجالوت فى الدولة الإسلامية ، وزعيم المحافظين على التلمود بحكم منصبه ، وكان اسمه الجاوّن سليمان . ويبدو أنه لم يترك أولادا يخلفه أحدهم فى وظيفته . وكان أحق المرشحين لذلك ابن أخيه عنان بن داود . وكان صاحبنا هذا معروفا بميوله التحررية ، وبخاصة إزاء شرائع التلمود . فعارض فى انتخابه أكبر رجلين باقيين على رأس اليهود فى الدولة الإسلامية وهما : رئيس أكاديمية سورة ، الجاوّن الأعمى يهوداى (رأس الاكاديمية من ٧٥٩ إلى ٧٦٢) ، ورئيس أكاديمية فومبديتا ، الجاوّن داوداى (رأس

الأكاديمية من ٧٦١ إلى ٧٦٤) ، واختـارا لزعامة يهود العراق الأخ الأصغر لعنان بن داود واسمه « حنانيا » .

وحدثت على أثر ذلك فتنة بين أنصار عنان وأنصار حنانيا . واستنجد أنصار عنان بأمير المؤمنين أبي جعفر المنصور ليفرضه فرضا فى هذا المنصب ، ولكنه آثر أن يترك الأمر لليهود أنفسهم ، وهكذا استقر حنانيا فى رئاسة الجالوت . وعلى عادة اليهود من ترويج القصص والأساطير ، نجد القرائين يقولون هنا إن أنصار حنانيا سعوا ضد عنان عند الخليفة ، وأفهموه أنه يتآمر على الدولة فوضعه فى السجن تمهيدا لإعدامه . وتضيف هذه الأخبار التى لا توجد عليها أية رقابة أن بعض المسلمين الموجودين معه فى الحبس نصحه بأن يعلن أنه لاينتمى نهائيـا إلى هذه الطـائفة من اليهود ، وأنه يخالفهم فى الاعتقاد ومن أجل ذلك دبروا له تلك المكيدة . وتقول الحكاية إن الخليفة المنصور اقتنع بهذا الكلام وسمح له بالمعيشة فى فلسطين هو ومن يتبعه من اليهود .

ويقول المؤرخ اليهودى الألمانى جريتس[1] أن عنان بن داود قام فى فلسطين بحملة شعواء ضد التلمود وأصحابه للأذى الذى لحقه منهم ، ولحقده عليهم إذ لم يرضوه رئيسا لهم ، ويضيف إلى ذلك أن عقيدته القرائية تأثرت بمذهب الشيعة المسلمين الذين كانوا يقفون فى وجه أهل السنة فى ذاك الوقت . وكلام جريتس هذا فيه خطأ وخلط كثير ، ربما دعاه اليه تعصبه الشديد ضد القرائين ، فهو مؤرخ اليهودية التلمودية وداعيتها الأكبر فى العصر الحديث ، إلى جانب كرهه الأصيل للمسلمين وجهله بالإسلام .

---

(١) نفس كتابه السابق ، المجلد الثالث ، ص ٣١٨ .

فمن المعروف أن المتكلمين المسلمين فى هذا القرن الثامن الميلادى بالذات كانوا فى منتهى النشاط ، ولم يكن الأمر إذ ذاك مقصورا على النضال الفكرى والدينى والسياسى بين السنة والشيعة ، بل كان هناك ما هو أهم من ذلك ، كان هناك المعتزلة المسلمون الذين تزعمهم إمامهم واصل بن عطاء المولود سنة ٦٩٩ م فى المدينة المنورة والمتوفى بالعراق سنة ٧٤٨ م ، أى قبيل حركة عنان بن داود ببضع سنين . وقد كان من أهم ميول المعتزلة فيما يتصل بأصول الدين ، عدم الأخذ بالحديث ، والتحرج من اعتباره مصدرا أساسيا للتشريع الاسلامى وكانت حجتهم فى ذلك أن كتاب الله ، القرآن ، يستغنى بنفسه عن التكملة بشىء آخر فقد جاء فيه « مافرطنا فى الكتاب من شىء » . وكانوا يشيرون دائما إلى أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى الصحابة أكثر من مرة عن كتابة الحديث ، حتى لايختلط بما يكتبونه من القرآن ، ولو كان عليه الصلاة والسلام يراه ضروريا للتشريع لأمر بكتابته كما أمر بكتابة القرآن . وكان المعتزلة يضيفون إلى ذلك أن رواة الحديث قد شاع فيهم الضعفاء والكذابون وغير المدققين بحيث أصبح القليل منه جديراً بالتوثيق ، وهذا القليل الصحيح لايكاد يضيف جديدا إلى ماجاء به القرآن الكريم . وقصارى القول إن المعتزلة وقفوا من المرويات الشفوية الإسلامية موقف الحذر الشديد ، وهو موقف يختلف تماما عن مناهج الشيعة والسنة فى الأخذ بالحديث والاكثار منه .

فالأقرب إلى المعقول هو أن يكون عنان بن داود قد أخذ وجهة النظر الاسلامية هذه عن الفرقة الجديدة المتألقة التى تجمع من حولها كل المتطلعين إلى التخلى عن الجمود ، وفى تحكيم العقل فى ذلك العصر ، وهى

فرقة المعتزلة - لا الشيعة . وكان الأمر أمام عنان سهلا واضحا ، فإن مرويات التلمود تختلف عن الحديث الشريف فى أنها لاترتفع أبدا بسند متصل إلى موسى أو من بعده من الأنبياء ، وفى أنها تتناقض تناقضا صارخا فيما بينها ، وكذلك فيما بينها وبين التوراة . ولذلك قلنا إن الحقد على الربانيين لم يكن وحده السبب الأساسى ولا السبب الأول لحركة عنان ولو كان الحقد وحده هو الذى دفعه إلى أن يعمل شيئا لكان اعتنق الإسلام مثلا ، ولأمكنه بعد إسلامه أن ينكل بالحاخامين فكريا وسياسيا أيضا . كان الرجل تلميذا للمعتزلة ومتأثرا بموقفهم فى الإسلام من الحديث ، وذلك هو جوهر رفضه للتلمود .

والذى جعل الحركة القرائية تبدو خطيرة فى عين اليهودية الجماهيرية هو تبحر زعيم القرائية فى التلمود وكثرة رجوعه إلى نصوصه بقصد تنفيده رهدمه . كذلك رجع إلى الكتابات القديمة التى تنكرت للعقلية التلمودية ، كالإنجيل والقرآن ، وقال إن عيسى بن مريم ليس زنديقا كما يدعى الفريزيون ، وأنه لم يشوه التوراة ولم يكذبها أو ينسخها ، وأنه كان رجلا من البشر ، من بنى إسرائيل . تقيا صالحا ، لم يفكر قط فى النبوة أو الألوهية ، بل كان مصلحا ، يريد أن يخلص شريعة موسى من المفاهيم المنحرفة التى ألصقها الناس بها .

ونادى عنان كذلك بأن محمدا نبى حق ، وأنه كعيسى بن مريم لم يفكر قط فى مخالفة التوراة ، أو التعدى عليها ، أو نسخ شرائعها .

واشتد الصراع بين الربانيين والقرائين ، فأعلن رؤساء كل طائفة تكفير الطائفة الأخرى ونجاستها وحرمانها من رحمة الله ، ومنعوا الصلاة

كل منهم فى معابد الآخر ، وحرموا كل مشاركة دينية أو شعبية من قبل أية طائفة من الطائفتين مع الاخرى ، من الاكل على مائدة السبت أو الاعياد إلى الزواج الذى حرم نصاً بين الطائفتين .

وجرت اليهودية الربانية على تسمية القرائين بالاسماء التى كانوا يطلقونها قديما على الصدوقيين وغيرهم من الطوائف الخارجة ، فسموهم « مينيم » أى الزنادقه أو الكفرة ، وكذلك « أبيقوريم » أو « أبيقورسيم » أى الابيقوريين ، نسبة إلى هذه المدرسة الفلسفية اليونانية الوثنية التى شاع عنها عند عوام اليهود الميل إلى الإنحلال واللا أخلاقية . وأوصوا كل الائمة أن يندددوا بهم من على المنابر فى المعابد ، وأن يهاجموهم ويثبتوا تكفيرهم .

ولم يقصّر القراءون من جانبهم فى فضح الربانيين والسخرية منهم حتى فى تفسيرهم للكتاب المقدس . فهناك مثلا قصة فى سفر زكريا تقول (زكريا ٥/٥ - ١١) : « وخرج الملاك الذى كلمنى ، وقال لى أرفع عينيك وانظر ماذا يخرج . فقلت ماهو ؟ فقال هذه هى الإيفة [١] خارجة ثم قال هذه عينهم فى كل الأرض . وإذا بقنطار رصاص قد رفع ، وبامرأة جالسة فى وسط الإيفة فقال هذه هى الخبث ، والقاها فى وسط الإيفة وألقى كتلة الرصاص على فمها . ورفعت عينى ونظرت ، وإذا بامرأتين خرجتا والريح فى أجنحتها ، ولها أجنحة كأجنحة اللقلق، فرفعتا الإيفة بين الارض والسماء . فقلت للملاك المتكلم معى إلى أين

---

(١) الإيفة فى اللغة العبرية مكيال للحبوب كبير الحجم.

هما ذاهبتان بالإيفة ؟ فقال لى لو لتبنيا لها بيتا فى أرض شنعار ، فإذا تهيأ ترسى هناك على قاعدتها ». ويقول القراءون إن هذه الإيفة ، وهى وعاء المكيال الكبير الذى جلس فيه الخبث فى صورة امرأة على فمها كتلة من الرصاص ، هى الشريعة التلمودية . وأرض شنعار كما هو معروف هى بابل أو العراق ، والمرأتان اللتان تطيران بالخبث لإقراره هناك هما أكاديمية سورة وأكاديمية فومباديتا . منذ أن ظهر هذا التفسير جرى عرف القرائين إذا تحدثوا عن الأكاديميتين التلموديتين أن يقولوا عنهما باختصار « المرأتان » .

وبعد موت عنان اعتبره القراءون قديسا ، وجعلوا له دعاء خاصا فى صلواتهم : « رحم الله الأمير عنان ، رجل الله ، الذى مهد طريق التوراة وفتح عيون القرائين ، وأبعد عن المعصية عددا كبيرا من إخوته ، وبين لنا سواء السبيل . فليجعل الله له مكانا مرموقا بين السبعة المختارين لدخول الجنة [١] » . وقد تولى رئاسة الطائفة بعد موته إبنه شاؤل .

ومع الزمن ظهرت فى مجتمع القرائين مدارس علمية قوية اهتمت بدراسة اللغة العبرية ، وكان من أشهرهم فى القرن العاشر الميلادى أبو سليمان داود بن ابراهيم الفاسى ، مؤلف قاموس التوراة الكبير الذى يشرح فيه ألفاظ الكتاب المقدس العبرى باللغة العربية ، واسمه كتاب « جامع الألفاظ » ، أو « الأحرون » ، كما ظهر من بينهم محققون لقراءة الكتاب المقدس ، ومفسرون له ، تراكمت تفاسيرهم من الزمن حتى إنه يروى عن عنان أنه قال لأتباعه « اتركوا نهج المشنا والتلمود ، وأنا

(١) دائرة المعارف العبرية — المجلد التاسع .

أصنع لكم تلمودا من عندى » . (١)

ومن أقطاب الفكر القرائى بنيامين بن موسى النهاوندى ، ومن بعده دانيال القومسى - أو الوجانى، الذى خالف شريعة عنان فى بعض المسائل فى أخريات أيامه ومنهم أيضا ابن ساقويه صاحب كتاب « الفضائح » الذى هاجم فيه المشنا والتلمود والربانيين .

وتولى زعامة القرائين فى القرن العاشر الميلادى يعقوب القرقسانى ، وكان متبحرا عالما كما كان معاصرا لواحد من عباقرة الربانيين هو سعديا سعيد بن يوسف الفيومى ، فعاد الجدل إلى نشاطه فى أيامها ، وكتب سعديا كتابه المشهور « الرد على عنان » ، كما أنه ألف فى عقائد اليهود على مذهب الربانيين « كتاب الأمانات والاعتقادات » ، الذى تأثر فيه من جانبه هو أيضا بمذهب المعتزلة المسلمين . وكان فى ذلك الزمن واحد من أكبر المتطرفين القرائين هو سلمون بن يروحم . وقد لقى من القرائين احتراما كبيرا جدا لشدة مهاجمته التلمود وأصحابه : ومنهم فى هذا الجيل أيضا حسون بن مشيح ، وكان مفسرا للتوراة ، شديد الجدل . ويقال إنه كان يرجع إلى بعض التراث الذى بقى من فرقة الصدوقيين القديمة ، فقد كان يذكر فى كتاباته ما يسمى باسم « كتاب الصدوقية » .

ومن أئمتهم المعروفين أيضا داود بن بوعز الذى يلقبونه بلقب الرئيس وله تفاسير على أجزاء من التوراة ، كما ألف كتابا فى أصول الدين

(١) نفس المصدر

سماه «كتاب الأصول» . وفى القرن الحادى عشر الميلادى ازدهرت مدرسة قرائية تخرجت على يافث بن على اللاوى وسهل بن مصلح ، وكان منها ليفى بن يافث اللاوى ، ويوسف بن إبراهيم الراعى ويشوعا بن يهوذا وقد خرّج هذا الأخير على يديه تلميذين نشرا المعتقد القرائى فى الإمبراطورية البيزنطية ، أحدهما هو طوبيا بن موسى المترجم ، وكان متطرفا شديد الجدل مع الربانيين ، والثانى هو يهوذا هاداسى مؤلف كتاب «مجمع المطور» (إشكول هكوفر) الذى يحتوى على أهم وأندر شروح القرائين الاولين.

واستمرت حركتهم العلمية نشيطة حتى مستهل القرن السابع عشر الميلادى، ثم جمدت بعد ذلك مع وصول الوعى الثقافى والقوى الاوروبى إلى إلى أعدائهم الربانيين ، بينما استمروا هم مرتبطين بمصير الشرق الذى ظهرت فيه مدرستهم وكان الجمود قد خيم عليه . فأكثر القرائين كانوا يقيمون فى مصر والشام وتركيا والعراق وإيران وبعض أجزاء من روسيا وأوروبا الشرقية . وكان الحكم التركى والقيصرى والإيرانى فى حال من التخلف والظلام جعل القرائين اجتماعيا ودينيا وفكريا يعانون نفس الأزمة التى يعانيها العرب والمسلمون ، فضلا عن قلة عددهم بالنسبة لليهود عموما .

ولكن القرون السابقة على القرن السابع عشر قد احتفظت للقرائين، بعد الطبقات الأولى من علمائهم الذين سبقت الاشارة إليهم بأسماء شهيرة جديرة بالذكر ، مثل الياهو بن ابراهام ، وهارون بن يوسف الذى وضع صيغة كتاب الصلوات القرائية فى شكله النهائى ، وكان طبيبا عالما عاش بالقسطنطينية ، والقراءون يذكرونه بلقب الشيخ . كذلك اشتهر من بينهم هارون بن الياهو النيقوميدى ، والياهو بن موسى بن مناحم

الذى كان قد تتلمذ على بعض الربانيين فى بداية حياته ، مما أتاح له أن ينبغ فى الفقه القرائى ، هو وصهره الذى تتلمذ عليه اليـــاهو بن كالب أفندوغلو .

تقلص ظل القرائين فى العصر الحديث ، مع انتشار اليهود الربانيين بعددهم الكبير فى أوروبا وأمريكا وكثير من البلاد التى استعمرها الغرب فى أفريقيا وآسيا ، مما أدى إلى الوصول إلى مستوى حضارى ومالى وسياسى لايستهان به من جانب مجتمع الربانيين ، بينما ظل القراءون منكمشين فى الشرق ، يعيشون حياة بعيدة عن الثراء الواسع أو الأهمية السياسية الخطيرة . وقد أدى هذا الفرق الكبير فى العـــدد والثروة والمستوى الفكرى والأهمية السياسية إلى ما يشبـــه أن يكون سحقـا للقرائين على يد الربانيين .

وتأكد ذلك مع ظهور الصهيونية ، فالوطن اليهـــودى فى فلسطين كان يخططه ويعد العدة له يهود كلهم ربانيون ، ولم يكن فى تفكيرهم الواعى ولا فى عقلهم الباطن أى حساب للقرائين . وهكذا كانت الطائفة القرائية منذ البداية معادية للصهيونية نافرة منها ، وما تزال كذلك حتى الآن ، لأنها ترى فيها أكبر خطر يهددها وهو استيلاء الكفرة الربانيون الأعداء على كل مقدسات إسرائيل . وكان للقرائين فى تركيـا وروسيـا ومصر نشاط ملحوظ ضد الصهيونية . ولكن هـذه الأخيرة استعانت بالجواسيس والعملاء ، واستغلت ظروفا حربية وسياسية معينة لاصطياد بضعة آلاف من القرائيين وإدخالهم إلى إسرائيل . وهم يعيشون هناك كرهائن ، وكوسيلة للمساومات السافلة مع من بقى من القرائين خارج

هذا الشرك ، إذ أرغمتهم الصهيونية على التزام الصمت والكف عن مهاجتها حرصا على حياة أبناء الطائفة فى إسرائيل وأمنهم .

وشريعة الربانيين فى التلمود تغذى حقدهم على القرائين ، فقد قلنا مثلا إنها تحرم الزواج منهم ، وإذا حدث تعتبره زنا ، وتعتبر الأطفال المولودين منه غير شرعيين ، ولا ينتمون إلى شعب الله المختار . وقد أفتى بعض الربانيين ، ومنهم سعديا الفيومى ، برفض عودة القرائى إلى مذهب الربانيين ، على اعتبار أنه مرتد عن الدين ، بينما رأى آخرون أن القرائى ، بما أنه ليس يهوديا ، يمكنه الدخول فى دينهم على أساس أنه غريب من « الجوييم » مع كل ما يترتب على ذلك من تحديد فى الحقوق المدنية والشرعية ، وحرمان هذا المعتنق الجديد من أن يصبح يهوديا من بنى إسرائيل بالحظ الكامل . وفى كل المعاملات المالية ، وكذلك فى الطعام والشراب يعتبر القراءون « جوييم » ، وقد منع بعض الفقهاء مع ذلك اقراضهم المال بالربا ، على أساس أنهم يؤمنون بموسى وتوراته ، ويحترمون السبت فلهم فى ذلك ما لسائر اليهود عن حقوق وهو منع الربا معهم . وأفتى البعض بأن الربانى يقترض من القرائى بدون ربا ويقرضه بالربا .

ووصلت العداوة وتهم التكفير بين الفريقين إلى حد أن الحاخام الربانى البيزنطى كبسالى ، الذى عاصر دخول الأتراك إلى القسطنطينية ، نهى أن يعلم أحد الربانيين التوراة لقرائى . كما أنه يحرم على الربانيين أن يقرأوا فى نسخة من التوراة كتبها أحد القرائين ، حتى ولو كانت صحيحة ، على أساس أنهم غير طاهرين .

كل هذه العداوة الشديدة تثبت شيئا واحدا وهو أن اليهودية الجماهيرية الربانية لم تصطدم بحركة فكرية ودينية - بعد المسيح عليه السلام ودعوته - أخطر على الفكر الإسرائيلى العام من حركة القرائين ، التى استمدت عناصر قوتها ورسوخها من المناهج الاسلامية ثم انطوت مع الانطواء السياسى للفكر العربى أيضـــا فى أواخر العصور الوسطى وأوائل العصر الحديث .

والآن ، هل تنتفض القرائية وتنهض من جديد ؟ هذا أمر مستبعد تحت الثقل الساحق للربانية وصهيونيتها ، ولكن ربما أثر المذهب القرائى فى الفكر اليهودى العام بحيث تتولد من هذا التفاعل اتجاهات أكثر تعقلا.

١٠ — المارانوس

هم طائفة من اليهود ظهرت فى إسبانيا والبرتغال منذ بداية القرن الخامس عشر الميلادى ، عندما قـــوى أمر المسيحية الكاثوليكية فى تلك البلاد ونجحت فى طرد المسلمين وإزالة الإسلام منها . ولما كان اليهود قد عاشوا فى ظل الحضارة العربية بالأندلس معيشة لعلهم لم يروا مثلها رخاء وحرية وتقدما لا على أيام سليمان وداود ولا فى دولة إسرائيل الصهيونية المعاصرة ، فإنهم من جانبهم كانوا على ولاء صادق للعرب والمسلمين فى هذه البلاد مما جر عليهـــم الويلات من جانب المسيحية الكاثوليكية . فقد ظهرت كما نعلم محاكم التفتيش المشهورة التى كان هدفها محو كل ما هو غير مسيحى كاثوليكى هناك . وكان اليهود فريسة سمينة وسهلة ، لانعدام من يحميهم ، ولتجمعهم فى قرى وبلاد وأحياء خاصة بهم . كان الكاثوليك يهاجمونهم فى مواطنهم هذه فينهبون ويسلبون ، ثم

يأخذون كتبهم وأدواتهم الدينية المختلفة فيجعلونها كومة كبيرة فى ميدان عام ويشعلون فيها النار بين تهليل الجماهير وصياحهم وسرورهم ، وكان هذا المنظر يتكرر بصورة عادية حتى أصبح يسمى فى تاريخ الاضطهادات اليهودية باسم «أوتودافى» أى الإحراق بالنار ، وكان أحيانا يؤتى باليهود أنفسهم مكبلين بالقيود فيطرحون فى هذه النار أيضا . وفى بعض الظروف كان يعرض عليهم أولا اعتناق المسيحية ، فمن أبى منهم قتل ومن قبل ذلك نجا بحياته . وقد بدأت هذه الاجراءات فى إسبانيا منذ عام ١٣٩١ ميلادية ، وكان هؤلاء اليهود المتنصرون يسمون بالاسبانية «كونفيرسوس» بمعنى المعتنقين للدين ، وكان البرتغاليون يسمونهم «كريستاوس نوفوس» بمعنى المسيحيين الجدد (١) .

وقد عز على بعض هؤلاء اليهود المتنصرين أن يتركوا ديانتهم القديمة بالقوة ، فاتفقوا سرا فيما بينهم على أن يعيشوا فى بيوتهم وفى المجتمع مثل الكاثوليك تماما ، وأن يبنوا فى الأحياء التى يعيشون فيها معابد شكلها الخارجى كالكنيسة الكاثوليكية بكل ما يمكن أن تحتوى من أجراس وصلبان وصور وتماثيل . حتى إذا اجتمعوا فى داخلها عادوا يهود كما كانوا ، يتعبدون حسب الطقوس الإسرائيلية . لذلك يسمون عند اليهود «أنوسيم» وهى كلمة عبرية معناها «المضطرين» أو «المكرهين» أو «المغلوبين على أمرهم» ، وواضح من مجرد هذه التسميات أنهم كانوا موضع عطف من سائر اليهود ، لأنهم على الأقل بهذه التسمية قد التمسوا لهم العذر .

---

(١) دائرة المعارف العبرية . المجلد الثانى ، تحت لفظة (أنوسيم) .

أما كلمة « مارانوس » فقد اختلف فى أصلها ، قيل أنها تحريف من كلمتين تبدأ بهما صلاة مسيحية بالآرامية ، هما « مارَنْ آث » ومعناها « أنت مولانا » والخطاب بهما موجه إلى المسيح . وكان محتوما على اليهودى الأندلسى الأصل أن ينطق بهما كثيرا لإبعاد الشبهة عن نفسه ، ثم أصابها التحريف فصارتا « ماراناس » ثم مارانوس .

وهناك رأى آخر هو أقرب إلى المعقول خلاصته أن « مارانو » باللهجة العامية الإسبانية القديمة كان معناها «الخنزير» ، فتكون «مارانوس» صفة ذم لكل الذين دخلوا الدين المسيحى وهم غير أوروبيين ، ولا ينحدرون من أصول لاتينية ، كاليهود مثلا ، ويكون المراد وصفهم بأنهم خنازير . والذى يقوى ذلك أن الذين بقوا من العرب فى الأندلس بعد قيام المسيحية هناك ، ودخلوا فى هذا الدين كانوا ، هم أيضا ، يسمون « مارانوس » وعلى كل حال فان كلمة « مارانوس » أصبحت فى الإسبانية والبرتغالية والفرنسية تعنى المنافق ، والخائن ، والدنىء ، واللص ، والكذاب ، ونحو ذلك من صفات اللؤم والخسة .

عاش المارانوس فى خليط عجيب من الطقوس يظهرون النصرانية ويبطنون اليهودية ، وكان بعضهم مع ذلك لا يستطيع أن يستر احتقاره للدين الجديد ، فمن ذلك ما روته دائرة المعارف العبرية من أن أحد هؤلاء المارانوس اضطر إلى حضور الصلاة فى كنيسة كاثوليكية حقيقية، وعندما كان المصلون يمثلون أمام تمثال المسيح على الصليب سمع هذا اليهودى يتمتم فى سره قائلا : « وأسفاه . من الذى يرى هذا ويستطيع الايمان به ؟ » فسمعه بعض الحاضرين وذهب يشكوه إلى أمير أشبيليه .

وكان بعض المشرفين على محاكم التفتيش موجودا فقال للأمير : إذا شئت أن تتأكد من أن المارانوس هم أولا وقبل كل شىء يهود ، فلنصعد معا ليلة السبت إلى القامة وننظر ، وسوف تستطيع وأنت ترى شموع السبت على الموائد أن تعرف بيوت المارانوس من غيرهم . وكان يقال أن لهذه الطائفة حاخامين مستورين وجزارين يذبحون لهم اللحم ويوزعونه سرا ، ونحو ذلك من مظاهر الحرص على إقامة الشريعة رغم الصعاب والعقبات (١) .

وقد جر عليهم ذلك السخط والاضطهاد كالذى حدث فى طليطلة سنة ١٤٤٩ ، وسنة ١٤٦٧ من قتل وسلب ونهب واحراق لبيوت المارانوس. وحدث فى قرطبة مثل ذلك سنة ١٤٧٣ ، ثم انتشر هذا السخط فى نفس السنة والسنة التى تليها فعم بلادا أخرى من إسبانيا . وفى البرتغال اشتعلت روح الغضب ضد المارانوس فى لشبونة سنة ١٥٠٦ فقتل منهم عدة مئات فى يوم واحد . وكان تعرض الطائفة لتلك الحملات الوحشية مدعاة إلى العطف عليهم كما قلنا ، فقد وجد فى كتاب خاص بصلوات الأعياد اليهودية فى روما يرجع إلى سنة ١٤٤١ ، دعاء هو « لترحم الحضرة الإلهية إخواننا المكرهين من إسرائيل المتروكين فى الضيق والأسر، ولتعطف عليهم ، ومن أجل اسمه العظيم يخلصهم ويخلصنا ويخرجهم ويخرجنا من الضيق إلى الفرج ومن الظلمة إلى النور ونحن نقول آمين ».

وقد اختلفت نظرة الفقهاء اليهود إلى المارانوس ، ففقهاء العصور

---

(١) جريتس : فى كتابه تاريخ اليهود ، المجلد الثالث .

الوسطى اعتبروهم مكرهين على أمرهم ، وليس عليهم ذنب ولا حرج ، ويعتبرون من بنى إسرائيل فى كل الحقوق والواجبات . أما المتأخرون من فقهاء اليهود فإن معظمهم مال إلى إعتبارهم فرقة من الخوارج ، ليسوا من بنى إسرائيل بل من « الجوييم » . ويبدو أن الأمر لا تناقض فيه فهؤلاء المارانوس كانوا فعلا فى العصور الوسطى مكرهين على أمرهم ، لكن فى العصر الحديث أعلنت حقوق الإنسان ، وشاع إحترام المعتقدات الدينية للآخرين بين الناس ، وهوجمت كل أنواع التعصب الدينى والعنصرى فى العالم ، لايشذ عن ذلك إلا بعض المتخلفين فكريا كأنصار الصهيونية بين اليهود وأعداء السود بين الأمريكان وما إلى ذلك وبالتـــالى فإن المارانوس قد أصبح فى إمكانهم أن يعودوا إلى الدين اليهودى ظـاهرا وباطنا وسرا وعلنا ، وأن يتركوا الواجهة المسيحية التى كانوا يتخفون وراءها ، ولكنهم لم يفعلوا ، فأصبحوا مستمرين فى هذة البدعة بمحض إختيارهم وحريتهم ، وصار إعتبارهم من المارقين أمرا منطقيا .

١١ ـ الدونمة او الدومنة[1]

وهى فى الشرق تقابل المارانوس فى الغرب مع خلاف جوهرى هو أن هذه الفرقة لم تكن مكرهة على أمرها ، وأنها تتخذ الإسلام واجهة تخفى وراءها يهوديتها ، وقد أشرنا سابقاً إلى أنهم أتباع المسيح الكذاب

---

(١) كلمة من تركيب تركى عامى ، مركبة من «دو» أى اثنين (فارسية الاصل) و« نمة » أو « منه » بمعنى نوع ؛ أى الفرقة القائمة على نوعين من الاصول • النوع اليهودى • والنـوع الاسلامى . ولذلك عدل أبناء هذه الفرقة تلك التسمية كما سنرى ، وسموا فرقتهم «المؤمنين» و «الرفاق » و «المجاهدين» .

« شبتاى صبى » ، المولود فى أزمير سنة ١٦٢٦ والمتوفى فى ألبانيا سنة ١٦٧٥ ، وكان أبناؤها وما يزالون يعيشون فى تركيا ويطلقون على أنفسهم أسماء ضخمة مثل « المؤمنين » و « الرفاق » و « المجاهدين » أما طوائف اليهود الأخرى وخصوصا الربانيين فيسمونهم « مينيم » أى الكفار

وهم يسترون عن الناس كل ما يثبت أنهم يهود ، لدرجة أنهم يتسمون بأسماء إسلامية لايستعملونها فى بيوتهم ولكن فى الحياة العامة فقط . وهم يستعملون العبرية فى صلواتهم ، والتركية فى حديثهم ، وإن كانت العبرية تشرف على الموت الآن فى مجتمعهم .

وهم شديدو المحافظة على تراث زعيمهم شبتاى صبى وتعاليمه . ومن أهم هذه التعاليم :

١ ـ الزواج سنة واجبة ، وهو غير ممكن إلا بين رجل وامرأة من أبناء الطائفة ذاتها .

٢ ـ تعدد الزوجات محرم عليهم .

٣ ـ يستحسن عقد الزواج يوم الاثنين أو الخميس .

٤ ـ ينعقد الزواج على يد رئيس الطائفة الذى يبارك العروسين سبع مرات ، ثم تتم الزفة باللغة العبرية بالموسيقى والغناء .

٥ ـ شريعة الختان قائمة عندهم ومفروضة كما عند اليهود ، وكان الختان يتم فى اليوم الثامن من مولد الطفل فى بداية ظهور الطائفة ، ولكنهم تساهلوا فى ذلك حتى لايلفتوا اليهم أنظار المسلمين ، فأصبحوا ينفذون الختان فى موعد أقصاه العام الثالث من مولد الطفل ، وأباحه بعضهم حتى العام الثامن .

٦ ـ لهم مدافن خاصة ، وتختلف مراسم الحداد عندهم عنها لدى اليهود ، فهى تشبه ماتعوده المسلمون ، إذ يحضر الحاخام إلى البيت ويتلو ما تيسر من الأدعية والصلوات على روح الميت . وهم يقيمون العزاء على الميت يوم وفاته ، وبعد أسبوع ، وبعد شهر ، وفى يوم الاربعين ، وبعد ثلاثة أشهر ، وبعد تسعة أشهر ، وفى ذكرى السنة . وتنتشر فى أدعيتهم وصلواتهم غير المأخوذة من الكتاب المقدس اللغة اليهودية الاسبانية « اللادينو » . وعددهم الآن آخذ فى التضاؤل نظرا لقلة مواليدهم ، وعدم الاهتمام الفكرى بهم من جانب اليهودية العالمية وبخاصة لأنهم يرفضون الإيمان بالتلمود أيضا ، كما يرفضون الاعتقاد فى مسيح مخلص آخر غير زعيمهم شبتاى صبى الذى ينتظرون عودته حتى الآن .

وكانوا فى البداية منقسمون إلى طوائف كثيرة منهم الأزميرلية ، والقنيبلية ، واليعقوبابية (نسبة إلى يعقوب الكريتى المتوفى سنة ١٦٨٧) . وهذه الشعبة الأخيرة هى أكثر طوائفهم اندماجا فى الحياة التركية العادية وقبولا لمظاهر التقدم التركى العثمانى حتى أن الاتراك كانوا يسمونهم «طربوشلو» أى أصحاب الطرابيش كما كان زعيمهم يسمى يعقوب أفندى ، وأكثر بقايا الدونمة الآن من هؤلاء .

وقد انتشرت تعاليم شبتاى صبى فى أوروبا الشرقية أيضا ، فأخذها يعقوب فرنك لكن بعد أن أبدل المظهر الإسلامى بمظهر مسيحى وحظيت ببعض الانتشار فى أوروبا الشرقية تحت اسم الطائفة اليهودية «الفرنكية» .

١٢ - الاصلاحيون (الريفورميست) او المجددون

وهذه الفرقة اليهودية لايمكن الحديث عنها منفصلة عن شعبة من اليهودية التقليدية هي شعبة المتصوفين « الحسيديم » ، وهم الذين وصلوا باليهودية المظلمة ربيبة الجتو إلى أقصى درجات الدروشة ، والتعلق بالبدع والخرافات ، وادعاء فعل الخوارق والمعجزات ، وعلم الغيب ، ونحو ذلك من من مظاهر الدجل التى تلازم انحطاط الفكر الدينى ، فى كل الأديان ، وجموده . وقد انتعشت هذه الحسيدية فى منتصف القرن الثامن عشر على يد حاخامين من المتبحرين فى الطرق الصوفية السرية الباطنية « القبالة » وفى مقدمتهم إسرائيل بعل شيم طوب وزلمان ملودى المعروف باسم زلمان شنيئورزون وكلاهما من منطقة الحدود الروسية البولونية ، وقد علا شأن أولهما فى النصف الأول من القرن الثامن عشر ، وحوالى سنة ١٤٧٠ بالتحديد ، والثانى فى أواخر نفس هذا القرن وأوائل الذى يليه ، فقد مات سنة ١٨١٢ .

وفى نفس الوقت الذى كادت هـــذه الحسيدية تسيطر على أرواح اليهود فى أوروبا الشرقية وجزء من أوروبا الغربية ، وعلى أجسامهم وأموالهم أيضا ، كان رقى العلم والثقافة فى أوروبا ، وظهور القوميات المستقلة ، وتألق نظريات الحرية الفردية وحقوق الانسان ، قد أتاح لبعض الشباب اليهودى أن يأخذ بنصيبه من العلوم الحديثة ، وأن يدخل مع الانسانية المتقدمة من أبواب المعرفة نحو وعى أكثر رصانة وأصح تكوينا من هذه الانعزالية اليهودية وكانت طلائع ذلك فى حركة الوعى الفكرى اليهودى التى عاصر الحسيدية وكانت تسمى « الهسكالاه » أى التفهم واليقظة والنهضة .

وانبثقت حركة الاصلاحيين من داخل المسكالاه على يد موسى مندلسون (بن مناحم) ، الذى ولد فى ديسوى بألمانيا فى ٦ سبتمبر سنة ١٧٢٩ ومات فى برلين فى ٤ يناير سنة ١٧٨٦ . وكانت له آراء جديدة على اليهود من الناحية السياسية والانسانية العامة هى التى تعتبر دستورا لهذه الفرقة وخلاصتها :

١ - أن اليهود يجب أن يندمجوا فى إنسانية العصر ، وأن يخرجوا من قوقعة العنصرية التى حبسوا أنفسهم فيها طيلة قرون طويلة .

٢ - أن اليهودية دين فقط ، وليست جنسية ، وأنه من الخطأ أن أقول « يهودى إنجليزى » أو « يهودى روسى » ... الخ ، والأصح أن يقال إنجليزى متدين باليهودية ، وروسى متدين بها ، وهكذا .

٣ - أن المساواة فى الحقوق المدنية بين اليهود وغيرهم غير ممكنة إلا إذا اعتبر اليهود أنفسهم مواطنين فى البلاد التى يعيشون فيها .

٤ - لايمكن ذلك إلا إذا تحدث اليهود بلغات أوطانهم ، وتعلموا فى مدارسها ، وحاربوا فى جيوشها ، ولبسوا من الملابس مايشبه بقية المواطنين ، وخرجوا من الجتو وأقاموا مع غيرهم من الناس .[1]

وكان من أشد الاصلاحيين اقتناعا بهذا البرنامج إسحق صموئيل ريجيو ، وهو يهودى إيطالى ولد فى جوريتس بمقاطعة إيليريا سنة ١٨٧٤ ، وتوفى بها فى ٢٩ أغسطس سنة ١٨٥٥ . وكان يقول عن ضرورة التنحل عن العنصرية التعصبية القديمة عند المطالبة بالحقوق المدنية : « كيف

(١) جريتس - تاريخ اليهود ، المجلد الخامس .

نطلب شيئاً لانستطيع لو أننا نلناه ، أن نستعمله ؟ وكيف نبرر أنفسنا أمام الامم إذا كنا نثبت بسلوكنا كل يوم أن استمرارنا فى التدين يتعارض مع التمتع بالحرية والمساواة ».

ولما كانت فرقة الإصلاحيين هذه قد قامت كرد فعل طبيعى لقرون التزمت والظلمات والدروشة ، فان أصحابها كرهوا المشنا والتلمود ، مشبهين فى ذلك السامريين والصدوقيين والقرائين والدونمة ، وجعلوا منبع التشريع الوحيد هو الكتاب المقدس . إلا أنهم اختلفوا عن هذه الفرق القديمة فى ميلهم إلى التساهل والتسامح والتيسير ، فكانوا يأخذون الاحكام فى أبسط إمكانيات التفسير وأقلها قسوة على الناس عند التطبيق . وكان عدوهم اللدود هو كتاب « شولحان عاروخ » الذى جمع فيه الربى يوسف كارو جميع الشرائع والاحكام والفتاوى والتفريعات الواردة فى المشنا والتلمود ، وأصبح هو المعتمد عند المتحذلقين من اليهود . كان الاصلاحيون يعتبرونه رمزا للجمود والتأخر ، والعقبة التى تحبس الشعب الاسرائيلى عن السير فى طريق التقدم الإنسانى ، فكرهوه هو وكل مايشبهه من الشروح والحواشى والمناقشات والمجادلات .

وإذا كان موسى مندلسون لم يغير بنفسه شيئا من الشرائع والطقوس التقليدية القديمة ، فان أتباعه ومريديه من الاصلاحيين قد غيروا الشىء الكثير ، لكى يعطوا للدين اليهودى صورة إنسانية ووطنية دون أن يضطروا إلى القيام بالتعمية على شكل شريعتهم كما فعل المارانوس والدونمة مثلا ، وكان من أهم التغيرات التى أحدثوها ما يلى :

١ ـ إنقاص الادعية والصلوات إلى الحد الادنى ، مع إباحة تلاوتها بلغات البلاد القومية حيث يعيش هؤلاء اليهود .

٢ ـ ترك الترانيم الشعرية العبرية والآرامية القديمة .

٣ ـ ادخال الآلات الموسيقية وفرق الانشاد الجماعى « الكورس » من من الجنسين فى المعبد والترنم بألحان حديثة مؤلفة ومكتوبة (على النوتة) خصيصا لطقوسهم ، وانتهى ذلك التطوير بادخال الارغن فى المعبد اليهودى تقليدا للكنائس والكاتدرائيات .

٤ ـ أنكروا فى اعتقادهم أن يكون « الخلاص » معناه إقامة دولة فى فلسطين ، وهم بذلك كانوا ومايزالون من الفرق غير الصهيونية ، فعندهم أن الخلاص يكون فى الدنيا بالحصول على المساواة فى الحقوق المدنية ولاضرورة إطلاقا لربط ذلك بفلسطين أو بغيرها من البلاد .

٥ ـ خالفوا جميع اليهود إذ قالوا أن الله فعل خيرا ببنى إسرائيل إذ فرقهم فى الأرض ، فهم بذلك يستطيعون أن يعيشوا فى كل الآفاق وأن يقيموا فيها الدليل على الدعوة الموسوية .

٦ ـ ولأنهم صرفوا النظر عن إعادة بناء الهيكل فى أورشليم بالذات ، فان كل معبد من معابدهم فى أى مكان يطلق عليه اسم « الهيكل » .

٧ ـ أباحوا اختلاط الجنسين من المصلين فى هذا « الهيكل » .

٨ ـ اهتموا جدا بالوعظ والارشاد فى داخل الهيكل ، بحيث كانوا يختارون لكل هيكل ، إلى جانب « الحزان » وهو الحاخام الذى الذى يقوم بالكهانة فى أثناء الطقوس ، خطيبا يتحرون فيه طلاقة اللسان وسعة العلم وقوة التأثير فى الجماهير ، ويسمى عندهم « مَطيف » . ومن أشهر هؤلاء الوعاظ الخطيب اليهودى الاصلاحى المشهور

أبراهام جايجر ، الذى تولى هذا المنصب بمدينة فيزبادن . واليه يرجع الفضل أيضا فى نشر مجلة ناطقة بالاتجاهات الفكرية لهذه الطائفة ابتداء من سنة ١٨٣٢ ، واسمها «الصحيفة العلمية للاهوت اليهودى» . وفى سنة ١٨٣٨ انتخبته طائفته حاخاما أكبر لها فى مدينة برسلو ، منافسا لحاخامها القديم « تيتكين » ، وقد أحدث هذا الانتخاب خلافا حادا فى زمانه فى تلك المدينة .

وأول هيكل خصص للطائفة هو الذى هيأه بيته اليهودى الإصلاحى إسرائيل يعقوبزون وكان ذلك فى « زيزن » بألمانيا ، ثم هيأ هو نفسه هيكلا آخر فى بيته ببرلين سنة ١٨١٥ . وفى سنة ١٨١٨ شهدت الطائفة تشييد أول هيكل يبنى خصيصا لاقامة الشعائر ، فى الثغر الألمانى الكبير همبورج ، وكانت الصلوات ، معظمها إن لم يكن كلها ، تقال فيه باللغة الألمانية لاالعبرية طبقا لمبادىء اليهود الاصلاحيين(١) .

وطبيعة هذه الطائفة كانت تفرض عليها أن تظل نشيطة لا تتوقف عن الحركه ، والواقع أنها لم تقصر من هذه الناحيه ، فكان أقطابها ما يزالون يجتمعون فى مؤتمرات عامه ، وكان من أوائلها مؤتمر فى برنشويج وآخر فى فرانكفورت وثالث فى برسلو فى السنوات من ١٨٤٤ الى ١٨٤٦ .

والذى كان يقضى بهذا النشاط هو الرسالة الضخمه التى كانت لهذه الطائفه حيال اليهود ، فقد كان كثيرون منهم يخرجون من الدين ويعتنقون المسيحيه ايثارا للسلام ورغبه فى الاندماج كما كان يهود أوروبا الشرقيه قد بدأوا ينظرون الى فلسطين ويهاجرون اليها تلك الهجرات الأولى

(١) دائرة المعارف العبرية ، المجلد التاسع ، مادة «ريفورم» .

التى سجلها القرن التاسع عشر تحت اسمين هما « بيلو » ، و «حب صهيون» . هذا إلى جانب يهود الجتو ، ويهود أسواق التجارة والأوراق المالية الذين لا يعبأون بشيء من كل ذلك فى الأغلب ، ثم اليهود التقليديون الذين يعرفون الدين والتاريخ ولكنهم يريدون أن يسيروا بالأمة فى نهج معين مرسوم أخذوه عن شيوخهم ليضمنوا به لأنفسهم الصدارة والجاه والنفوذ ، وهؤلاء هم الذين انبثقت منهم الصهيونية فيما بعد .

وكان على الاصلاحيين أيضا أن يواجهوا العالم غير اليهودى ، مطالبين الأمم الأخرى بالشرائع الضرورية للاندماج والمواطنة ، أى أنهم كانوا مضطرين إلى أن يخوضوا معركة الحرية وحقوق الانسان فى نفس الوقت .

لهذا كله لم تسر الأمور بالنسبة لهم يسيرة هينة بل لقوا معارضات شديدة جدا كان أولها من جانب الداعية العنصرى الصهيونى سمولنسكين ومدرسته التى ضمت جماعة من أمثال الكاتب والمفكر الصهيونى موسى هيس ومن قبله الحاخام المتطرف صبى كاليشر .

وفى حومة هذه المعركة كانت أحيانا تقع بعض الأخطاء ، ولعل أكبرها من جانب الاصلاحيين أنهم لم يبذلوا جهدا كافيا فى مهاجمة اليهودية المتعصبة فى أوكارها في أوروبا الشرقية مكتفين بألمانيا والنمسا وبعض بلاد أوروبا الغربية وأمريكا . كذلك حدث فى أخريات القرن الثامن عشر ، والنقاش محتد بين هؤلاء اليهود المتحررين وأعدائهم اليهود المتعصبين الذين سموا نفسهم الأرثوذكس ، أن ظهر كتاب فى الشريعة اليهودية منسوب إلى أحد فقهاء القرن الرابع عشر المشهورين واسمه الربى

آشر بن يحيئيل وطبع فى برلين سنة ١٧٩٣ بعنوان « بسماييم روش » أى عطوذ الربى آشر . وكان من الواضح أن هذا الكتاب مزيف ، ومنحول لهذا العالم القديم الذى لم يكتبه ، فقد وجد الارثوذكس من اليهود أعداء الاصلاحيين فى ثناياه كثيراً من الشرائع المتساهلة المتطورة التى تحدد أنهم هم الذين كتبوه ، فمن ذلك قوله بتحليل أكل الأرز والبقول الجافة فى أيام الفصح ، واليهود يحرمون ذلك وتحليل شرب اللبن والنبيذ عند الجوييم ، أى الكفار ، وهو أيضا حرام . والغاء بعض أيام الصوم أو تخفيف أحكامها جدا ، مثل صيوم استير ، والتاسع من آب الذى هو ذكرى تخريب هيكل أورشليم الثانى سنة ٧٠ ميلادية . كما ورد فيه تحليل الانتقال بالعربات يوم السبت وهو أمر محـرم أيضا ... الخ . وأسفر التحقيق عن أن مؤلف هذا الكتاب هو الحاخام الاصلاحى شاءول ابن حاخام برلين الأكبر هيرشل ليفين . وقد أدى ذلك الخطأ الجسيم من تزييف الكتاب وانتحاله إلى انكماش كثير من اليهود عن حركة الاصلاحيين ، واستغلال المتطرفين من اليهود المتعصبين لهذه الوقعة فى الدعاية ضد الفكرة الاندماجية والاصلاحية .

ومن هذا الصراع خرجت الصهيونية تدعى أنها تحمل الحل الأمثل لمشاكل اليهـود ، بانشاء وطن لهم فى فلسطين يعيشون فيه مسايرين للتقدم العالمى دون أن يضطروا إلى تغيير لغتهم أو تقاليدهم أو شريعتهم، أى أنها تزعم ارضاء الارثوذكس والريفورميست جميعا . وكانت النتيجة المريرة أنها لم تفلح فى ارضاء أى منها ، بل أضافت إلى اليهودية أعداء جددا كانوا بالأمس من أوفى الأصدقاء هم سكان ذلك الشرق العـربى

والاسلامى بكل الثقل العددى والاقتصادى والحضارى الذى يمثلونه . وربما كانت الكلمة الأخيرة فى مستقبل الحركة اليهودية للاصلاحيين لم تقل بعد، والمستقبل وحده كفيل ببيان ذلك .

١٣ — الفلاشة

هم طائفة صغيرة تتبع الشريعة الموسوية بصورة خاصة بها ، وتعيش فى الحبشة ، ولولا ما نعرفه من المحاولات الدائبة من جانب الصهيونية وإسرائيل للتسلل فى داخل الشعوب والأمم الافريقية لكان من الممكن ألا نذكر الفلاشة بين الطوائف التى أردنا اعطـاء فكرة عنها فى هذا الكتاب. أما وافريقية معرضة لهذا التسلل فقد وجب أن نعرف مايمكن أن يكون ركيزة لإسرائيل ومعتمدا فى القارة الافريقية .

والفلاشة نموذج حى يثبت بما لايقبل الشك خرافة الدعوى العنصرية اليهودية ، فمن الناحية الجثمانية هم افريقيون لايمتون إلى الجنس اليهودى بأى شبه ، ويشبهون غيرهم من الأحباش المسيحيين والمسلمين ، بل ان معظمهم أشد سوادا من لون البشرة لدى الحبشى المتوسط . وهم لايعرفون اللغة العبرية ، ولا يؤمنون بطبيعة الحال بالمشنا ولا التلمود ، ولكنهم يؤمنون بالكتاب المقدس ، أى برسالة موسى ومن بعده من الأنبياء ، ويقيمون السبت ويحتفلون بأكثر الأعياد ويحافظون على الشرائع الخاصة بالختان والزواج والجنازة وما إلى ذلك . ولهم معابدهم الخاصة بهم وهذه المعابد يقوم بالخدمة فيها كاهن يسمى « نازير » وهى لفظة عبرية معناها المنقطع للطقوس الدينية . ووظيفته عندهم كوظيفة الحاخام ، ويشترط أن

يكون متزوجا . ومن رجال الدين عندهم نوع يسمونه « كوهين » وهى كلمة عبرية معناها الكاهن ولكنها تعنى عندهم الجزار المأذون بالذبح الشرعى وله مساعد يسمونه باسم محرف عن اليونانية هو « ديبتيرا » .[1]

والمحاولات مستمرة منذ ما قبل قيام إسرائيل فى إستقطاب بعض الفلاشة وتعليمهم فى الأوساط الصهيونية ليكونوا طليعة عملاء إسرائيل فى الحبشة .

والسؤال الذى يتبادر الينا الآن هو من أين جاء هؤلاء الفلاشة إلى الحبشة ؟ لعلهم سلالة بعض الذين تهودوا من اليمن فى أيام الملك يوسف ذى نواس ، أو لعلهم أحباش اعتنقوا اليهودية على يد بعض هؤلاء المتهودين من اليمن ، أو عن يد بعض المغامرين الذين كانوا يقومون بالتجارة فى بحر العرب وخليج عدن ، بل من المحتمل أيضا أن يكون الذى هودهم داعية من بين اليهود المصريين ، تماما كما حدث فى تنصير المسيحيين من الاحباش على يد القديس المصرى الانبا مقار . كل ذلك ما يزال حتى الآن يبحث عن وثائق وأدلة للوصول به إلى نتائج يقينية .

١٤ - بنى اسرائيل

وهذه فرقة عجيبة من اليهود توجد فى الهند ويقيم أكثرهم فى ضواحى بومباى .

وإقامة هؤلاء اليهود فى الهند ترجع إلى ما قبل العصور الوسطى ، فقد ذكرهم الرحالة اليهودى الاندلسى بنيامين التطيلى ، كما ذكرهم موسى بن ميمون أيضا .

---

(١) دائرة المعارف العبرية ، المجلد الثامن .

ولون هؤلاء اليهود أميل إلى البياض ، وهم يؤمنون بالكتاب المقدس ولكنهم لايعرفون التلمود كغيرهم من هذه الفرق الصغيرة النائية . ويقال أن السبب فى تسميتهم بنى إسرائيل أن كلمة يهود كانت غير محببة عند الأمم الأخرى . فلما دخل العرب الهند ، ووجدوا فيها هؤلاء المؤمنين بشريعة موسى ، ولاحظوا فيهم الاستقامة والمسالمة والمظهر الذى يدعو إلى الاحترام ، لم يسموهم اليهود بل بنى إسرائيل . ومعظمهم يشتغلون بالتجارة وببعض الحرف اليدوية .

وتمتد هذه الجيوب اليهودية الصغيرة المنعزلة فى داخل القارة الاسيوية ، لتظهر من جديد فى الصين حيث يسمون أيضا بنى إسرائيل . ولم يكتشف وجودهم إلا فى أوائل القرن السابع عشر وهم يعيشون على طريقة الصينيين فيما عدا العبادة ، إذ لهم معابد يصلون فيها السبت ، أمام هيكل خشبى يسمونه «عرش موسى» (١)

والآن ونحن ننهى هذه الجولة السريعة الموجزة فى الفكر الدينى الإسرائيلى نترك مكانا خاليا لفرقة من الغلاة ، الذين أصابوا الفكر الدينى الاسرائيلى بأقصى ألوان التهويش والتشويه وهم فرقة الصهيونية . فهذه قد عولجت ، وستعالج من جميع نواحيها ، أو هكذا يجب ، بأقلام عربية وعالمية نزيهة كل منها يتناولها فى حدود تخصصه ، لشدة خطرها على مستقبل اليهودية ذاتها وعلى مستقبل السلام العالمى والاخاء بين البشر .

---

(١) دائرة المعارف العبرية ، المجلدان الثالث والرابع .

הכתות הדתיות ועקרי המחלוקות בניהן

הכתות הדתיות ועיקרי המחלוקת ביניהן : צדוקים , פרושים , איסיים

תופעת הכתות בימי הבית השני : בתקופת החשמונאים התגבשו בחברה היהודית שלוש כיתות , הפרושים, הצדוקים והאיסיים .לכל אחת מן הקבוצות הייתה השקפה מיוחדת משלה על מהות היהדות , חוקים ואורח חיים משלה שעל פיהם יש לנהוג . שתי הראשונות לקחו חלק פעיל בחברה היהודית בעוד שהשלישית פרשה ממנה וחיה בנפרד.

מדוע צצה תופעת הכתות בתקופת בית שני ?

תחילתה של תופעת הכתות בעם היהודי היא במדיניות הבדלנות שהנהיגו עזרא ונחמיה בתקופת שיבת ציון. כדי למנוע את תופעת ההתבוללות של העם היהודי בעמים אחרים , הם הובילו מגמה של "זרע הקודש " (הכוונה הייתה -רק אלו ששבו מן הגולה לארץ ישראל , מקודשים בקדושה העוברת מדור לדור) . מגמת הבדלנות - ההיבדלות , הנפרדות- באה ליצור חיץ בין העם היהודי לבין העמים הנוכריים סביבו , כדי לשמור על טהרת העם ועל קיומו כ"עם סגולה" .

השאיפה לבדלנות קיבלה את ביטויה במרד החשמונאים שפרץ במטרה להשיב לעם היהודי את קיומו כעם נפרד מכל העמים . אולם בפועל התברר , כי הצורך לתמרן בתוך עולם הלניסטי כדי לשמור ולהגן על הריבונות המדינית , גרם לשליטים החשמונאים לאמץ רבים מן המנהגים ההלניסטים . באופן אירוני , העצמאות המדינית לא החזירה את המצב לקדמותו , אלא הרחיקה את העם היהודי עוד יותר מן המטרה הנכספת של חיים טהורים כ"זרע הקודש" .

במצב זה שינתה תופעת הבדלנות את כיוונה . מזרע הקודש לכיתתיות - מעבר ממצב של הפרדה בין יהודים לנוכרים , מבדלנות כפי שהיה בעבר , למצב של יצירת הפרדה בין יהודים ליהודים , לכיתתיות.חרי הכתות יצרו חיץ בינם , כל אחת בנפרד, לבין יתר בני העם היהודי , שנחשבו בעיניהם כמי שאינם ראויים עוד להיכלל בתוך "זרע הקודש" . כל הקבוצות האמינו בצורך להגשים חזון דתי- תרבותי יהודי אך היו חלוקות על הדרכים להגשמת חזון זה.

פרושים

1.מקור השם:

מקור השם לא ברור לגמרי ויש שתי השערות לגביו:

א. שם גנאי שנתנו להם הצדוקים. "פורשים" מן הציבור בהשקפת עולמם ובתקנות המחמירות שגזרו על עצמם.

ב. שם בעל משמעות חיובית שניתן על ידי הפרושים, מלמד על המאמצים הגדולים שעשו בכדי לפרוש מחיי חטא וטומאה

2. המוצא החברתי של הכת או השכבה החברתית עליה נשענת :

המוצא החברתי - ייתכן כי הפרושים היו ממשיכי החסידים מתקופת עזרא ונחמיה או מימי ראשית מרד החשמונאים. מרבית החוקרים מסכימים על כך כיוון שמזהים בקבוצה זו אותה מסירות לתורה והתמסרות לענייני הציבור.

השכבה החברתית עליה נשענו הפרושים - הכת הראשונה בגודלה. הכילה בתוכה את השכבות החברתיות הנמוכות יחסית.
מנהיגי הפרושים היו החכמים - לומדי תורה שחלקם היו מורים או דיינים, בקיאים בהלכה ובתורה. הכת הפרושית הייתה למעין "מפלגה עממית" שסחפה אחריה רבים מכל שכבות העם , בינהם גם פשוטי עם וגרים (נוכרים שהתגיירו)
גדולי התנאים, בתקופת בית שני, יצאו מקרב הפרושים.
פסקי ההלכה והתקנות שלהם, הקנו להם מעמד מיוחד בקרב העם, וקרבו אותם אליהם. העם העריץ את הפרושים וראה בהם את מקור הסמכות .
הפרושים עמדו בראש ההנהגה הרוחנית והשפיעו על ההמונים.
הם גרו בקרב העם , הבינו את מצוקותיו , נסו להקל עליו ככל שניתן .

3. אמונותיה העיקריות:

א.מעמד התורה – מעמד משמעותי- האמינו בתורה שבכתב, יש לחיות על פי דין ההלכה והתורה.

ב.התורה בשבעל- פה- האמינו בתורה שבעל פה. (הלכות ותקנות שהנהיגו חכמים ולא מן התורה) הפרושים סברו שאין לפרש את התורה באופן מילולי ,ואין להבין את התורה כפשוטה אלא יש לרדת לעומקה . לפיכך עסקו בליקוט ואיסוף התורה שבעל-פה -אוסף הלכות ותקנות שהתגבש בכל דור כהשלמה לתורה שבכתב . הם הנהיגו ואספו את ההלכות הללו, וקבעו כי לתקנות אלה חשיבות לא פחותה ושווה לדברי התורה.
גדולי התנאים, בתקופת בית שני, יצאו מקרב הפרושים. פסקי ההלכה והתקנות שלהם, הקנו להם מעמד מיוחד בקרב העם, וקרבו אותו אליהם.

ג.אמונה בגזירה קדומה- האמינו בגזרה הקדומה.

(תפיסה הקובעת כי כל דבר הקורה בעולם הוא פרי רצונו של האל ונגזר על האדם מראש)

סברו שגורלו של אדם נקבע בידיי שמיים, אך ביכולתו של האדם להשפיע על גורלו לטוב ולרע.

ד.שאלת הישארות הנפש ושאלת שכר ועונש בעולם הבא- הפרושים האמינו בחיי העולם הבא, בהישארות הנפש ובשכר ועונש לאחר המוות.
האמינו שלאחר המוות הנשמה נשארת, והמת בא בעולם הבא על שכרו בגין מעשיו בעולם הזה.
(יש לציין כי נראה שאמונה זו התפתחה, נוכח מצוקת היחיד בתקופת שלטון היוונים. האמונה בעולם הבא העניקה ליחיד את הכוח להתמודד עם מצוקות הזמן, מכיוון שהייתה לו סיבה לצפות לחיים טובים יותר בעולם הבא.)

ה.שאלת עבודת האלוהים והיחס לבית המקדש

הפרושים ראו במקדש את עיקר עבודת האל אך יחד עם זאת , האמינו שלכל אדם יש זכות ליטול חלק בקדושה- באמצעות לימוד תורה והקפדה על מצוותיה .

פיתחו את מוסד התפילה ואת התפיסה שאלוהים קיים בכל מקום ולא רק בירושלים ולכן כולם יכולים להתפלל - תפיסה שוויונית בקודש .

4. היחס לשלטון החשמונאים :

בתחילת ימי הממלכה החשמונאית גילו הפרושים אהבה וכבוד לחשמונאין, ואולם, בעקבות מדניות פעולותיהם של המנהיגים החשמונאים בתחומים שונים, היחסים ביו הקבוצה לשלטון החמירו ונוצר קרע חברתי בין השניים.

בין הגורמים השונים לקרע: מדיניות הכיבושים של ממלכת חשמונאי, הנאת השכבה העשירה משלל הכיבושים, חוסר הסכמה בנוגע למדיוניות של גיור בכפיה, ולקיחת סמכויות שיפוט נרחבות, העסקת צבא שכירים, והשפעת התרבות ההלניסטית שהלכה והחריפה.

בימי יוחנן הורקנוס נוצר קרע בין חכמי הפרושים - ההנהגה הדתית של העם , לבין בית חשמונאי . הסיבות לקרע היו כנראה רצונו של יוחנן הורקנוס לחזק את מעמדו כשליט יחיד, ובדומה למלכים ההלניסטים - להרחיב את סמכויותיו וליטול לעצמו גם סמכויות חקיקה ושיפוט (כמו שנהוג אצל ההלניסטים) ובכך שהיה הראשון שגייס צבא שכיר (שגרם לתלות כלכלית על שכבתם של הפרושים והביא לתסכול והחמרת השסע)

עוד הקרע בין מנהיגי הפרושים לבית חשמונאי החמיר בימי אלכסנדר ינאי , בגלל תהליכים של אימוץ התרבות ההלניסטית שהיו מובהקים מאוד בתקופת שלוטנו

התנהלות ממלכתו של ינאי לא התאימה לציפיות שהיו לפרושים ממדינה יהודית . לדעתם, הממלכה היתה צריכה להתנהל על פי חוקי התורה ואילו חצרו של ינאי דמתה לחצר הלניסטית יותר מאשר לחצר של מלך יהודי. בנוסף הפרושים התנגדו לכך שהחתיר עצמו למלך- מהיותו לא שייך לשושלת דוד.

הקרע בין בית חשמונאי לפרושים התמתן בימי המלכה שלומציון אלכסנדרה . ימי שלטונה היו ימים של שיתוף פעולה בין בית חשמונאי לבין הפרושים . זאת כיוון שחלקה את סמכויות המלוכה והכהונה לשתי בניה, דבר שהיה אחר מגורמי המחלוקת בין הפרושים לשליטי חשמונאי שנהגו לערב את סמכויות אלו.

צדוקים

1.מקור השם :

שמם של הצדוקים בא ,לדעת כמה מהחוקרים, משמו של צדוק , אבי שושלת הכוהנים הגדולים מימי שלמה המלך , ויש המשערים ששם זה נגזר מן השורש "צדק " או "צדיק" .

2. המוצא החברתי של הכת או השכבה החברתית עליה נשענת :

המוצא החברתי - הצדוקים היו מבני האצולה היהודית , מקורבי המלך ומחזיקי הכהונה הגדולה.

צאצאי משפחה זו החזיקו בכהונה הגדולה עד המאה ה-2 לפנה"ס , למרות שלא כל הכוהנים היו צדוקים.

השכבה החברתית עליה נשענו הצדוקים – הצדוקים היו הכת השנייה בגודלה. על הצדוקים נמנתה רוב האצולה שבימי בית חשמונאי : קציני צבא, פקידים שלטוניים בכירים, משפחות אצולה עשירות -בעלי קרקעות וסוחרים עשירים , וכן הכוהנים כהנים רבים בתקופה הרומית. לכן גם נקשר אליהם בית- חשמונאי , אשר אף -כי הישגיו באו לו בתמיכה עממית , הלך והתקרב אל האצולה בשל שאיפותיו לחזק את שלטונו. עם השנים גדל הנתק בינם לבין המעמד הנמוך בחברה היהודית- פשוטי העם : "הפרושים "

התנהלות כלכלית - הצדוקים חיו חיים ברווחה ובעושר והיו יהירים בהליכותיהם .

3. אמונותיה העיקריות:

א.מעמד התורה - המדינה חשובה מהתורה .

אסור לתורה להוות מכשול לקיומה של המדינה היהודית העצמאית, כלומר התורה היא בחשיבות שנייה .

ב.התורה שבעל- פה- הם לא האמינו בתורה שבעל- פה, אלא אך ורק בכתבי הקודש ככתבם וכלשונם. בכל מקרה, כפרו בסמכותם ההלכתית של הפרושים לפרש את התורה. עמדה זו של הצדוקים הייתה בעלת השפעה על חיי הפרט.
נראה שהתנגדותם לתורה שבעל-פה, מקורה בעובדה שראו בה ובפסיקותיה איום על מעמדם החברתי והדתי.

ג.אמונה בגזירה קדומה- לא מאמינים בגזרה קדומה.

כלומר הצדוקים לא האמינו שהאל קובע, משגיח על מעשי האדם. האמינו ברעיון הבחירה החופשית של האדם- לאדם יש רצון חופשי וגורלו של האדם תלוי אך ורק בו, בתבונתו, ובמעשיו.

ד.שאלת הישארות הנפש ושאלת שכר ועונש בעולם הבא- - הצדוקים האמינו רק בעולם הזה- כלומר אינם האמינו בעולם הבא, לכן המושג "שכר ועונש" אינו רלוונתי. זאת גם מפני שאינם מוזכרים בתורה.

ה. שאלת עבודת האלוהים והיחס לבית המקדש - הצדוקים ראו בפולחן בבית המקדש ערך עליון , התנגדו לתפילת היחיד היכולה להתבצע בכל מקום כי חששו מפגיעה במעמדם . הצדוקים , בהיותם השכבה הכוהנית , ראו את עצמם מורמים מעם וממונים על שמירת הפולחן הישן המסורתי עוד מימי בית ראשון . עמדתם זו, קשורה קשר הדוק בניסיונם לשמר את המבנה החברת.

4.היחס לשלטון החשמונאים :

בימי כוהני בית חשמונאי הקבוצה הצדוקית בחברה תמכה והשתלבה בשלטונו של בית חשמונאי. הם העניקו חשיבות רבה למדינה החשמונאית. נטלו חלק בחיים המדיניים והצבאיים, ונהלו קשרים הדוקים עם ההנהגה החשמונאית הדבר נבע מרצונם לשמור על מעמדם הגבוהה בחברה, ובאנטרס של בית חשמונאי לקשור איתם קשר מהיותם קבוצת "האצולה" המבוססת בחברה

הצדוקים תמכו במידיניות שונות שבצעה הממלכה החשמונאית מתוך אנטרסיים אישיים לשלל וכוח: כמו מדינות הכיבוש.

בין הגורמים שהביאו להתקרבות בין הצדוקים לשלטון הייתה החמרת השסע בין השלטון לפרושים שהתבסס על גורמים שונים כמו : התנגדות להחזקת צבא שכירים, ורצונם להגביל את סמכות המלך, והעדפת התואר נשיא, נושאים בהם לרוב עמדה החברה הצדוקית לצד השלטון החשמונאי , וזו הסיבה ששליטי חשמונאי הרבים תמכו וקשרו את קשריהם עם קבוצה זו .

האיסיים

מדובר בקבוצה חברתית קטנה ומתבדלת, יש חוקרים המזהים אותה עם "כת מדבר יהודה" אנשיה כונו אסיים.

1.מקור השם :

ייתכן כי מקור השם במילה איסיי (מרפא) דבר הנרמז בכתביו של יוסף בן מתתיהו.

ייתכן כי מקורו של השם הוא מיוונית ואומר "חסידות" (hosiotes):

כמה חוקרים משערים כי המילה איסיים הינו שיבוש של המילה "עצה".

2. המוצא החברתי של הכת או השכבה החברתית עליה נשענת :

המוצא החברתי – הכת הקטנה ביותר הייתה כת האיסיים, וחוקרים רבים מזהים אותה עם כת מדבר יהודה . מרבית החוקרים סבורים, כי הכת הוקמה בתקופת החשמונאים המאוחרים , כתוצאה מן האכזבה שחש חלק מן הציבור כלפי כשלונם של החשמונאים בשמירה על טוהר המידות . שמו של מייסד הכת אינו ידוע , ורק כינויו ידוע לנו " מורה צדק " . ייתכן שהוא שימש עבורה ככוהן גדול , ומוצאו היה מבית צדוק.

השכבה החברתית עליה נשענו האיסיים

-כת האיסיים היא תופעה מיוחדת במינה בבדלנותה וסגירותה . חבריה ראו את עצמם כ"ישראל האמיתי" והתייחסו ליהודים שלא היו חברים בקבוצתם כאילו היו נוכרים .

האיסיים התכנסו בקומראן שבמדבר יהודה , וחיו בקהילות שהתקיימו באיזור.

הכת מנתה מאות חברים משכבות העם השונות.

הם לא ניסו לגייס אוהדים ותנאי הקבלה לכת האיסיים היו חמורים מאד : כל מועמד נדרש לעבור מבחן של 3 שנים, ולאחר שהתקבל - היה חייב להיות כפוף באופן מוחלט למנהיג.

מי שהפר את הכללים - גורש.

3. אמונותיה העיקריות:

א.מעמד התורה - רק התורה הכתובה חשובה .האיסיים התרחקו ממגע עם שאר היהודים שנקראו "אנשי עוול" - והקפידו על חיי טהרה ועל קיום מצוות .

ב.התורה שבבעל- פה- האיסיים לא קיבלו את התורה שבל-פה שנוסחה על- ידי הפרושים. הם לא היו זקוקים לתקנות ולפסקי ההלכה, שבתורה שבעל- פה. היו להם תקנות משלהם, בענייני משפט וחברה, ובעניין התורה הקפידו על חוקיה ככתבם וכלשונם

ג.אמונה בגזירה קדומה- כמו הפרושים , האמינו האיסיים בהשגחה אלוהית , אך בניגוד לפרושים , האמינו בגזרה הקדומה וסברו כי לאדם אין בחירה חופשית .

ד.שאלת הישארות הנפש ושאלת שכר ועונש בעולם הבא- האיסיים האמינו בחיי העולם הבא, ובהישארות הנפש. , זאת למרות קיומה של הגזרה הקדומה. זאת ועוד, האיסיים האמינו בשכר ועונש בעולם הבא. לפי אמונתם החיים בעולם הנוכחי הם רק שלב בדרך לעולם הבא . האדם עדיין יישפט על מעשיו הטובים והרעים בעולם הבא.

ה. שאלת עבודת האלוהים והיחס לבית המקדש - עבודת הקודש נעשית בפולחן ועבודת היחיד. הם שמו דגש רב על עבודת היחיד, על התפילה ולימוד תורה. בסדר יומם הוקדש זמן מיוחד לתפילה לפני הזריחה, ובשובם מהעבודה.
האיסיים האמינו במרכזיותו של בית- המקדש, אך האמינו שבית- המקדש הנוכחי טמא.

* יש לציין הפער בין האסיים לעם גדל עם אימוץ לוח שנה שהתבסס על השמש (לעומד לוח השנה שמתבסס על מולד הירח- כמו שהיה נהוג בקרב היהודים) לכן חגגו מועדים בזמנים שונים משאר העם היהודי .

4.היחס לשלטון החשמונאים :

יחסם של האיסיים אל שלטון המלכים החשמונאים היה עוין. האיסיים התנגדו לאיחוד הכהונה הגדולה והשלטון המדיני בידי השליטים החשמונאים. טענו שהשלטון החשמונאי פוגע בקדושת בית המקדש , שהשלטון מושחט ומעוות את הדת היהודית. ראו בו ככופר.

פרשו בעקבות המינוי של יונתן לכהן הגדול (בניגוד למסורת, ועירוב סמכויות)

קהילות יהודיות במקדוניה ובתרקיה בעת העתיקה

אשר עובדיה

עדויות לקיומן של קהילות יהודיות במקדוניה ובתרקיה בעת העתיקה[1] מצויות במעשי השליחים ובכתביו של פילון האלכסנדרוני. בנוסף לכך, חומר אפיגרפי ושרידים ארכיאולוגיים־אדריכליים נוסכים אור על קיומן של קהילות יהודיות פעילות באזורים אלה. כך, למשל, אנו למדים על קהילות בסטובי, בפיליפי, בסלוניקי, בֶּוורִיה ובדיון שבמקדוניה ובזיה שבתרקיה. נתונים אלה לסוגיהם – מקורות היסטוריים, ראיות אפיגרפיות וממצא ארכיאולוגי־אדריכלי מעידים על חשיבותה ועל מעמדה של החברה היהודית במקדוניה ובתרקיה בעת העתיקה.

במהלך מסעותיו להפצת הנצרות ותורתה, התייחס פאולוס גם לכל אותם יישובים שהיו בהם קהילות יהודיות ובתי־כנסת. הוא התפלל בבתי־כנסת שונים, הטיף ודרש בהם את דרשותיו, תוך שהוא מוכיח את אנשי הקהילה היהודית, ואף נאלץ להימלט, יחד עם בני פמלייתו, מפני מתנגדיו מקרב היהודים.

בפיליפי בילה פאולוס מספר ימים, אחר שהוא ומלוויו באו אליה ישר מן האי סאמותראקי והעיר ניאפוליס: 'ומשם אל פיליפי, היא הראשונה בערי הפלך של מקדוניה והיא בת־חורין, ונשב בעיר הזאת ימים אחדים. וביום השבת יצאנו אל מחוץ לעיר, ליד הנהר אשר שם מקום־תפילה כמנהגם, ונשב ונדבר אל הנשים הנקהלות שמה'.[2]

פאולוס ומלוויו התמידו במסעותיהם בהעזה רבה ובחירוף־נפש, כשהאמונה מפעמת בקרבם, והרצון העז, הביטחון העצמי ויכולת השכנוע מכלכלים את מעשיהם ומנחים את מהלכיהם. הם שמו להם למטרה ערים גדולות וידועות, שהייתה בהן אוכלוסייה יהודית פורחת. כך הם פקדו את סלוניקי וֶורִיה, ביקרו בבתי־הכנסת שהיו בשתי ערים אלו, הטיפו ודרשו בהם: 'ויהי אחרי עברם באמפפוליס ובאפולוניה ויבואו אל תסלוניקי אשר שם בית־כנסת היהודים. ופאולוס נכנס אליהם כמשפטו ושלוש שבתות דיבר עמהם בדרכי הכתובים.... והאחים מהרו לשלח את פאולוס ואת סילא בלילה

1. דיון ורקע היסטורי על התיישבות יהודית ביוון (כולל האיים וכרתים), ראה אצל: B.D. Mazur, *Studies on Jewry in Greece*, 1, Athens 1935, pp. 7–14.
2. מעשי־השליחים טז, לב–יג.

לִבְרוֹאָה (היא וֶורִיָה – א״ע). והם בבואם שמה הלכו לבית־כנסת היהודים׳.[3] בסלוניקי נתקל פאולוס בהתנגדות חריפה מצד אנשי הקהילה היהודית והוא נאלץ לנטוש את משימתו ולעבור באישון לילה לוֶורִיָה, כדי שיד התוקפים לא תפגע בו ובמלוויו. בוֶורִיָה נהגו בהם בסבלנות רבה יותר ודבריהם ודרשותיהם נתקבלו בבית־הכנסת באורך־רוח. אולם גם כאן השיגה אותם ידם של יהודי סלוניקי. כאשר שמעו הללו, כי פאולוס וחבריו ממשיכים בהטפותיהם ובדרשותיהם, באו והסיתו את יהודי ווריה נגדם.[4] (איור מס׳ 4).

פילון האלכסנדרוני מציין בכתביו כי יהודים חיו גם במקדוניה[5]: "τὸν αὐτὸν τρόπον καὶ εἰς Εὐρώπην, Θετταλίαν, Βοιωτίαν, Μακεδονίαν ... καὶ οὐ μόνον αἱ ἤπειροι μεσταὶ τῶν Ἰουδαϊκῶν ἀποικιῶν εἰσιν, ..." יש להניח, שמדובר כאן בקהילות יהודיות משגשגות בחבל ארץ נרחב זה, שבצפונה של יוון, דבר המשתקף גם במעשי השליחים כפי שראינו למעלה.

אחת־עשרה כתובות ביוונית, שנתגלו בעבר במקדוניה ובתרקיה, נוסכות אור על הימצאותן של קהילות יהודיות באזורים אלה. תשע כתובות נמצאו במקדוניה ושתיים בתרקיה.

1. הכתובת הידועה ביוונית של קלאודיוס טיבריוס פוליכרמוס הקרוי גם אכיריוס (Ἀχύριος), שנתגלתה בסטובי ב־1931, כוללת 32 שורות והיא הארוכה מבין הכתובות הנדונות. (איור מס׳ 1). העמוד שעל־גביו נחרתה הכתובת נמצא בשימוש משני בחצר הקדמית של כנסייה נוצרית בתכנית בסיליקלית מן המאה החמישית לספירה, שנבנתה על שרידיהם של שני בניינים קדומים יותר, קרוב לוודאי בתי־כנסת. הדבר מתברר מעדויות ארכיאולוגיות, בעקבות חפירות שנערכו באתר בראשית שנות השבעים.[6] הכתובת, המיוחסת למאה השלישית לספירה, מתארת את הקמת הבניינים בזכות תרומתו של קלאודיוס טיבריוס פוליכרמוס המכונה בכתובת

3. מעשי־השליחים יז, א–ב, י.

4. מעשי־השליחים יז, י, יג.

5. Philo, *Legatio ad Gaium*, 281–282.

6. על החפירות בסטובי ראה: J.R. Wiseman and D. Mano-Zissi, 'Excavations at Stobi, 1970', *American Journal of Archaeiology*, 75 (1971), pp. 395–411; *idem*, 'Excavations at Stobi, 1971', *AJA*, 76 (1972), pp. 407–424; *idem*, 'Excavations at Stobi, 1973–1974', *Journal of Field Archaeology*, 1 (1974), pp. 117–148.

'האב של בית הכנסת בסטובי' (ὁ πατὴρ τῆς Στόβοις συναγωγῆς).[7]
כתובת זו מראה שמקום מגורים פרטי שונה למקום תפילה, שנועד בין היתר גם לשירות הקהילה היהודית בסטובי. בחלקה האחרון של הכתובת שומר התורם לעצמו וליורשיו את הבעלות ואת זכות ההחזקה של חדרי הקומה העליונה - לכל ימי חייהם. אם מישהו ירצה לקחת זכות זו לעצמו ולשנות אחת מתכניות חדרי הקומה העליונה עליו לשלם 250 אלף דינרים לפטריארך (μυριάδας εἴκοσι πέντε). סכום אדיר זה, הנקוב בכתובת, מעיד על המצב האינפלציוני שבו הייתה נתונה האימפריה הרומית במאה השלישית לסה"נ, במיוחד בין השנים 235 ל־284, דבר המסייע לקבוע את זמנם של הכתובת ושל בית־הכנסת של פוליכרמוס. (איור מס' 2).

תואר הפטריארך, שבוודאי מכוון לראש הקהילה היהודית, מצוי גם באחת מתשע הכתובות ביוונית המשובצות ברצפת הפסיפס שבבית־הכנסת בחמת־טבריה מאמצע המאה הרביעית לסה"נ (λαμπροτάτων πατριαρχῶν).[8] לדברי הנגל ייתכן כי הכתובת בסטובי היא האזכור הראשון של הפטריארך בתפוצות. הדבר מדגיש, לדעתו, את השפעת יהדות ארץ־ישראל על התפוצה היהודית בימי רומי האחרונים.[9] הוא סבור, שהתאריך המתקבל על הדעת לזמנה של הכתובת הוא סוף המאה השלישית וייתכן שתאריכה הוא 279 לסה"נ.[10]

7. E.L. Sukenik, *Ancient Synagogues in Palestine and Greece*, London 1934, pp. 79–80; B. Lifshitz, *Donateurs et fondateurs dans les synagogues juives*, Paris 1967, pp. 18–19; N. Vulić, 'Inscription grecque de Stobi', *Bulletin de Correspondance Hellénique*, LVI (1932), pp. 291–298; J.B. Frey, *Corpus Inscriptionum Iudaicarum*, I, Città del Vaticano-Paris 1936, pp. 504–507 (No. 694); A. Marmorstein, 'The Synagogue of Claudius Tiberius Polycharmus in Stobi', *JQR*, XXVII (1936/37), pp. 373–384.

8. ראה M. Dothan, 'The Synagogue at Hammath-Tiberias', *Qadmoniot*, I, 4 (1968), pp. 116–123; *idem*, 'The Synagogue at Hammath-Tiberias', in: L.I. Levine (ed.), *Ancient Synagogues Revealed*, Jerusalem 1981, pp. 63–69; idem, *Hammath Tiberias*, Jerusalem 1983, pp. 54–60; Ruth and A. Ovadiah, *Hellenistic, Roman and Early Byzantine Mosaic Pavements in Israel*, Rome 1987, pp. 64–65; ליפשיץ (לעיל, הערה 7), עמ' 63 (מס' VII, VIII).

9. M. Hengel, 'Die Synagogenischrift von Stobi', *Zeitschrift für die Neutestamentliche Wissenschaft*, 57 (1966), pp. 145–183.

10. שם, עמ' 159–181.

2. כתובת קבורה, שנתגלתה בסלוניקי במחצית השנייה של המאה התשע־עשרה, מיוחסת לסוף המאה השנייה לספירה; וזו לשונה:

Μημόριον ᾿Αβραμήο[υ] καὶ τῆς σύνβιοῦ αὐτοῦ Θεοδότης

הקבר של אברמיאוס (קרי: אברהם – א״ע) ושל אשתו תיאודוטס.[11]

כתובת זו היא עדות ברורה לקיומו של בית־קברות יהודי בסלוניקי בתקופה הרומית. מעניין צירוף השמות בכתובת: מחד, שם עברי לבעל, ומאידך – שם יווני מובהק לאשתו (מתנת־אל או מתנה).

3. במהלך חפירות ארכיאולוגיות שנערכו ב־1930 בדיון, כ־70 ק״מ דרומית־מערבית לסלוניקי (אף היא בתחום מקדוניה), בהנהלתו של גיאורגיוס סוטיריאדס, נתגלתה כתובת יוונית, שפורסמה בכתב־עת יווני מבלי לעורר את תשומת־לב החוקרים.[12] הכתובת חרותה על שבר לוח של מצבת קבורה וכוללת שתי מלים, שהראשונה שבהן חלקית: ιμος ἀρχισυνάγωγος – סוטיריאדס השלים את התחילית של המלה הראשונה ב־ -Δεκ או – -Μαξ, כך ששמו של הנפטר לפי ההשלמההמוצעת הוא Δέκιμος או Μάξιμος. לפנינו אפוא: Μάξιμος / Δέκιμος ἀρχισυνάγωγος – (מכס)ימוס או (דק)ימוס ראש בית־הכנסת. וכך כותב סוטיריאדס במאמרו: 'בין הממצאים הספוראדיים מהתקופה הרומית, נתגלה כאן במהלך החפירות שבר לוח של מצבת־קבורה הנושא את השם מכסימוס או דקימוס הארכיסינגוגוס. אין זה יוצא דופן, שבעיר יוונית קטנה ופורחת הייתה גם מושבה רומית נכבדה, לפחות מימי הקיסר טיבריוס, והתקיימה בה בד־בבד, כבר מימי השליח פאולוס, גם קהילה יהודית משגשגת ביישוב הנמצא לא הרחק מסלוניקי והעיר ווריה'.[13]

מכתובת קבורה זו אפשר להסיק על קיומה של קהילה יהודית בדיון בתקופה הרומית, שמכסימוס או דקימוס (הנפטר) היה ראש בית־הכנסת שלה. אולם התואר ארכיסינגוגוס אינו מעיד בהכרח שהוא תואר לראש בית־כנסת. לא מן הנמנע, על־פי הכתובות שלהלן, שמדובר כאן על נשיא או ראש אגודה (גילדה). למיטב ידיעתנו, בחפירות הארכיאולוגיות, הנערכות בדיון בשנים האחרונות על־ידי אוניברסיטת

11. פריי (לעיל, הערה 7), עמ' 504 (מס' 693).

12. G. Soteriades, 'Ἀνασκαφαὶ Δίου Μακεδονίας' ('Archaeological Excavations at Dion in Macedonia'), Πρακτικὰ τῆς ἐν Ἀθήναις Ἀρχαιολογικῆς Ἑταιρείας *(Praktika of the Archaeological Society in Athens, 1930)*, Athens 1932, p. 50.

13. שם (התרגום מיוונית שלי).

סלוניקי, לא נתגלו עדויות נוספות לקיום קהילה יהודית בעיר.

4. בעיר אולינתוס נמצאה עוד במאה הקודמת כתובת יוונית, שתאריכה אינו ברור, אך ייתכן שהיא מהתקופה הרומית. הכתובת מזכירה את Αἰλιανὸς Νείκων ὁ ἀρχισυνάγωγος Θεοῦ ἥρωος καὶ τὸ κολλ[ή]γιον (גילדה או שותפות), שהציבה או הקימה את המזבח ל־Βείβιος Ἀντώνιος.[14]

5. בסלוניקי נתגלתה בשנת 1884 מצבת־קבורה משנת 154 לסה"נ, שהוקמה על־ידי [οἱ συνήθε[ις (חברי האגודה) τοῦ Ἡρακλέος לזכר חבר אגודתם. הכתובת מציינת איש מסוים בהיותו ראש בית־כנסת או נשיא אגודה (גילדה), היינו ἀρχισυναγωγοῦντος ייתכן, שבתוקף תפקידו הוא כיהן גם כמזכיר או כפקיד פיננסי של האגודה (הגילדה).[15] כתובת זו מעוררת קושי מסוים בדבר זהותה היהודית בגלל השם הרקלס.

6. בכתובת אחרת, המתוארכת לשנת 155 לסה"נ, הטקסט מקוטע ומתייחס לאותה συνήθεια (אגודה או קבוצה) וגם בה מופיעה המלה ἀρχισυναγωγοῦντος (בהיותו נשיא או ראש האגודה, או ראש בית־הכנסת).[16]

7. כתובת־קבורה נוספת מסלוניקי, משנת 160 לסה"נ, נחקקה על־ידי אגודה לזכר אחד מחבריהם:

Η συνήθια Ἥρωνος Αὐλωνίτου Γ. Ἰουλίῳ Κρήσκεντι· οἱ περὶ ἀρχ(ι)συνάγωγον Ἀρτέμωνα Ζυγοποίον, ἱερῆ Τρύφωνα, τὰ ἐκ τοῦ γλωσσοκόμου γινόμενα αὐτῷ μνίας χάριν. האגודה של הֶרוֹן אָולוֹנִיטֶס עבור גאיוס יוליוס קְרֶסְקֶנְס. החברים של ראש האגודה (היינו, הנשיא – א"ע) או ראש בית־הכנסת אַרְטֶמוֹן עושה המאזניים או המשקלות והכהן טריפון (שילמו עבור) הוצאות ארון־הקבורה או הגלוסקמא שלו, לזכרו.[17]

לפנינו אפוא שלוש כתובות המצביעות על פעילותן של אגודות מסוימות, אולי

14 Corpus Inscriptionum Graecarum (addenda et corrigenda), II, Berlin 1843, No. 2007f.

15. Inscriptiones Graecae, X, 2, 1, Berlin 1972 (repr.), No. 288

16. שם, מס' 289.

17. Ph. Petsas, Ἀρχαιολογικὸν Δελτίον (*Archaiologikon Deltion*), 24 (1969), pp. 300–302, Pl. 311; J. and L. Robert (eds.), *Bulletin Épigraphique*, in *Revue des Études Grecques*, 85 (1972), No. 263

גילדות, בתוך הקהילה היהודית בסלוניקי בתקופה הרומית. השאלה היא כיצד להתייחס למלה ἀρχισυνάγωγος במקרים הנדונים. האם לראש בית־כנסת או לנשיא אגודה (גילדה)? אם נבחר באפשרות השנייה, הפחות שגרתית, הרי תוארו מצביע על תפקיד מנהלי. כמוהו, גם עמיתיו מאגודות אחרות, שנשאו אותו תואר, היו פעילים בתוך הקהילה היהודית.

8. בֶּווֹריה נתגלתה כתובת קבורה לזכר גֶמֶלוֹס המיוחסת לתקופת האימפריה וזו לשונה: אַמִיה אשתו וקוּאַרְטיון בנו, וחברי האגודה (הגילדה) של פוסידוניוס הנשיא (הארכיסינגוגוס), לזכר גֶמֶלוס.[18]

לפי הכתובת מסתבר, שגמלוס היה חבר ה־συνήθεια, שנשיאה היה פוסידוניוס.

9. מפתיעה במיוחד כתובת שנתגלתה ב־Pydna ב־1949 משנת 250 לסה"נ, ובה הקדשה לזֶוס העליון (Zeus Hypsistos Ζεὺς Ὕψιστος) על־ידי אגודת מאינים (θρησκευταί) שתוארו של אחד הנכבדים בה היה ἀρχισυνάγωγος.[19] הכתובת, ודאי אינה יהודית למרות התואר ἀρχισυνάγωγος, אופיה הפאגאני בא לידי ביטוי בהזכרת זוס העליון (Ζεὺς Ὕψιστος). האם התואר ἀρχισυνάγωγος בכתובת זו אומץ מן היהדות על־ידי הגויים כתואר במשמעות של ראש אגודה או קבוצה דתית?

10. בכתובת קבורה יוונית מן העיר Bizye (Viza של היום) שבתרקיה אנו קוראים: Μνῆ(μ)α Ῥεβέκας τῆς πρεσβυτέρας κεκυμημένης - קבר רבקה הקשישה (הזקנה) הישנה (הנחה).[20] בראש הכתובת מצויים מנורה בעלת שבעה קנים ואתרוג, דבר שאינו מותיר ספק בדבר זהותה היהודית של הנפטרת. באשר

18. A. Romiopoulou, Ἀρχαιολογικὸν Δελτίον *(Archaiologikon Deltion)*, 28 (1973), p. 439, Pl. 392; *Supplementum Epigraphicum Graecum*, 27 (1977), No. 267; G. Touchais, 'Chronique des fouilles et découvertes archéologiques en Grèce en 1977', *Bulletin de Correspondance Hellénique*, 102 (1978), p. 706, with fig. 145 on p. 707.

19. ראה J.M.R. Cormack, *Mélanges helléniques Offres à G. Daux*, Paris 1974, pp. 51–55; J. and L. Robert (eds.), *Bulletin Épigraphique*, in *Revue des Études Grecques*, 89 (1976), No. 351.

20. ראה פריי (לעיל, הערה 7), עמ' 503 (מס' 692); R.M. Dawkins and F.W. Hasluck, 'Inscriptions from Bizye', *The Annual of the British School at Athens*, No. XII, Session 1905–1906, p. 179f. (No. 5).

למלה πρεσβυτέρα קיים קושי מסוים. האם מדובר באשה מכובדת ובעלת מעמד בתוך קהילתה, שתוארה זהה לזה של ʾαρχισυνάγωγος בדומה לתוארה של רופינה היהודיה ʿΡουφεῖνα 'Ιουδαία ἀρχισυνάγωγος בכתובת־קבורה מאיזמיר?[21] במלים אחרות, האם קיים קשר בין התואר πρεσβυτέρα לבין ἀρχισυνάγωγος, או שמא המושג πρεσβυτέρα מציין בפשטות אשה שהגיעה לגיל מבוגר, כלומר רבקה היהודייה הזקנה? ייתכן גם שמדובר באשתו של πρεσβυτέρος כלומר באחד מחברי הגרוסיה המקומית.[22] מכאן גם תוארה πρεσβυτέρα סביר להניח, שמדובר בתואר המציין מעמד חברתי מכובד, בזכות מעשיה וכישוריה, בתוך הקהילה היהודית ב־Bizye, במיוחד בקרב נשות הקהילה.

11. כתובת אחרת מתרקיה מזכירה את Γ. 'Ιούλιον [Ο]ὐάλεντα כ־ἀρχισυνάγωγος היינו נשיא או ראש גילדת הספרים: τῆς συναγαγω[γ]ῆς τῶν κουρέων.[23] האם המלה συναγωγή בכתובת זו היא במשמעות גילדה מקצועית, או שמא הכוונה למקום מושבם המוגדר של חברי גילדת הספרים בתוך בית־הכנסת, דוגמת בית־הכנסת הגדול, הדיפלוסטון, באלכסנדריה שהיו בו 'קתדראות של זהב' ומושבים קבועים לסוגים השונים של בעלי המלאכה: צורפים, נפחים וכיו"ב ("זהבין בפני עצמן וכספין בפני עצמן ונפחין בפני עצמן")[24] אם נקבל אפשרות זו, הרי ה־ἀρχισυνάγωγος בכתובת הנדונה הוא במשמעות של ראש בית־כנסת.

מבין השרידים היהודיים שנתגלו במקדוניה יש להזכיר קבר יהודי מעוטר מהתקופה הביזנטית הקדומה. (איור מס' 3). הקבר נתגלה בעת חפירת היסודות לקמפוס החדש של אוניברסיטת סלוניקי, שנבנה על אתר בית־העלמין העתיק של יהודי העיר. הקבר בנוי ויש בו תא מלבני אחד, קירותיו מטויחים ומשוחים בצבע בהיר, ותקרתו בנויה קמרון חביתי. על הקירות שנותרו משוח פס עיטורי כהה על הרקע הבהיר. הפס משוח בצורה אופקית בשליש העליון של הקיר הארוך של התא וסביב קירותיו הצרים.

21. A. Ovadiah, 'Ancient Synagogues in Asia-Minor', *Proceedings of the Xth International Congress of Classical Archaeology* (ed. E. Akurgal) (Ankara-Izmir, 23–30 September 1973), II, Ankara 1978, p. 858.

22. ראה פריי (לעיל, הערה 7), עמ' 503 (מס' 692 למטה).

23. *Inscriptiones Graecae ad Res Romanas pertinentes*, I,, Paris 1911, No. 782.

24. על הדיפלוסטון ראה בבלי, סוכה נא ע"ב; תוספתא, סוכה ד, ו; ירושלמי, סוכה, פ"ה נה, ע"ב.

במרכז המקומר של תקרתו צויר עיגול, אולי זר מסוגנן וסכֻמתי; על אחד משני קירותיו הצרים צוירה מנורה בעלת שבעה קנים. היא מתוארת בצורה לינארית ופשוטה, וניצבת על שלוש רגליים וקו אופקי תחתון מחבר את שלושתן ויוצר צורת מלבן. בקיר הצר השני שממול הייתה כנראה גומחה או מגרעת.[25] המנורה הזאת מוכיחה בעליל את זהותו היהודית של הקבר.

פתחנו בכתובת היוונית מבית־הכנסת בסטובי ונסיים בעדות אדריכלית מסטובי הקשורה בבניין בית־הכנסת במקום. אין ספק, שהיא מוסיפה נדבך נוסף לקיומן ולפעילותן של הקהילות היהודיות במקדוניה בכלל ובסטובי בפרט.

החפירות שערכו J.R. Wiseman ו-D. Mano-Zissi בראשית שנות השבעים[26] העלו, שהכנסייה הבסיליקלית מן המאה החמישית לסה"נ הוקמה מעל שני בניינים קדומים יותר, קרוב לוודאי בתי־כנסת. בית־הכנסת הקדום יותר, זה של פוליכרמוס, הוא מן המאה השלישית לסה"נ, כפי שמעידה גם הכתובת עצמה, בעוד שהמאוחר יותר מתוארך למאה הרביעית לסה"נ. מאחר שתכניות הבניינים האלה אינן ברורות די צורכן, קשה גם לזהות בהן אותן יחידות אדריכליות המוזכרות בכתובת, ה־τρίκλεινον (triklinion) וה־τετράστοον (tetrastoon) שבנה פוליכרמוס מכספו הוא. יחד עם יחידות אדריכליות אלו הקים פוליכרמוס גם יחידה שנועדה לשמש כבית־כנסת (ἅγιος τόπος בכתובת). יחידה זו היא קרוב לוודאי הבניין מן המאה השלישית, כתאריך הכתובת, ששרידים ממנו נתגלו בחפירות הארכיאולוגיות בראשית שנות השבעים[27] מתחת לבניין בית־הכנסת המאוחר יותר (מאה רביעית), שהפך במאה החמישית לכנסייה נוצרית. הנגל נוטה להאמין,[28] שפוליכרמוס הורה בצוואתו להפוך את ביתו הפרטי לבית־כנסת; ייתכן שאף הרשה לתת שירותים לקהילה היהודית ולערוך תפילות בציבור בבית. הדבר הצריך עריכת שיפוצים שונים בבניין ובחדריו, כמו ריהוט מתאים, מקום תפילה הולם, חדרי נשים, מקום ארון הקודש והמנורות וכדומה.

הטריקליניון והטטראסטואון שבכתובת היוו, מן הסתם, יחידות אדריכליות שונות בתכלית מבחינה פונקציונלית מזו של ה־ἅγιος τόπος (בית־הכנסת). לפי הכתובת, פוליכרמוס לא הגביל את השהייה בחדרי הקומה העליונה של הבניין. לדעת

25. זכרון סלוניקי (עורך: ד"א רקנטי), א, תל־אביב תשל"ב, 4 (תמונה); XPONIKA (זכרונות) November, 1971 (23), p. 9 (Greek)

26. Wiseman and Mano-Zissi (לעיל, הערה 6).

27. בעניין מידות אדריכליות אלו בכתובת, ראה לעיל, הערה 7.

28. שם (לעיל, הערה 5), עמ' 164.

הנגל[29] אפשר לפרש זאת בכך שהתורם העביר לקהילה את בית־מגוריו הפרטי. בתמורה למגוריו בקומה העליונה הוא התחייב לשאת בהוצאות תיקוני הגג. פוליכרמוס העריך, שהוא ויורשיו יוכלו לגור לעולם ב'מקום הקדוש', היינו בתחום בית־הכנסת. כאדם במעמדו וכבעל אמצעים, היו בוודאי לפוליכרמוס אפשרויות לרכוש לעצמו בית בכל מקום שיחפוץ, אך הוא רצה לשמור לעצמו וליורשיו את הזכות להתגורר לנצח במקום שהשכינה שוכנת בו. ההקפדה היתרה שבה נקט על מנת להבטיח את זכויותיהם, כעדות הכתובת, מצביעה על כך שהוא צפה שבעתיד תתעורר התנגדות במיוחד לאחר מותו, מצד אנשי הקהילה בסטובי וראשיה. אין ספק, שפוליכרמוס נטל חלק פעיל בחיי הקהילה היהודית בסטובי והשפעתו הייתה גדולה, בין היתר בשל ממונו. עם זאת, נשאלת השאלה מדוע הוא מצא לנכון לציין בכתובת, שהוא חי כל חייו לפי היהדות (κατὰ τὸν Ἰουδαϊσμόν) ייתכן שפוליכרמוס היה גר צדק שראה כגולת־הכותרת של חייו את התרומה לבית־הכנסת. Lietzmann סבור שדבר זה אפשרי, כיוון שגם גרי צדק יכלו לקבל תואר כבוד, כדוגמת פוליכרמוס.[30]

מכל האמור אפשר להניח, שקהילות אלו שמרו על עצמאותן הדתית ונהנו ממעמד חברתי וכלכלי איתן. למרות שהמקורות ההיסטוריים, החומר האפיגרפי והממצא הארכיאולוגי־אדריכלי אינם רבים, סביר לחשוב שקהילות יהודיות נוספות נתקיימו במקדוניה ובתרקיה ובחלקים אחרים של יוון. הן, ללא ספק, יצרו את הגרעין של יהדות יוון לדורותיה.

29. שם, עמ' 173.

30. שם, עמ' 178.

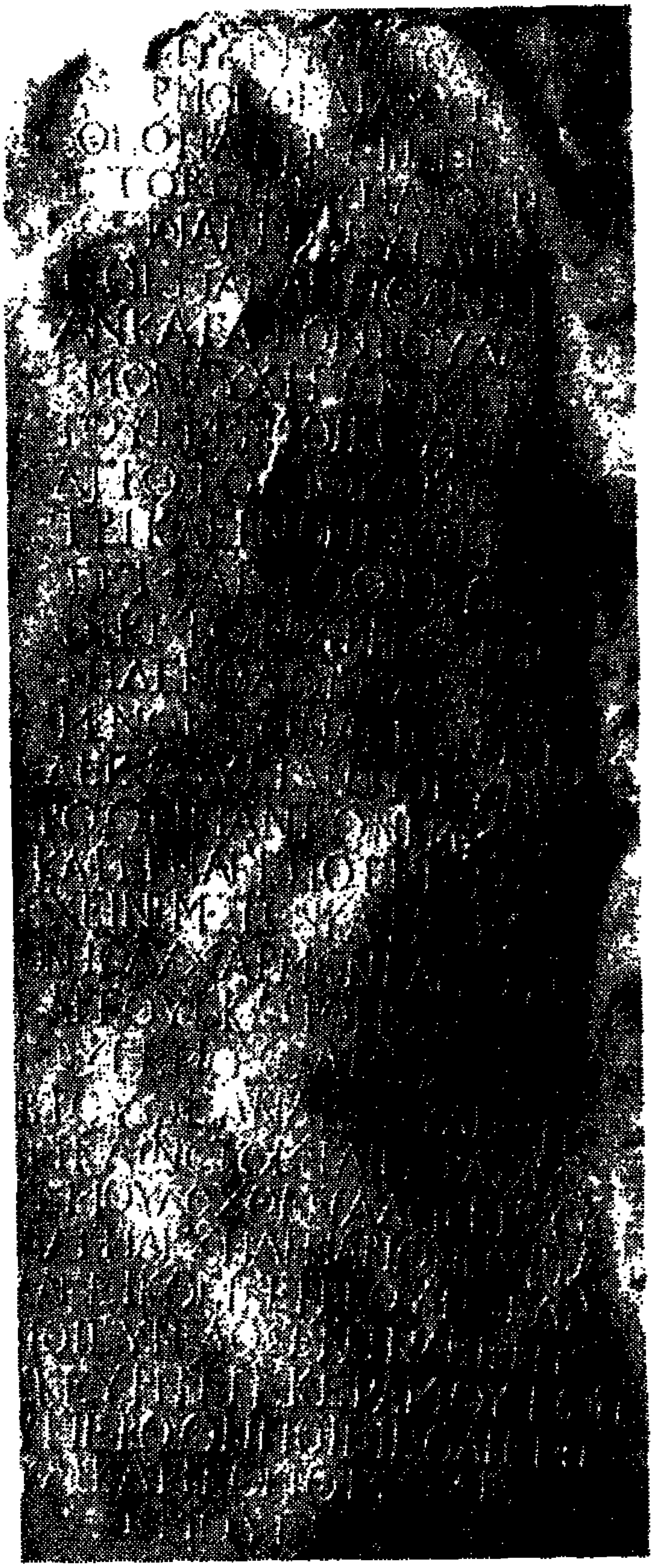

[illegible]ΤΙΒΕΡΙΟΣΠΟΛΥ
ΧΑΡΜΟΣΟΚΑΙΑΧΥΡΙ
ΟΣΟΠΑΤΗΡΤΗΣΕΝ
ΣΤΟΒΟΙΣΣΥΝΑΓΩΓΗΣ
ΟΣΠΟΛΕΙΤΕΥΣΑΜΕ
ΝΟΣΠΑΣΑΝΠΟΛΕΙΤΕΙ
ΑΝΚΑΤΑΤΟΝΙΟΥΔΑΙ
ΣΜΟΝΕΥΧΗΣΕΝΕΚΕΝ
ΤΟΥΣΜΕΝΟΙΚΟΥΣΤΩ
ΑΓΙΩΤΟΠΩΚΑΙΤΟ
ΤΡΙΚΛΕΙΝΟΝΣΥΝΤΩ
ΤΕΤΡΑΣΤΟΩΕΚΤΩΝ
ΟΙΚΕΙΩΝΧΡΗΜΑΤΩΝ
ΜΗΔΕΝΟΛΩΣΠΑΡΑΨΑ
ΜΕΝΟΣΤΩΝΑΓΙΩΝΤΗΝ
ΔΕΕΞΟΥΣΙΑΝΤΩΝΥΠΕ
ΡΩΩΝΠΑΝΤΩΝΠΑΣΑΝ
ΚΑΙΤΗΝΔΕΣΠΟΤΕΙΑΝ
ΕΧΕΙΝΕΜΕΤΟΝΚΛΤΙΒΕΡΙ
ΟΝΠΟΛΥΧΑΡΜΟΝΚΑΙΤΟΥΣ
ΚΑΙΤΟΥΣΚΛΗΡΟΝΟΜΟΥΣ
ΤΟΥΣΕΜΟΥΣΔΙΑΠΑΝΤΟΣ
ΒΙΟΥΟΣΑΝΔΕΒΟΥΛΗΘΗ
ΤΙΚΑΙΝΟΤΟΜΗΣΑΙΠΑΡΑΤΑΥ
ΓΕΜΟΥΔΟΧΘΕΝΤΑΔΩΣΕΙΤΩ
ΠΑΤΡΙΑΡΧΗΔΗΝΑΡΙΩΝΜΥΡΙΑ
ΔΑΣΕΙΚΟΣΙΠΕΝΤΕΟΥΤΩΓΑΡ
ΜΟΙΣΥΝΕΔΟΞΕΝΤΗΝΔΕΕΠΙ
ΣΚΕΥΗΝΤΗΣΚΕΡΑΜΟΥΤΩΝ
ΥΠΕΡΩΩΝΠΟΙΕΙΣΘΑΙΕΜΕ
ΚΑΙΚΛΗΡΟΝΟΜΟΥΣ
ΕΜΟΥΣ

איור מס' 1: הכתובת היוונית מבית הכנסת של פוליכרמוס בסטובי

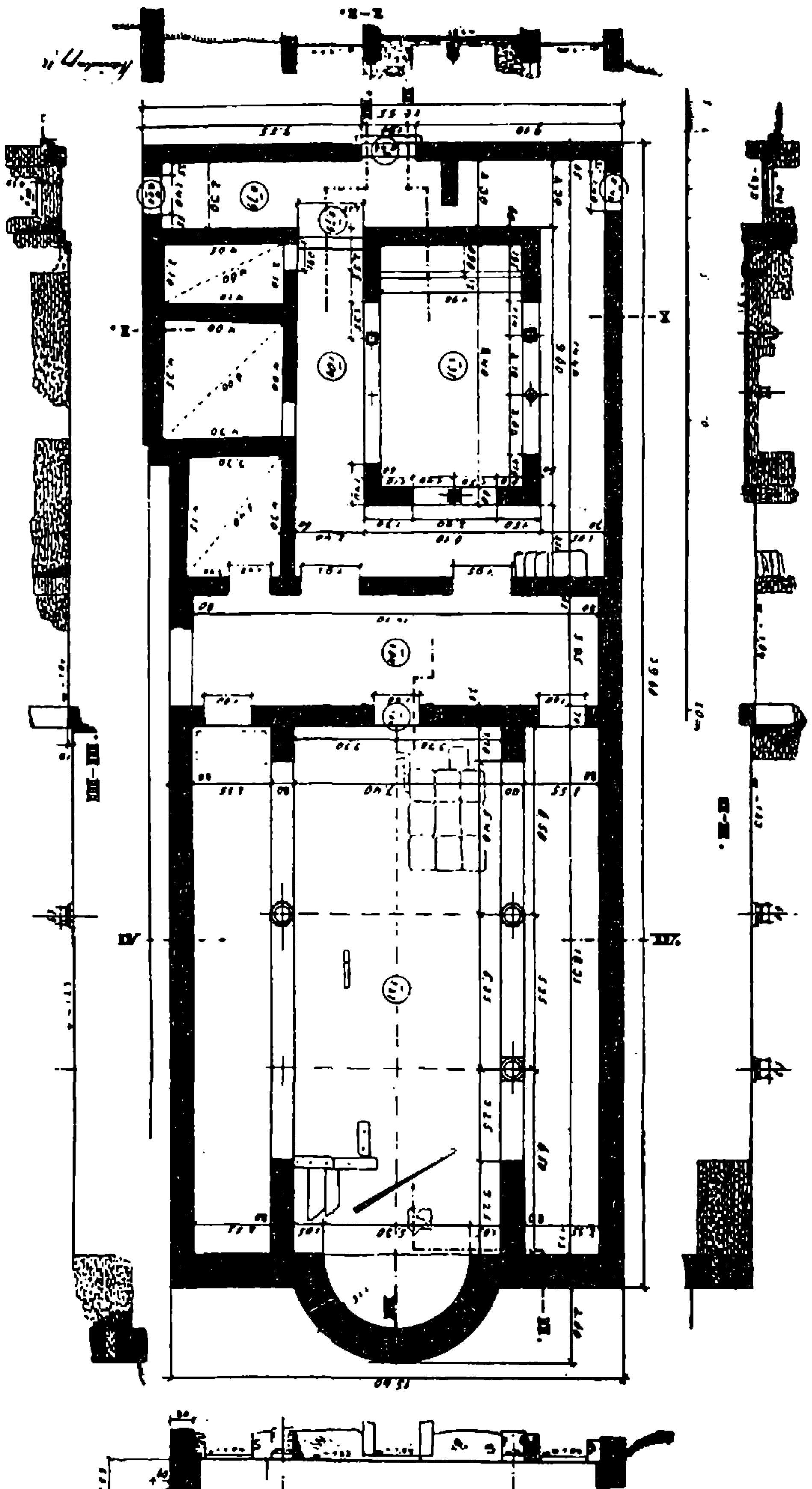

איור מס' 2: בית הכנסת בסטובי

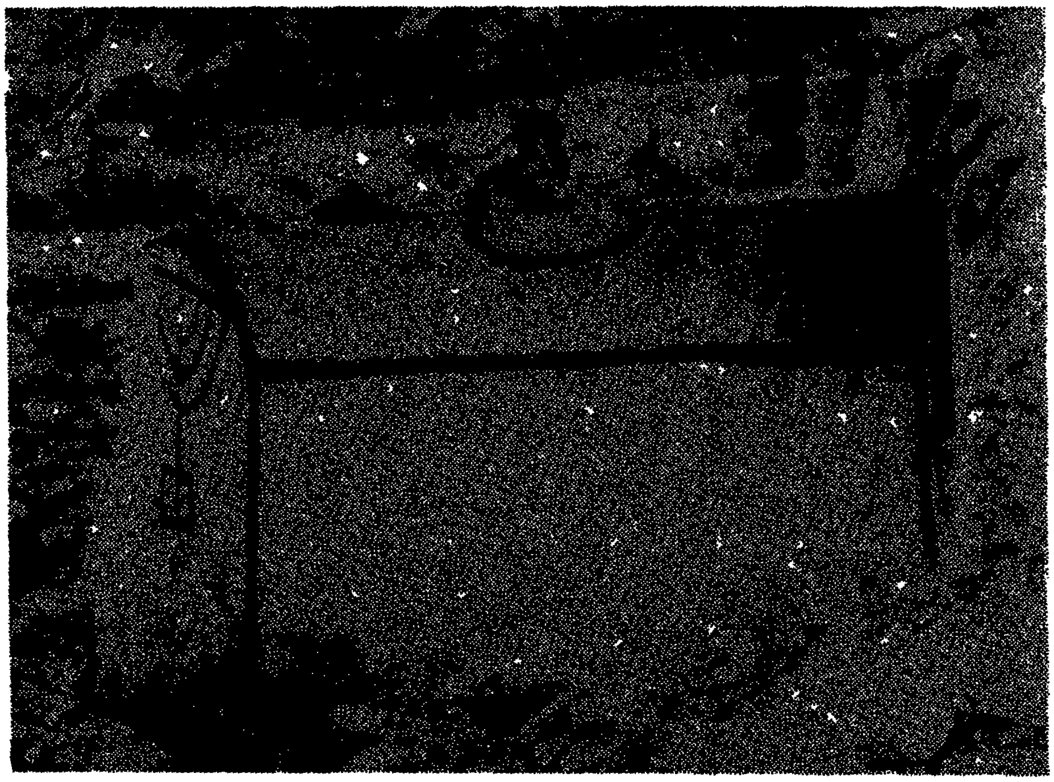

איור מס' 3: קבר יהודי מהתקופה הביזנטית הקדומה בסלוניקי

איור מס' 4: חזית בית הכנסת בעיר ווריה

קהילת הקראים בחברון

זאב ח' (ז'אבו) ארליך

עפרה

מבוא

עניינו של מאמר זה הוא קהילת היהודים הקראים בחברון, מועד ראשית התיישבותה ומועד סיומה, אישים שחיו בקהילה ומוסדות שהתקיימו בה. מלבד ריכוז כללי של החומר ודיון מקיף בו אציג פה חידוש מיוחד: שתי מצבות קבורה בבית העלמין הקראי בחברון, אשר בשונה מכלל המצבות, שאין עליהן כל כיתוב, הרי שבשתי מצבות אלו גילינו כתובות: האחת דלה ביותר, ושרדו בה שתי אותיות בלבד (מצבת 'ברוך הגוזר'), והאחרת ארוכה ומפורטת (מצבת 'ישראל בן מזל טוב'). לכאורה אך מעט עדויות יש בידינו על קיומה של הקהילה הקראית בחברון, והן מתמקדות בעיקר בשני עניינים:

1. קניית חצר היהודים, חלק מחצר היהודים או בית הכנסת בחברון מידי הקהילה הקראית בידי הרב מלכיאל אשכנזי בשנת ה"ש (1540).
2. עדויות נוספות ומסורת בעל פה על חלקת קברים של הקראים בבית העלמין היהודי בחברון.

בדיקה רחבה יותר מעלה כי יש עוד עדויות העוסקות בשני עניינים אלו, ואף יותר:

1. ערעור על הקנייה של הרב מלכיאל אשכנזי.
2. עדויות נוספות על בית הקברות הקראי ועל אודות הקבורים בו וגילוי שתי המצבות הכתובות שבו.
3. עדויות ושמות של יהודים קראים שהתגוררו בחברון ואף פעלו בה.

אמנם על חלק מן העדויות קמו עוררין שסתרו את אמינותן או סתרו אותה למחצה, לשליש ולרביע, ועל חלקן נטען שהן מזויפות או מזויפות בחלקן, אולם קיבוץ כלל העדויות ובדיקתן, על אף ההסתייגויות למיניהן, מצייר תמונה כוללת ואמינה ביותר.

את כל שהצלחתי לאסוף - וחובה נעימה היא לי לציין כבר בתחילת הדברים את עזרתו של פרופ' דן ד"י שפירא, שהערותיו משובצות בגוף המאמר ובשוליו - בכוונתי להציג לפני הקוראים. את עיקרי הדברים הצגתי בשתי הרצאות שהעברתי בכנס החמישי של 'מחקרי

חברון ויהודה', שנערך בחברון באסרו-חג שבועות תשע"ה (25 במאי 2015), ובכנס השישי, שנערך אף הוא בחברון באסרו-חג שבועות תשע"ו (13 ביוני 2016).

מיהם היהודים הקראים?

'הקראים', או 'בני מקרא', הם יהודים שאינם נוהגים לפי פסקי ההלכה כפי שהם במשנה ובתלמוד אלא נסמכים על התורה שבכתב בלבד ועל דרכי לימוד שלה בדרך שונה מהמסורת 'הרבנית'. מקובל במחקר כי היו בעם היהודי כמה וכמה קבוצות שלא קיבלו עליהן את ההלכה כפי שהיא מתבטאת בתורה שבעל פה, וכן התנגדו - כל קבוצה מסיבותיה היא - לסמכותם ההלכתית והמנהיגותית של חכמי ארץ ישראל ושל גאוני בבל.

לקבוצות אלו לא היה מנהיג אחד ולא מכנה משותף אחיד. ככל הנראה ענן בן דוד, בן למשפחת ראש הגולה בבבל, הוא שסיפק לקבוצות אלו את דמות המנהיג והפך אותן לכדי תנועה מוגדרת. על זמנו של ענן בן דוד הדעות חלוקות, ומוסכם על החוקרים כי חי בטווח שבין אמצע המאה השמינית לאמצע המאה התשיעית למניינם. יש להניח כי בשנים הראשונות הצטרפו לתנועה רבים מבני העם היהודי, אם כי קשה לדעת מה הייתה אז החלוקה בין 'רבנים' ל'קראים'. ייתכן שענן היה למעשה ראש קבוצה אחת בלבד, 'העננים', שרק שנים לאחר זמנו נטמעה בכלל הקבוצות הקראיות. קבוצות אחרות ידועות בכינוייהן 'אבלי ציון', 'שושניים' ועוד.

תפוצת הקראים הייתה בעיקר בבבל ההיסטורית, עיראק של ימינו, ומשם עברו מקצתם לארץ ישראל ולמצרים. אחרים עברו למערב אסיה, לרוסיה ולטורקיה, ומשם התפשטה התנועה הקראית למערב רוסיה, מליטא בצפון ועד לחצי האי קרים בדרום. הקבוצה שבבבל נעלמה והקבוצה שבארץ ישראל התמעטה, ועיקרה התרכז במצרים.

כיום מונים הקראים במדינת ישראל כ-80,000 נפש בריכוזים מספר. אלפים נוספים נותרו בליטא, בקרים ובטורקיה, ומעמדם האישי נתון במחלוקת הלכתית בין האשכנזים לספרדים.

קהילת היהודים הקראים בחברון

היישוב היהודי בחברון במאות השנים האחרונות, עד טבח תרפ"ט, מונה את תחילתו מימי הרב מלכיאל אשכנזי, סביב שנת ה"ש (1540). במסורת העממית, ולהלן נמצא לה סימוכין, מסופר על הרב מלכיאל אשכנזי שחידש את היישוב היהודי בחברון. קרוב לוודאי שההגדרה 'חידש' איננה מדויקת, אלא יש לומר שהרב מלכיאל אשכנזי נתן זריקת עידוד

ותמיכה ליישוב היהודי בחברון שהיה קיים בעיר עוד מלפני ימיו והעלה את חברון מחדש על מפת ההתיישבות היהודית בארץ ישראל. החיד"א, הרב חיים יוסף דוד אזולאי (תפ"ד-תקס"ו, 1724-1806), נין ונכד לרב אברהם אזולאי, איש חברון שחי בעיר ופעל בה רבות, הגדיר כך את הרב מלכיאל אשכנזי: "שמענו מזקני שער שהרב ז"ל היה סבה [= סיבה] שיהיו ישראל בעה"ק חברון ת"ו".[1] כלומר הרב מלכיאל אשכנזי היה הגורם העיקרי, הדוחף, שהודות לו יהודים גרים בחברון! הגדרתו כך יש בה כדי להעיד על היותו אבן יסוד בבניין היישוב היהודי בעיר האבות.

בספרו 'תבואות הארץ' סיפר ר' יהוסף שווארץ:

> בשנת 5300 [= ה"ש = 1540 לספה"נ] היה שם [בחברון] הרב ר' מלכיאל אשכנזי והוא היה חכם גדול וכתב פסקים הרבה [...] והוא יסד ישוב אב"י [אחינו בני ישראל] בחברון, וישבו שם אז קראים הרבה. וכל חצר היהודים (כי כמעט כל היהודים יושבי חברון יושבים בחצר א' גדול מאד ולו עליות תחתיים שניים ושלישים והבתים והחדרים זה על גבי זה וזה לפנים מזה) ובה"כ [ובית הכנסת] שעד היום קהל ספרדים, היה להם, וכמדומה שהר"מ הנ"ל [הרב ר' מלכיאל הנזכר לעיל] קנה מהם.[2]

מעדות זו נמצאנו למדים כי הייתה מסורת, ככל הנראה בעל פה, בקרב יהודי חברון וארץ ישראל, כי לפני ימי הקהילה המסתערבית-ספרדית בחברון או בזמנה ישבה בעיר קהילה גדולה של יהודים קראים ("וישבו שם אז קראים הרבה"). קהילה זו ישבה אל נכון בסביבות חצר היהודים, ובית הכנסת שעל שמו של אברהם אבינו היה בתוכה. אמנם העדויות שאנו מביאים הן מסוף המאה ה-18 והלאה, כלומר מתקופה שהייתה בה צליינות מתמדת של קראים לארץ ישראל, והם גם שהפיצו את טענתם זו, אך בכל זאת נראה שלטענה זו יש על מה שתסמוך.

הרב ישראל זאב הורוביץ מביא בספרו את עניין הערעור של הקראים על מכירה זו: "היהודים הוכיחו שמיסד הישוב ר' מלכיאל אשכנזי [...] קנה בכסף את חלק הקראים מראשי עדתם".[3] אם נדייק בלשונו, הרי שבחצר היהודים ישבו יחדיו יהודים-רבנים ויהודים-קראים, ובשנת ה"ש (1540) קנה הרב מלכיאל אשכנזי, מנהיג היהודים הרבנים, את החלק של היהודים הקראים. נמצאנו למדים כי הקהילה היהודית-רבנית-ספרדית הייתה קיימת במקביל לקהילה היהודית-קראית ואיננה מאוחרת לה.

1 אזולאי, תרל"ו, עמ' 88.
2 שוורץ, תר"ס, עמ' תעג.
3 הורוביץ, תרפ"ג, עמ' 254.

עדות זו על קניית החלק הקראי בחברון בידי היהודים הרבנים מקבלת תימוכין מסיפורו של הנוסע הקראי בנימין ירושלמי ב"ר אליהו, שביקר בחברון בשנים תקמ"ה-תקמ"ו (1786-1785): "[...] וחנינו בבתי הרבנים והם בתי הקראים מקודם ונתנו צדקה לבית הכנסת שלהם [...]".[4] אמירתו המפורשת כי "בתי הרבנים" של זמנו, הרבע האחרון של המאה ה-18, הם "בתי הקראים מקודם", ונוסף עליה אולי ההדגשה שלו על "בית הכנסת שלהם", יש בהן כדי להעיד שבימים עברו היה בית כנסת זה, 'אברהם אבינו', לא 'שלהם', של היהודים הרבנים, אלא אליבא דבנימין הירושלמי - 'שלנו' - כלומר של היהודים הקראים. הבנה זו משלימה את שאמר לפני כן, ש"בתי הרבנים (ו)הם בתי הקראים מקודם".

עוד אדגיש כי חצר היהודים ובוודאי בית כנסת אינם רכוש פרטי אלא רכוש של ציבור, של כלל הפרטים ובתי האב, של קהילה. נמצאנו למדים כי עלינו לדבר על 'קראים בחברון' לא כעל בודדים, יחידים, פרטים, אלא על 'קהילת הקראים בחברון'.

סביב שנת תרל"ה (1875), כ-25 שנה לפני פרסום ספרו של ר' יהוסף שווארץ 'תבואות הארץ', ערערו הקראים מקושטא על קניית בית הכנסת והחצר בידי ר' מלכיאל אשכנזי, אך ערעורם לא צלח. כך כתב שווארץ סביב שנת תר"ס (1900):

> זה כחמשה ועשרים שנה באו שלוחי קהל קראים מעיר קושטא לדון על בה"כ [בית הכנסת] ועל החצר הנזכר לקחתו מיד יושבי העיר [היהודים הרבנים] באמרם כי להם [לקראים] הוא והם בנוהו, אכן הלכו בפחי נפש ולא הועילו בעלילותיהם.[5]

ככל שבדקתי לא הגיעו עניין המכירה ועניין הערעור עליה אל בתי הדין השרעיים בארץ.[6] גם הורוביץ מספר על ערעור זה, אם כי הוא מציין את שנת תק"פ (1820) כזמן האירוע:

> [...] עד שנת תק"פ. אז באו הקראים הקושטאים לדון עם יהודי חברון בדבר החצר שהם יושבים בה ולא הועילו מאומה, היהודים הוכיחו שמיסד הישוב ר' מלכיאל אשכנזי [...] קנה בכסף את חלק הקראים מראשי עדתם.[7]

4 גורלאנד, תרכ"ו, עמ' 53; יערי, 1946, עמ' 474.

5 שוורץ, תר"ס, עמ' תעג.

6 כהן וסימון-פיקאלי, תשנ"ג.

7 הורוביץ, תרפ"ג, עמ' 254. בהערה 84 בספרו אמנם הפנה הורוביץ ל"כתב הסכמה לס[פר] וחשב לו הכהן מהר"ר אברהם מלאסק, מירושלם, פארדא תקמ"ד" כמקור לסיפור הערעור, אולם בכל 'כתבי ההסכמה' לספר זה לא מצאנו עניין זה כלל, ואולי טעות ביבליוגרפית היא: כיצד בספר שיצא לאור בשנת תקמ"ד (1784) יכול להופיע סיפור שיתרחש 35 שנה אחר כך, בשנת תק"פ (1820)?!

בהחלט ייתכן שאין זה אותו ערעור אלא ערעור אחר, בשנה אחרת, ואין כאן כל בלבול בתאריכים. גם החכם הקראי אברהם פירקוביץ, הנודע בכינויו אב"ן רש"ף, סייר בחברון בביקורו בארץ בשנת תק"צ (1830), סיפר על בית הקברות הקראי במקום, רכש שם ספרים עתיקים[8] והתווכח עם היהודים הרבנים בחברון על רכוש השייך כביכול לקראים.[9]

ערעורים אלו - וכנראה היה עניין זה של ערעור על הקנייה עניין שכיח - 335 שנה (על פי שווארץ), או 'רק' 280 שנה (על פי הורוביץ) לאחר הקנייה, מראה שהיה ידוע ומפורסם הן בין היהודים הקראים והן בין היהודים הרבנים שחלק הקראים בחצר היהודים בחברון, ואולי אף בית הכנסת שבה, נקנו מידי הקראים שישבו שם במקביל ליהודים הרבנים.

איור 1: חברון, בית הכנסת 'אברהם אבינו' היום; משוקם על מקומו הקדום; מבט מבחוץ פנימה [צילום: זאב ח' (ז'אבו) ארליך]

8 פירקוביץ, תרל"ב, עמ' 2-3.

9 דן ד"י שפירא מעיר: נראה שהמקור העברי של יומן מסע העלייה לרגל שרשם פירקוביץ, ובו מסעו בשנת 1830, ביקורו בחברון, פירוט בית הקברות הקראי שם, ויכוח עם הרבנים בעניין הרכוש הקראי או הרבני שם, אבד. התרגום לרוסית של ב' כוֹכֵּנֵי פורסם בסמיאזדט על ידי מיכאל עזר, ראו פירקוביץ, 1986. לאחרונה התפרסם בטורקיה תרגום טורקי מהנוסח הטטרי הנכתב אות עברית מאוסף משפחת קטיק. "[...] זולת רכישת ספרים, במהלך המסע התעניין פירקוביץ במצבות קבורה הן בנחל קדרון הן בבית העלמין הקראי בירושלים. בחברון ביקר פירקוביץ בבית העלמין הקראי בחלקה שבין קבר ישי לקבר עתניאל בן קנז וראה שם 21 מצבות גדולות של קראים (הן נעלמו בימינו); כמו כן התווכח בחברון בישיבת הרבנים על הבעלות על נכסי היישוב היהודי בעיר - מעשה רגיל בקרב עולי הרגל הקראיים מקרים בזמן ביקורם בחברון [...]".
במכתבו משנת 1863 לקראי הית, עיראק, הבטיח להם פירקוביץ שיפעל אצל הסולטן העות'מאני על מנת להציל "את רחוב הקראים ואת בית הכנסת בחברון מידי הרבנים". ראו הרכבי, 1877, עמ' 217-218.
על מגעיו עם קראי הית גם במכתבו של פירקוביץ מחלב לקראי קהיר הוא מציע להם לפדות בתי כנסת קראיים קדומים, בין היתר את בית הכנסת הקראי בחברון, שנתפס בידי הרבנים.

איור 2: חברון, בית הכנסת 'אברהם אבינו' היום; משוקם על מקומו הקדום; ברית מילה [צילום: זאב ח' (ז'אבו) ארליך]

נמצאנו למדים כי לקהילת היהודים הקראים בחברון היו מוסדות מספר: בית כנסת, חצר השייכת לבית הכנסת או שהייתה מוסד העומד בפני עצמו וכן בית קברות, וככל הנראה גם 'חברא קדישא', שאולי הייתה משותפת לזו של היהודים הרבנים.

זכרה של הקהילה היהודית-קראית בחברון, אף שחדלה מלהתקיים ככל הנראה כ-50 שנה לפחות קודם לקניית בית הכנסת והחצר בידי הרב מלכיאל אשכנזי, קרי כבר סביב שנת 1480 אם לא לפני כן, נשאר חקוק בזיכרונה של הקהילה היהודית-הרבנית המסתערבית-ספרדית שבאה תחתיה. בתיק חברון (מכל 327/2) שבארכיון העיר ירושלים התגלה

לאחרונה תרשים של הרובע היהודי בחברון, 'הגטו' היהודי בחברון. התרשים משורטט בעיפרון בכתב ידו של בן חברון שהיה מצוי בקהילה וידע את סודותיה, דוד אבישר (1888-1963). התרשים שורטט על דף משובץ בגודל 21X30 ס"מ.[10] אף על פי שלא ידוע מתי שורטט התרשים, הרי שמכמה וכמה סיבות סבור גרשון בר-כוכבא, שחקר את התרשים ואת מהימנותו והשווה אותו לשרידי הרובע בשטח, שמועד שרטוט התרשים הוא סביב שנת 1943. גם ממרחק הזמן ונקיטת אמצעי זהירות כמו הכתרת התרשים בשם "תרשים משוער(!) של הגיטו בחברון", הרי שדוד אבישר דייק מאוד בהצגת הנתונים ובזיכרונו המופלא את הגטו על פרטיו. בתרשים זה מכונה הסמטה המזרחית ביותר של הגטו, זו הגובלת ב"בתי הערבים", כלשון התרשים, "רחוב הקראים"! אם אכן חדלה הקהילה הקראית מלהתקיים סביב שנת 1480, והתרשים משקף את הרובע היהודי בחברון בשנים שלפני תרפ"ט (1929), הרי שבמשך כ-450 שנה לפחות שימרה הקהילה היהודית-רבנית את זכר הקהילה היהודית-קראית בחברון. על מיקום 'רחוב הקראים' דווקא במזרחו של הרובע נעמוד להלן.

עדויות על יהודים-קראים בחברון

איננו יודעים מאימתי ישבו היהודים הקראים בחברון, ברם לפי העדויות שלהלן יש להניח כי הקהילה הקראית בחברון הייתה במקום עוד מלפני כיבוש הארץ בידי הצלבנים בשנת 1099 לספה"נ. מן המקורות שבידינו אפשר לציין שלושה מחכמי הקראים, שני סופרים ודיין, שלפחות לפי העדויות התגוררו בחברון, ולו בתקופה שנכתבו בה העדויות. כוונתי לשלושה אלו, לפי סדרן הכרונולוגי של העדויות:

א. הסופר צמח בן אבו שיבה נזכר בעדות משנת ד'תצ"ח (738 לספה"נ);
ב. הסופר צדקה בן שמרון נזכר בעדות משנת ד'תשס"ב (1001 לספה"נ);
ג. הדיין ישראל בכר דניאל נזכר בעדות משנת ד'תתכ"ג (1063 לספה"נ).

10 את התרשים גילה חוקר חברון גרשון בר-כוכבא בעזרת הרב משה הלל ממכון 'אהבת שלום' ומר אפרים לוי מארכיון העיר ירושלים, שהסבו את תשומת לבו לקיומו של התרשים. סא"ל במיל' אליהו ליבמן, קב"ט היישוב היהודי בחברון, תיאם בעבורו את הכניסות למקומות רחוקים מן העין, ובכך אִפשר למצות את המצוי בתרשים. גרשון בר-כוכבא הביא לידיעת הציבור את המידע על אודות התרשים בהרצאתו "'הגטו היהודי' בחברון - חשיפת מבנים עלומים, ישן מול חדש" שנשא בכנס החמישי של 'מחקרי חברון ויהודה' שנערך בחברון באסרו-חג שבועות תשע"ה (25 במאי 2015). מאמרו של גרשון בר-כוכבא עתיד לראות אור באחד הגיליונות הקרובים של כתב העת 'קתדרה' תחת הכותרת: 'הרובע היהודי העתיק בחברון בתחילת המאה העשרים'.

מאחר שלא צוין אחרת אני מניח שאישים אלו חיו בחברון ופעלו בעיר, נפטרו בה ונטמנו בבית העלמין הקראי שבעיר. לשלושה אלו יש לצרף את שמותיהם של הקראים הנזכרים ב׳אל-תרחים׳, מעין רשימות אשכבה לזיכרון נפטרים, אם כי מתקופה מאוחרת להם. ליד שמות מקצת הנפטרים מצוין: ״נטמן בחברון בארץ הקודש״.

הסופר צמח בן אבו שיבה

ד׳תצ״ח (= 738 לספה״נ) = 1050 לשטרות

בכתובת על חומש שאברהם פירקוביץ מפנה אליה, כפי שפורסמה בידי הרכבי, נכתב (ההדגשה שלי):

זה ספר התורה
התמימה קדש ליוי
אלהי ישראל
לבני מקרא אשר
בחברון הקדושה
הקדיש מר׳ רב׳
צמח הסופר בן
אבו שיבה
השר הפליל הסופר
נ״נ בשנת אלף וחמשים
לשטרות גם ברוך
יהיה והוא קדש ליוי
לא ימכר ולא יגאל לעולם[11]

׳קדש ליוי׳ - הכתיב הקראי לביטוי ׳קודש לה״, על פי שמות כה, לז ועוד. הקראים מציינים בחלק מכתביהם את שם הוי״ה כך: יוי. הסיבה היא ששם הוי״ה בגימטרייה הוא 26, וכך גם הגימטרייה של יו״י. בספרות ימי הבינים מופיע גם הצירוף י״י ומעליו ׳שוכבת׳ האות וי״ו. הכול בגימטרייה מכוון לגימטרייה של שם הוי״ה.

׳בני מקרא׳ - הם הקראים.

׳נ״נ׳ - ראשי תיבות של נ׳וחו נ׳פש או ׳נ׳חה נ׳פשו, הווי אומר ׳ברכת המתים׳, כלומר האיש

11 הרכבי, 1877, עמ׳ 244.

נפטר. בלשון ימינו: ז"ל - זיכרונו לברכה, או ע"ה - עליו השלום.

שנת 1050 לשטרות היא שנת 738 לספה"נ. מניין שטרות מתחיל בשנת 312 לפנה"ס, עם עלייתו לשלטון של סלאוקוס הראשון. לציון תאריך זה חשיבות מרובה, שהרי הוא קרוב לימיו של ענן בן דוד, מייסד התנועה הקראית.

הספר הוקדש לקהילת הקראים בחברון בידי הסופר צמח בן אבו שיבה, אף הוא סופר, בעודו בחיים, וכן בידי 'שר ופליל' שכבר נפטר ונזכר בברכת המתים (נ"נ).

נכון שאין לי כל הוכחה לכך, אולם יש להניח שסופר-מקדיש זה, צמח הסופר בן אבו שיבה, חי בעירו חברון, פעל בה, מת בה ונקבר בחלקה הקראית שבבית העלמין שבעיר. אם התאריך הוא אכן 1050 לשטרות, כלומר 738 לספה"נ, הרי שיש כאן רמז לקבורת הקראים בחברון כבר מימי ענן בן דוד, כדברי הנוסע הקראי בנימין ב"ר אליהו ירושלמי (להלן).

ואולם על דמותו של צמח בן אבו שיבה ועל תעודה זו כבר עמד פוזננסקי (ההדגשה שלי):

> בספר תורה אחד נמצאה לפי דברי פירקוויץ רשימה כזאת: "זה ספר התורה התמימה קדש ליו"י אלהי ישראל לבני מקרא אשר בחברון הקדושה הקדיש מר' ורב' צמח הסופר בן אבו שיבה השר הפליל הסופר נ"נ בשנת אלף וחמשים לשטרות גם ברוך יהיה והוא קדש ליו"י לא ימכר ולא יגאל לעולם" (Denkmaler, 244; הבקר אור א' 66). והנה באמת היה אחד מבעלי המסרה ושמו צמח בן אבו שיבה (ע"ש 246; חדשים גם ישנים ב' 7 והלאה). אבל הרשימה הזאת היא בלי ספק מזוייפה, כי איך זה היו בני מקרא בשנת אלף וחמשים לשטרות (738), ועוד נזדייפה למען הראות כי היו קראים בחברון וכי הרבנים לקחו מידם את בית הכנסת שלהם. ועוד יש רשימה אחת (הבקר אור שם, ולקוח מנחל קדומים): "ימצא רחמים כג"ק מר' ורב' אליעזר המקדיש הפתרון הלז שהוסיף חסדו והקדיש את ספר תקון הסופרים המלמדים המשכילים מלמדינו ומזהירינו כג"ק מר' ורב' אבו שיבה עם בנו חמודו כג"ק צמח הסופר וחבריהם ורבותיהם שעשו סיג לתורה מסורת המסורה יר"א והקדיש זאת ביום ב' ט' תשרי ערב יום הכפורים שנת ד"א תשע"ו פה מושבנו מצודת ציון תובב"א." ואיש אחד ושמו אבו שיבה נזכר בכ"י קראי בלשון ערבי על דבר האביב כ"י בר' מוז' 2523 .Or) 1098III) דף נ"ח ע"א (ע' רשימה ח"ג 513b) וכנראה שהיה קראי ואולי הוא הנ"ל.[12]

12 פוזננסקי, תרע"ד.

נמצאנו למדים כי אמנם הייתה דמות קראית היסטורית ששמה צמח בן אבו שיבה, אולם עדות זו שלפנינו היא מזויפת. יש להניח כי פירקוביץ השתמש בדמות אמתית זו לצרכיו, ואין לנו ללמוד מתעודה זו דבר. לענייננו - לא ידוע לי כי צמח בן אבו שיבה היה בחברון.

הסופר צדקה בר שמרון

ד'תשס"ב (= 1001 לספה"נ) = 1313 לשטרות

עוד סופר קראי מחברון, שנזכר בעדות משנת ד'תשס"ב (1001 לספה"נ), ככל הנראה חי בעיר עוד מלפני בוא הצלבנים, שהגיעו לחברון רק בשנת 1099 לספה"נ. על סופר קראי זה, צדקה בן שמרון, אנו שומעים מעדות עצמו של הסופר,[13] שכתב ספר נביאים ומכר אותו בחברון לאדם אחר, ככל הנראה קראי המכונה 'כרימי', כלומר לכאורה מחצי האי קרים,[14] שיש להניח שהזמין אצלו העתקה של הספר. על עמוד שלם, בסוף ספר הנביאים, נרשמה כתובת זו (ההדגשה שלי):

אני צדקה בר שמרון ב'ר' מוחא
ב'ר' מ'ר' משה הסופר ב'ר' מרינו
ורבינו הר' מוחא ר'י'ת' הטבריני
מכרתי זה ספר נביאים שכתבתי
בניקוד ומסרת אבי זקני הר'
משה נ'ע' לכ'ר' משה החוגג ב'ר'
יעקב כרימי פה חברון ת'ו'ב'ב'
יום א' ב' לחשון שנת ת'ש'ס'ב'
לפ'ק' יזכה להגות בו הוא
ובנו יחידו חמודו זה יעקב י'צ'ו'
וזרע זרעו עד עולם ככת' לא
ימושו מפיך ומפי זרעך וג'
אמן ואמן

13 הורוביץ, תרפ"ג, עמ' 250; הרכבי ושטארק, 1875, עמ' 79-81.

14 ומעיר דן ד"י שפירא כי כתיב זה, 'כרימי' ולא 'קרימי', הוא כתיב אופייני לפירקוביץ והוא בלתי אפשרי בתעודה אותנטית.

אעתיק את הכתובת בפתיחת ראשי התיבות ואוסיף תוספות משלימות:

אני צדקה בן רבי שמרון בן רבי מוחא בן רבי מורנו רבי משה הסופר (בעל מסורת ניקוד ונוסח, כמצוין להלן) בן רבי מורנו ורבנו הרב רבי מוחא רוח ה' תניחנו ('ברכת המתים', ציון לנפטר, על פי הפסוק "וְנָחָה עָלָיו רוּחַ ה'" [ישעיהו יא, ב], נהוגה עד ימינו במקהלות הספרדים ועדות המזרח) הטבריני (הטברני, מטבריה. ככל הנראה היו ר' מוחא רי"ת הטבריני ובנו ר' משה הסופר בני חוגו של ר' אהרן בן אשר המדקדק הידוע. ר' אהרן בן אשר חי בטבריה במחצית הראשונה של המאה ה-10. אם העדות שלפנינו היא אכן משנת 1001 לספה"נ, הרי ששני אלו, דור שלישי ורביעי לפני בעל העדות, יכולים להיות בני זמנו של בן אשר, ולעניין זה יכולות להיות השלכות מעניינות על השאלה האם היה בן אשר יהודי-רבני או יהודי-קראי. על ר' מוחה זה אמר גוטלובר: "ר' מוחה נזכר בס' תקון הקראים ביחד עם ר' אבוגדר, רב אחא ור' שאול (מחכמי הקראים) [...] והיה ממתקני הנקוד הטברני [...] ובעל מסורה ישן, ונמצאו הגהותיו על חמשה חומשי תורה כ"י [כתב יד] ישן נושן אצל החכם ר"א פירקאוויץ".[15] ככל הנראה עבר ענף מסוים זה של המשפחה במועד מסוים, שאיננו ידוע, מטבריה לחברון), מכרתי זה ספר נביאים שכתבתי בניקוד ו(לפי) מסורת אבי זקני (סבא רבה של הכותב צדקה ב"ר שמרון) הרב רבי משה נשמתו/נוחו עדן ('ברכת המתים', ציון לנפטר, על פי הסיפור המקראי שמחוץ לגן עדן אין מנוחה אלא "נָע וָנָד תִּהְיֶה בָאָרֶץ" בבראשית ד ,יב-יד, ונהוג עד ימינו בכל תפוצות ישראל) לכבוד רבי משה החוגג (ככל הנראה הכינוי 'החוגג' משמש כינוי לעולה רגל קראי לירושלים, במקביל לתואר 'ירושלמי', על פי הנהוג אצל המוסלמים לכנות את המבקר במכה בתואר 'חג" = חוגג. ביהודי איראן-אפגניסטן והסביבה היה מקובל התואר 'חג'י', במלרע) בן רבי יעקב כרימי (מחצי האי קרים. מצוי הרבה בספרות הקראית של התקופה), פה חברון תבנה ותכונן במהרה בימינו, יום א', ב' לחשון שנת תשס"ב לפרט קטן ('פרט קטן' מציין את מניין השנים מבריאת העולם על פי הלוח העברי, ללא מניין האלפים. עם מניין האלפים נקרא המניין 'פרט גדול'. התאריך המדויק כולל האלפים הוא ד'תשס"ב). יזכה להגות בו הוא ובנו יחידו חמודו (כינוי לצאצאים, לאו דווקא ילדים קטנים, מצוי הרבה בספרות הקראית של התקופה) זה יעקב ה' צורו וגואלו וזרע זרעו עד עולם ככתוב: "לא ימושו מפיך ומי זרעך (וגומר)" (ישעיהו נט, כא). אמן ואמן.

יש להניח שהסופר היה מבני הקהילה הקראית בחברון, ואת ספר הנביאים העתיק לבקשת קראי אחר, ככל הנראה קראי עשיר שאיננו תושב חברון אלא חבר אחת הקהילות הקראיות בחצי האי קרים.

15 גוטלובר, תרכ"ד, עמ' 198.

את שמו של הסופר, צדקה בר' שמרון, אנו מוצאים בעוד כתובת על 'ספר תורה', חומש משנת "ארבעת אלפים ושבע מאות וחמש ושלשים שנה לבריאה", ד'תשל"ה, היא שנת 974 לספה"נ.[16]

איור 3: קולופון הסופר צדקה בר שמרון
(מקור לא ידוע)

אמנם אף כאן אין לי כל הוכחה, אולם קרוב לוודאי שסופר-מעתיק זה, צדקה בר שמרון, חי בעיר חברון, פעל בה ומת בה ונקבר בבית העלמין שבה, בחלקה הקראית. ואולם גם על דמותו של צדקה בן שמרון, כמו על דמותו של צמח בן אבו שיבה, ועל תעודה זו, כבר עמד פוזננסקי (ההדגשה שלי):

16 הרכבי, 1877, עמ' 245.

ייזכר אצל אבן אלהיתי (JQR IX:4352) והוא אומר שם כי ייזכר בספרו של עלי בן יוסף סמייה שנכתב בשנת 459 להג׳רה (1066/67). אבן אלהיתי יאמר כזה: ״ומן ג׳מלה מן ד׳כר מן אלעלמא יוסף בן צבתייא אג׳דת כתאבין פי עלם אלכלאם לעלי בן יוסף סמייה תאריכ׳ה סנה 459 וכאתבה יתרצ׳א ענה ולצדקה בן שומרון רח׳ א״ת״, היינו :״מכלל החכמים שיזכרו הוא גם יוסף בן צבתייא ומצאתי שני ספרים בחכמת הדבור מאת עלי בן יוסף סמייה משנת תנ״ט להג׳רה וגם ישתדל מחברו להפיק רצונו (ר״ל רצון יוסף בן צבתייא) ורצון צדקה בן שומרון״. ומרגליות לא תרגם לנכון, כי תרגם ומעתיק שני הספרים האלו יזכיר את עלי ואת צדקה בברכת המתים. והנה אצל אבן אלהיתי שם האב הוא שומרון וכן בדד מרדכי, אבל צ״ל שמרון כמו באו״צ והוא שם שנזכר גם בכתבי הקודש בן יששכר בן יעקב (בראשית מ״ו:י״ג וכו׳. ואם כן חי בודאי במחצית הראשונה למאה הי״א ועם זה מסכים כי יזכר בשלשלת ההעתקה אשר בדד מרדכי י״א ב׳ ל׳ בתור חבר למחברים קדמונים, כמו אבו אלפרג׳ הרון וחנניה בן יעקב הבבלי וכדומה ושם גם צדקה בן שומרון הבבלי. וכן יזכר בין המחברים הקדמונים באו״צ כ״א ב׳ י״ד (ושם צדקיהו בן שמרון הבבלי). ואם שאבו ממקורות קדומים כי אז היה אולי מבגדאד, ופירקוויץ השתמש גם בו לזייף רשימות ישנות ועשה אותו ליוצא חלציהם של משה ומוחא ממציאי הנקוד. כן תמצא לפי דבריו בתורה אחת רשימה כזאת: ״זאת התורה התמימה הנאמנה מורשה קהלת יעקב אשר כתב אותה מר׳ ור׳ סעיד הסופר בן מר׳ רב׳ אהרן ראש הישיבה בהר ציון, בן מר׳ רב׳ משה הסופר נ״נ [...] והקדישה פה מצודת ציון לבעלי מקרא [...] והקדישה ביום שני לשבוע שני לח׳ תשרי מחרת יום תרועה שנת ארבעת אלפים ושבע מאות וחמש ושלשים שנה לבריאה [...] סופר וחותם ומעיד אני צדקה ב״ר שמרון ס״ט אמן״ (Denkmaler, p. 245). ועי״ע סעיד בן אהרן בן משה), ואם כן חי צדקה בירושלים. בספר נביאים כ״י פטרסבורג 52 תמצא רשימה כזאת: ״אני צדקה בר שמרון ב״ר מוחא ב״ר מר׳ משה הסופר ב״ר מרינו ורבינו ה״ר מוחא רי״ת הטבריני מכרתי זה ספר נביאים שכתבתי בניקוד ומסרת אבי זקני ה״ר משה נ״ע לכ״ר משה החוגג ב״ר יעקב כירימי פה חברון תוב״ב יום א׳ ב׳ לחשון שנת תשס״ב לפ״ק וכו״ (רשימת הרכבי-שטראק עמ׳ 80). ואם כן חי בחברון (ועי״ע משה בן יעקב. ועי״ע גוטלובר, בקרת 188 (בטעות 198) ע׳ מוחה, ומחברתי ראשית התישבות הקראים בירושלים, ע׳ 36. ועי׳ C.I.H. 514-515) ששם אומר חוואלסאן כי הרשימה בכ״י פטרסבורג 52 יוכלה להיות אמיתית לולי שהיתה מתנגדת לקביעות ולולי שנתחברה עם משה בן יעקב כירימי שמת בודאי לא ד״א תשס״ב כי אם ה״א שס״ב.

גם בדיקותיו של דן ד"י שפירא בהבדלים שבין 'האוסף הראשון' ובין 'האוסף השני' של פירקוביץ העלו כי תעודה זו מזויפת.[17] גם מהנייר, מהכתמים שבו, מהכתיבה ומהדיו עולה

17 דן ד"י שפירא מעיר: רוב כתבי היד אכן באו מ'אוסף אודסה' ומקורם בקראסוב ובכפה. באמצע שנות ה-40 התהווה גם 'אוסף אודסה השני', ובו 21 ספרי תורה או חלקים מהם, חומר מאוחר ולא חשוד כלל; ובה בעת התהווה 'האוסף הגדול', והוא נמכר בשנת 1862 לספרייה הקיסרית בסנקט-פטרבורג, ובו גם חומר עתיק באמת.
הבדיקה העלתה שפירקוביץ התערב ב-15 מתוך 74 ספרים מהאוסף הגדול, וב-20 מצחפים לערך מתוך 98 שהיו באוסף הגדול, כלומר התערב ברבע מהחומר לערך. הווי אומר שההתערבות המסיבית בחומר שבכתבי היד נעשתה אחרי חזרתו מהקווקז ובמקביל לעבודתו על 'אבני זכרון'. נזכיר שלא ידוע כי התערב בתוכנו של האוסף השני, שנרכש במזרח בשנות ה-60, וידוע שלא התערב בתוכנו של אוסף אודסה השני (שנאסף בחלקו עם ב' שטרן, אך ברובו בשנת 1852, כדי לנפח את כמות פריטי האוסף), ונציין שהמידע הכלול בחומר מהאוסף הגדול מגוון ונרחב הרבה יותר מהחומר שהושג במסע הראשון בקרים, אך מתקשר אל החומר המופיע בטיוטות 'אבני זכרון' בשנות ה-40 ועם נתוני 'תעודות דרבנד ומג'ליס' משנת 1841. ובכן, איזה מידע רב ערך, לשיטתו, כלול ברשימות מהאוסף הגדול שבהן התערב?
הרשימה שלהלן מדגימה את סדר העדיפויות באינטרסים של פירקוביץ:
לכוזרים יש הידרשות כזאת או אחרת ב-15 כתבי יד; מטרכא -בתשעה כתבי יד; כפא - שמונה כתבי יד; כרץ - בכתב יד אחד; סלע היהודים - ארבעה-חמישה; השלוחים הירושלמיין - ארבעה; המניין לגלותנו - שלושה; מנגופ - שלושה; ספרד (Bosphorus) - שלושה; אברהם הספרדי - שניים; יצחק סנגרי - שניים; סולכת - שלושה; קירים (סולכת) - שניים; סודאק (סוגדאייא) - שניים; תאמאן - שניים; טענות בדבר מוצא הניקוד והטעמים - שניים; טטרקסיים (Tetraxitai) - אחד; גותים בקרים כאויבי בני המקרא - אחד; טטרים כאויבי היהודים - אחד; טוֹכְט - אחד; קראים בקפריסין - אחד; רמז לעניין שְׁבָט שֵׁני - אחד; חיפוש בגניזות בימי הביניים - אחד; כפר צבק (מקום מוצאה של משפחת שמחה בבוביץ) - אחד; העיר הכוזרית שרקל או סרקל כמקור המוצא של חלק מקראי קרים - אחד (אולם פעמיים); חברון (הוכחת יישוב קראי-קרימאי בחברון; קשור לטענות פירקוביץ על הרכוש היהודי בעיר) - אחד; אנפא - אחד; גגרא - אחד; יהוד גורייל - אחד; יהודכת - אחד; יהודה הדסי כתושב מטרכא - אחד.
בדרך כלל מתייחסת רשימה אחת ליותר ממוטיב אחד, ויש רשימות הדחוסות במידע סנסציוני עד מאוד. רשימות אלו מראות שבשנות ה-40 חל לא רק גידול במספר הרשימות ההיסטוריות שבאוסף פירקוביץ אלא הייתה התרחבות מוטיבים של ממש, אם כי המגמה הקודמת נשמרה (סולכת, כוזרים, שבט שני, ניקוד וטעמים, כפא, מנגופ). הדברים החדשים הם המניין 'לגלותנו', שמופיע במקביל ברשימות שבכתבי היד ובמצבות המתגלות בצ'ופוט-קלעה, החשיבות שנודעת למטרכא (קשורה לענייני המניינים, הכרונולוגיה, הפצת הרבנות) והשתלבות הסיפר ההיסטורי של יהדות קרים בהיסטוריה הכללית של קרים והאזור כפי שהייתה ידועה לפירקוביץ מהמחקרים ומהספרות הפופולרית שיצאו לאור בשנות ה-30 וה-40.
העובדה שטיוטות 'אבני זכרון' מאמצע שנות ה-40 כוללות נתונים ההולמים את נתוני הרשימות המטופלות של האוסף הגדול מוכיחה כי האוסף הגדול התהווה בתחילת שנות ה-40. זהו ממצא חשוב, אך עדיין לא היה לאל ידנו להשיב על השאלה על מקורו של האוסף ומדוע לא נמסר לאודסה (פרט לחומר מהנסיעה הראשונה בקווקז, נמסר לאודסה במסגרת אוסף אודסה השני חומר לא מעניין ולא מטופל). קיומו של אוסף אודסה השני (הלא מטופל) מוכיח שבקרים - אם בגניזות ואם בידי פירקוביץ - היה די חומר גלם לייצור רשימות 'עתיקות' הכוללות מידע היסטורי סנסציוני - והמידע הכלול ברשימות

כי עדות זו היא מזויפת.[18] נמצאנו למדים כי אמנם הייתה דמות קראית היסטורית ששמה

האוסף הגדול הוא סנסציוני בהרבה מאשר זה שנמצא בנסיעה הראשונה בקרים. חלקו של האוסף הגדול בא ללא ספק מקראסוב ומכפא, אבל האם היה חלקו בידי פירקוביץ כבר לפני 1839 (עת החל בחיפוש הקדמוניות מטעם העדה והמלכות)? האם הביא את חלקו מנסיעתו הראשונה לארץ ישראל בשנת 1830? האם חלקו בא מהאוספים (ומהגניזות?) של קושטא, ששם עשה פירקוביץ כשנתיים ימים בתחילת שנות ה-30?
נראה שהתשובה היא חיובית: פירקוביץ לא מסר את רוב האוסף הגדול לאודסה משום שלא נאסף במסגרת נסיעתו בסתיו 1839, וכתבי היד שהציג בהמשך כפרי חיפושיו בסתיו 1839, היו ברשותו (או ברשות פטרונו שמחה בבוביץ) זמן מה קודם לכן (הדוגמה הבולטת ביותר היא התנ"ך שהובא מדמשק). לאחרונה נמצא חיזוק להשערתו זו של דן ד"י שפירא ממקום אחר, והוא מוסיף: אולגה ואסילייבה, אוצרת מחלקת כתבי היד של הספרייה הרוסית הלאומית בסנקט-פטרבורג, ציינה כי קיים מאפיין לכתבי היד מהגניזה של קרסובזאר, והוא כתמי עובש בצבע סגול. כתמים כאלה נמצאו בכתבי היד **B13, C1, C2, C3**, ועל גבי **B9**. קטע מעופש שבו שישה דפים נמצא כתב עדותו של הפריסטאוו פ'ומין, המאשר כי נמצא כתב יד זה בקרסובזאר, בבית הכנסת הקרימצ'קי (**v evrejskoj krymskoj sinagoge**), "בקיר האבנים". דפים אלו מעולם לא היו ב'אוסף אודסה', והם הגיעו לספרייה הרוסית הלאומית עם האוסף הראשון בשנת 1862, בתור **Bibl** 85, ראו וסילייבה, 2003. החוקרת מציינת גם שכתבי היד מגניזת קרסוב לא הגיעו כולם ל'אוסף אודסה', למשל, לפי קריטריון זה, מקורם בגניזה זאת של **A15, B15, B15, B18, B19** , שלא היו ב'אוסף אודסה'. כל כתבי היד הללו כעת שייכים לאוסף הראשון (**Bibl** 85, 132, 112 ,139 ,133), וקטע 19 מאוסף אודסה השני חובר ל-**A10**, ראו ואסילייבה, שם, עמ' 26.
כעת שמורים בספרייה הרוסית הלאומית 87 כתבי יד יהודיים מ'אוסף אודסה': 36 במחלקה **A**, 15 במחלקה **B**, 11 במחלקה **C**, 25 במחלקת 'כתבי יד תנ"כיים'. כתב יד אחד, **B12**, נעדר בבדיקה בשנת 1952, ואולי אבד בזמן פינוי האוספים במלחמת העולם השנייה; בבדיקה בשנת 1992 היו חסרים שישה כתבי יד תנ"כיים: **Bibl** 147, 149, 154, 158, 159, 161, וקטע ממגילה בעלת הרשימה משנת 1363 (**A35**), ראו וסילייבה, שם, עמ' 27. בסך הכול כלל בעבר 'אוסף אודסה' 95 כתבי יד (שם). ראו לבדב, 1987, עמ' 60-61 עמ' 48: בימינו לא נמצא הדף הראשון על קניית הספר בידי שומלק הכוזרי בכפה. השוו בהמשך את הדעה שהביעו חברי הוועדה הממונה על ההחלטה אם לרכוש את אוסף פירקוביץ הראשון, ולפיה 'איחד' פירקוביץ את כל האוספים הקיימים בקרים.

18 דן ד"י שפירא מעיר: לא עלה בידי לבדוק את **Evr I Bibl** 52 (הרכבי ושטראק, 1875, עמ' 81): לפי הרשימה משנת 1001 לספירה כביכול, הועתק כתב היד בידי איש מסורה טברני ונמכר לקרים לידי עולה הרגל הראשון מקרים, משה בן יעקב קרימי, בחברון. דמות זאת היא המצאתו של פירקוביץ (ראו בהמשך). לפי הרכבי, הדיו והכתיבה כמו ברשימות הלא אמתיות האחרות, והנוסח לפי הרכבי ושטראק: "אני צדקה בר שמרון ב'ר' מוחא / ב'ר' מ'ר' משה הסופר ב'ר' רבינו / ורבינו הר' מוחא ר'י'ת' הבריני / מכרתי זה ספר נביאים שכתבתי / בניקוד ומסרת אבי זקני הר' / משה נ'ע' לכ'ר' משה החוגג ב'ר' / יעקב <u>כירימי</u> פה חברון ת'וב'ב' / יום א' ב' לחשון שנת ת'ש'ס'ב' / לפ'ק' יזכה להגות בו הוא / ובנו יחידו חמודו זה יעקב י'צ'ו' / וזרע זרעו עד עולם ככת' לא / ימושו מפיך ומפי זרעך וג' / אמן ואמן".
Evr I Bibl 55a (הרכבי ושטראק, 1875, עמ' 82-88): דפים קטנים חצי רקובים, באמצעו של הדף לפני האחרון, באותיות קראיות זעירות, רשימה בסוף ספר ויקרא. הטקסט (**נשלם ש' אלף ומאתים לשטרות פה מתא רבתא אנפא י'א'ל'ב'**) כמו אצל הרכבי (השוו את קריאתו של נויבאואר, 1864). בדף הקודם - סימני רשימה; לפי **OR RNL f. 946 op. 1 N 128**, נמצא כתב היד בכפה (בגניזה?) בשנת 1844.

צדקה בן שמרון כשם שהייתה דמות קראית היסטורית ששמה צמח בן אבו שיבה, אולם עדות זו שלפנינו היא מזויפת. יש להניח כי גם בדמות אמתית זו השתמש פירקוביץ' לצרכיו, ואין לנו ללמוד מתעודה זו דבר. לענייננו - לא ידוע לנו כי צדקה בן שמרון היה בחברון.

ישראל הדיין האסכנדרי בכר' דניאל המערבי

ד'תתכ"ג (= 1063 לספה"נ) = 1373 לשטרות

בראש הספר ה-18 בתוך "הרשימה [...] בפנקס הספרים הקדמונים שהיו לבני מקרא קה"ק דמשק והובאו לירושלם ומשם לקה"ק גווזלווא ע"י חכם אברהם לוי ירו' הרופא פקיד ירושלם תוב"ב [...]"[19] נמצאת העדות הזו (ההדגשה שלי):

> ספר המצות שהקדיש מר' ור' ישראל הדין האסכנדרי בכר' דניאל המערבי ריר"ש, בקה"ק חברון תוב"ב, שחברהו בן ששה ועשרים שנה בשנת (202) לקרן זעירא (ד"אתתכ"ג, 1063 לספ"ה) ת"ש מ"ח אשע"ג לשטרות הריבונין בשנת פטירת כג"ק הדרת יקרת מעלת השר הגדול אלוף אחינו בני מקרא קהל עדת יפפיה מצרים ואחיותיה אבלי ציון וירו' מרינו ורבינו שמואל הנגיד בר' ישעיהו אסכנדרי הלוי רי"ת אשר עשה טובות רבות לישראל עמו גם לבני מקרא וגם לבני בני בי רב במצרים ויספדו אותו כל ישראל אחים והמ"ך והוא קדש לאלהי ישראל לא ימכר ולא יגאל לעולם ברוך יהיה המקדישו מעם ה' עושה שמים וארץ וברוכים כל ישראל אמן.[20]

'הדין האסכנדרי' פירושו 'הדיין מאלכסנדריה' במצרים.

'המערבי' - מן המע'רב, ממרוקו, כי משם היה אביו, דניאל.

'ריר"ש' - רבנו ירא שמים.

הרכבי ושטראק, 1875, עמ' 87-88:
I לנתנאל בן תקוה ז'צ'ל' מסופרי קראי טבריה בקהל יהודכת שנ' ארלנ לשט'
II קנה אותם רבי אלען בן יחיי בן ביעמר / ב... א'ת'ש'נ'ה' ארקעא לשט'
III קנה זה נביאים אחרונים רבי שמואל / תלמיד החשוב ב'ר' סצ'ל מיד כוזרת / ב' מעדור ונתן מחירו שלם יהי סימן טוב / עליו ועל זרעו וצאצאיו עד ביאת גואל / שנת א'ת'ק'י'ג' וכת' יופיה הלוי בן עמרם ז'צ'ל'
IV מקנת ישועה הכהן בר אביתר / הכהן הידוע בן ביעמר / סימן טוב עליו ועל זרעו עד ביאת / גואל אמן סלה
V קנה אותה מר' ' אלען בן ביעמר מעיר מטארך / סנה א'ת'ק'ע'ו' לשט' ס'ט' ע'ב'].

19 פירקוביץ, תרל"א, עמ' 4.

20 שם.

'בשנת (202) לקרן זעירא'. המהדיר כותב שנת 202 לקרן זעירא. 'קרן זעירא' היא כינוי למלכות הרביעית, היא האסלאם (על פי דניאל ז, ח). שנת אשע"ג למניין שטרות היא שנת 1063 לספה"נ. שנה זו איננה 202 שנה למניין ההג'רה אלא שנת 441 להג'רה, ולא ברור לי מהיכן לקח המהדיר את המנין 202 להג'רה.

כג"ק - 'כבוד גדולת קדושת', כינויי כבוד נפוצים בימי הביניים בקרב יהודים-רבנים ויהודים-קראים.

'עגלה יפפיה מצרים' - כינוי למצרים (על פי ירמיהו מו, כ). הכינוי 'עגלה' למצרים מוכר יותר מהפיוט 'מעוז צור' לחנוכה: "בשעבוד מלכות עגלה".

'רי"ת' - רוח ה' תניחנו ('ברכת המתים', ציון לנפטר, על פי הפסוק "וְנָחָה עָלָיו רוּחַ ה'" בישעיהו יא, ב. נהוג עד ימינו במקהלות הספרדים ועדות המזרח).

'בני בי רב' - כינוי לקהילת היהודים הרבנים.

'והמ"ך' - "וְהָיְתָה מְנֻחָתוֹ כָּבוֹד" (ישעיהו יא, י). ביטוי זה במגוון צורות חקוק על מצבות קראיות בכל מיני מקומות, וכן בספרות היהודית-רבנית, וראו עוד להלן בכתובת שעל מצבת ישראל בן מזל טוב.

הספר חובר בידי "ר' ישראל הדין האסכנדרי", כלומר בידי ר' ישראל מאלכסנדרייה במצרים, והוא גם הקדישו. ר' ישראל זה היה "בכר' דניאל המערבי", כלומר בנו של ר' דניאל ממרוקו(?). כל האירוע התרחש "בקה"ק חברון תוב"ב". האם אנו עדים כאן לנדודי המחבר, אולי עם כל משפחתו, מן 'המערב' - אולי מרוקו - דרך אלכסנדרייה ועד לחברון?! את הספר הוא אמנם חיבר בחברון, אך את שנת החיבור ציין על פי שנת פטירת מנהיג הקהילה הקראית באלכסנדרייה ("כג"ק הדרת יקרת מעלת השר הגדול אלוף אחינו בני מקרא קהל עדת יפפיה מצרים"), שבה התגורר לפני כן.

אמנם גם במקרה זה אין לי כל הוכחה, אולם קרוב לוודאי שסופר-מעתיק זה, ר' ישראל הדיין האסכנדרי בכ"ר דניאל המערבי, חי בעיר בחברון פעל בה ומת בה ונקבר בבית העלמין הקראי שבעיר.

הספר שבראשו הקדשה זו נכלל אמנם ב"בפנקס הספרים הקדמונים שהיו לבני מקרא קה"ק דמשק והובאו לירושלם ומשם לקה"ק גוזלווא", אולם עוד לפני כן חובר הספר בחברון והוקדש בה. איננו יודעים כיצד עבר הספר מחברון לדמשק. אפשר להעלות את האפשרות שעם סופה של הקהילה הקראית בחברון עבר ספר זה, כספרים אחרים, מחברון לדמשק.

אם נקבל את מסקנת המחקר כי העדויות על אודות הסופרים צמח בן אבו שיבה (בחברון בשנת ד'תצ"ח, היא 738 לספה"נ) וצדקה בן שמרון (בחברון בשנת ד'תשס"ב, היא 1001 לספה"נ) הן מזויפות, הרי שנותרה בידינו העדות על אודות הדיין ישראל בכר דניאל המערבי (בחברון בשנת ד'תתכ"ג, היא 1063 לספה"נ), המלמדת על יהודי-קראי אחד לפחות בחברון לפני בוא הצלבנים. יהודי זה שימש דיין וכתב 'ספר מצוות', ומאחר שיהודי כזה איננו פועל בחלל ריק יש ללמוד מכך שהייתה בחברון קהילה יהודית-קראית בימיו, אלא שלידינו הגיעה עדות זו בלבד. אם נקבל כפשוטן את העדויות על נקברים קראים בחברון מימי "הנשיא ענן בן דוד", הרי שנוכל לצרף גם עדות זו להוכחת קיומה של קהילה יהודית-קראית בחברון עוד מלפני ימי הצלבנים.

עדויות נוספות על יהודים-קראים בחברון קיימות גם מרשימות הנקברים בחלקה הקראית בבית הקברות היהודי שבעיר, אמנם בתקופה מאוחרת לעדות זו.

עוד לעניין הקהילה היהודית-קראית בחברון

בסקירת המקורות הללו על אודות קהילת היהודים הקראים הפועלת בחברון וחבריה הנקברים בה אנו יוצאים מתוך הנחה שכל המקורות הם אמתיים, נאמנים וללא חשש זיוף אלא אם כן הוכח אחרת, והם אכן עוסקים בתושביה הקראים של העיר חברון ושל הנקברים בה.

אין לנו כל סיבה לחשוב שציון שם העיר 'חברון' אין כוונתו לעיר הידועה או שהוא כינוי לעיר אחרת. אמנם בספרות השו"ת של ימי הביניים נזכרים לעתים שמות של ערים בארץ ישראל, וחברון בכללן, ככינויים לערים בחו"ל או כציון סתמי. נקודה מעניינת זו, אם כי בהקשר כללי, כבר העלה אליעזר בשן,[21] ברם אינני סבור שחשש זה קיים במקורות שלפנינו. ההפך הוא הנכון: מספר העדויות הבלתי תלויות מוכיח כי 'חברון' היא חברון היא חברון בכל אחד ממקורות אלו.

כבר הורוביץ הפנה לדבריו של פוזננסקי על חשש לזיוף חלק מן העדויות.[22] הוא כיוון להוספה של פוזננסקי בסוף מאמרו 'ראשית התיישבות הקראים בירושלים',[23] שבה כתב פוזננסקי על כמה רשימות קראיות: "רוב הרשימות האלו (ואולי גם כולן) או שהן מזוייפות מראשן עד סופן או שנזדייפו במקומות אחדים למען הראות על ידם אם כי הקראים חיו

21 בשן, תשל"ד.
22 הורוביץ, תרפ"ג, עמ' 250.
23 פוזננסקי, תרע"ד, עמ' 113-115.

בארצות שונות כבר מקדם קדמתה או כי בעל[י-] המסרת [=המסורת] הראשונים היו מפתתם [מפתחם(?)]".[24] אל הרשימה הפנה אב"ן רש"ף, הלוא הוא אברהם פירקוביץ, כפי שפרסם הרכבי.[25] פוזננסקי מפנה לתעודה מס' 8:

> וזאת התורה התמימה הנאמנה מורשה קהלת יעקב אשר כתב אותה מר' ור' [מורנו ורבנו] סעיד הסופר בן מר' ור' אהרן ראש הישיבה בהר ציון בן מר' ור' משה הסופר נ"נ [נוחו נפש, כלומר זיכרונו לברכה] ובדק אותה בדיקה אחר בדיקה להקדישה פה מצודת ציון לבעלי מקרא השומרים מועדי ה' בראיית הירח ומציאת האביב ככתוב בתורה [...] והקדישה ביום שני לשבוע שני לח' [לחודש] תשרי ממחרת יום תרועה [למחרת ראש השנה] שנת ארבעת אלפים ושבע מאות וחמש ושלשים שנה לבריאה [ד'תשל"ה=975 לספה"נ] [...] סופר וחותם ומעיד אני צדקה בר' שמרון ס"ט אמן.[26]

על תעודה זו העיר פוזננסקי כי משלוש סיבות קרוב לוודאי שהיא מזויפת: האחת - אבי הסופר מכונה 'ראש הישיבה', כינוי שלא היה נהוג אצל הקראים; השנייה - הסופר נקרא "סעיד הסופר בן מר' ור' אהרן ראש הישיבה בהר ציון בן מר' ור' משה הסופר נ"נ", ומציין כי השם כולו הוא בוודאי חיקוי לשמו של בן אשר, שנקרא במלואו "אבו סעיד אהרן בן משה בן אשר"; השלישית - הוא מסופק "אם חתמו עצמם הקראים עם הסימן ס"ט".[27]

על הסיבה השנייה נראה להעיר כי ייתכן שיש כאן חיקוי כמו שייתכן שיש כאן מקריות גרדא, ואילו על שתי הסיבות האחרות יש להעיר כי בהרבה מקומות אימצו הקראים מנהגים 'רבניים', ואין לפסול, לטעון לזיוף, ואפילו לא לחשוד ב'מכלל חשד לא יצאו' מקרה זה, שבו אימצו הקראים או העתיקו מנהגים 'רבניים' כמו הכינוי 'ראש הישיבה' והסיומת 'ס"ט'.

החותם על הכתובת הוא 'צדקה בר שמרון' המוכר לנו, הוא ולא אחר, מהכתובת 'אני צדקה בר שמרון' מחשוון שנת ד'תשס"ב. גם על כתובת זו טוען פוזננסקי שיש לחשוד בה שהיא מזויפת, שהרי ספר הנביאים שבסופו הכתובת נכתב לכבוד ר' משה החוגג ב"ר יעקב כרמי. הכינוי 'כרמי' מציין שר' יעקב היה מקרים, ועל כינוי זה אומר פוזננסקי: "כי אז לא היו קהלות [קראיות] בכרים".

24 שם.

25 הרכבי, 1877.

26 פוזננסקי, תרע"ד, עמ' 114-115.

27 שם.

ואולם הערותיו של פוזננסקי, הגם שאפשר אולי לערער על חלקן או על חלק מטיעוניהן, מציגות תמונה של מסמך מזויף, ואל מסקנה זו הגיע מכיוון אחר לחלוטין גם דן ד"י שפירא. על כן נראה לנו להעמיד את שתי התעודות-כתובות הללו כמזויפות.[28]

ב'תולדות הקראים' כתב נתן שור שלוש שורות ורבע בלבד על קהילת הקראים בחברון:

> ייתכן שהיתה קהילה קראית גם בחברון. בעיר יש סימנים לבית קברות קראי (הערה 74). בשנת 1786 הזכיר הנוסע הקראי בנימין בן אליהו מקרים (הערה 75) קהילה קראית שהיתה בחברון, אך לאחר מסעי הצלב לא נמצא לה כל זכר (הערה 76).[29]

בהערותיו שם ציין שור:

> הע' 74: אלגמיל 1979-1981, שם [= עמ' 69-72].
>
> הע' 75: יערי 1946, עמ' 473.
>
> הע' 76: שור 1990 א. בעבודה זו בדקתי את הסוגיה בעיון, ולא מצאתי כל סימן שאמנם ישבו קראים בחברון.[30]

הערות 74 ו-75 אינן אלא הפניות ביבליוגרפיות; הערה 76 מפנה למאמרו של שור 'תולדות הקהילה היהודית בחברון ממסעי הצלב ועד למאורעות תרפ"ט',[31] ועל עבודתו זו כתב שור עצמו: "בעבודה זו בדקתי את הסוגיה בעיון, ולא מצאתי כל סימן שאמנם ישבו קראים בחברון".[32] ואולם כבר בקריאה שטחית בעבודתו זו - וודאי בעיון מעמיק בה - נראה שאין בה כל בדיקה של העניין שלפנינו, קהילת הקראים בחברון, ואף לא התייחסות סתמית, אגבית או מרפרפת. מהיכן אפוא הגיע שור למסקנה, הנוגדת לדעתי את כלל העדויות, ש"לא מצאתי כל סימן שאמנם ישבו קראים בחברון"? בסוף עבודתו הוא מציין:

> אין לקבל את הידיעות על קהילה קראית שישבה במקום, בתקופה הממלוכית. משולם מוולטרה, עובדיה מברטנורא ומשה באסולה אינם מזכירים קראים בחברון.

---

28 בלי שיש לי הוכחות לבי אומר לי שעוד לא נאמרה המילה האחרונה בעניין תעודות אלו, וייתכן שעוד תתגלינה עדויות שיעמידו עדויות-כתובות אלו באור אחר, חיובי יותר. הכרה באמתותן של שתי התעודות תציב בפנינו את פעילותו של הסופר הקראי צדקה בר שמרון בשנים ד'תשל"ה (975)-ד'תשס"ב (1001) לספה"נ לפחות, ואולי אף בכל השנים הללו פעל בחברון. הבנה זו עולה יפה עם הנחתנו שלעיל, שגם אביו ר' שמרון ב"ר מוחא וגם סבו ר' מוחה ב"ר משה כבר חיו בחברון, שאליה עקרה המשפחה מטבריה.

29 שור, תשס"ג, עמ' 59.

30 שם, עמ' 197.

31 שור, 1990.

32 שור, 1990.

> ר׳ עובדיה אף מכחיש את נוכחותם במפורש. המשכו של הישוב היהודי באותה עת מתועד בכתביהם של נוסעים אלה, וכן ברשימות המס העות׳מאניות.[33]

אמירה זו, ששור מציג כאמירה חדה, ברורה ומדויקת, מסתמכת על ׳לא ראינו׳, וכידוע ׳לא ראינו אינה ראיה׳. על העובדה כי משולם מוולטרה ומשה באסולה אינם מזכירים קראים בחברון יש להעיר שאין הם אומרים שאין בעיר קראים או שכל יהודיה ׳רבנים׳, וייתכן שהקראים נכללים בדבריהם על היהודים בעיר בכלל, ללא חלוקה לעדות. על דברי ר׳ עובדיה יש להעיר כמה הערות: בפלירמו הזכיר ר׳ עובדיה "בעלי בתים מן היהודים" בלבד, בכלל.[34] במסינה הזכיר ר׳ עובדיה "יהודים" בלבד, בכלל.[35] ברודוס הזכיר ר׳ עובדיה "והיהודים [...] בעלי בתים" בלבד, בכלל.[36] באליסנדריאה, היא אלכסנדרייה, הזכיר ר׳ עובדיה "הבעלי בתים מן היהודים" בכלל.[37] ב"ארץ מצרים", וכוונתו לעיר קהיר, הזכיר ר׳ עובדיה בפירוט: "בעלי בתים יהודים" במספר כולל, ולאחר מכן פירט: "שומרונים הנקראים כותים", "קראים" ולאחר מכן - "והשאר כולם רבנים".[38] בעזה הזכיר ר׳ עובדיה "בעלי בתים רבנים", "בעלי בתים שומרונים", והוסיף "ולא ראיתי שם קראים".[39] בהגיעו לחברון ציין "כעשרים בעלי בתים כולם רבנים".[40]

ברור שבערים הראשונות שעבר בהן לא היו קראים (או שומרונים), ולכן לא הייתה סיבה לציין אותם, אולם מאחר שבאלכסנדרייה היו גם רבנים, גם שומרונים וגם קראים, הייתה סיבה להזכיר כל עדה בנפרד. לאחר מכן, בעזה, ברור שר׳ עובדיה ציין את שראה: רבנים ושומרונים, ובניגוד לקהיר הוא ציין שלא ראה קראים. מיד לאחר מכן, בהגיעו לחברון, היינו מצפים כמוהו למצוא בה קראים לצד רבנים, אבל בחברון מצא ר׳ עובדיה רק יהודים-רבנים. אם לא היה מצפה למצוא בה קראים, לא היה מציין "כולם רבנים". נראה לי כי שתי מילים אלו, על רקע החלוקה הברורה שלו בכל עיר ועיר שעבר בה, מציינת את ציפייתו למצוא בחברון קראים, אך הציפייה לא התגשמה. אם אנחנו מבינים נכון, ציפייה זו למצוא קראים בחברון היה לה על מה לסמוך: לפני זמנו היו קראים בחברון! אינני יודע כמה זמן לפני בואו של ר׳ עובדיה לחברון עזבו אחרוני הקראים את העיר; הוא ידע שיש בה קראים,

---

33 שם.
34 יערי, 1971, עמ׳ 104.
35 שם, עמ׳ 108.
36 שם, עמ׳ 111.
37 שם, עמ׳ 115.
38 שם, עמ׳ 119.
39 שם, עמ׳ 125.
40 שם, עמ׳ 126.

אך במציאות - הם כבר לא היו.

עוד יש להעיר על עבודתו זו של שור, שבעבודתו העוסקת כאמור בתולדות הקהילה היהודית בחברון אנו מוצאים את מייסד הקהילה בדורות האחרונים, ר' מלכיאל אשכנזי, דחוק בפינה, נזכר כבדרך אגב ולא במקום הראוי לו. רק לאחר שסיפר שור על משפחות שעזבו את חברון בשנים 1538-1553, הוא כתב על חכמים בחברון, כולל פירוט שנותיהם בעיר:

ר' מנחם בר משה בבלי [...] והגיע לחברון לאחר שנת 1546,

ר' אליהו די-וידאש [...] נפטר בחברון בשנת 1587,

בשלהי המאה ה-16 חי בחברון ר' שלמה עדני,

נזכרים גם ר' יצחק ארחא [...] ר' חזקיהו כביארה, ר' שמואל אבן סידליו, ר' שלמה חדידה, ר' יהושע אבודראץ וכן אחרים.[41]

רק לאחר שהזכיר את כל אלו ציין שור, לדעתי בנימה מזלזלת ובדרך אגב: "יש עוד להזכיר את ר' מלכיאל אשכנזי, שרכש לאחר שנת 1540 את 'החצר' של חברון מבעליה המוסלמים, הפך לרבה של הקהילה, ונחשב בעיני דורות מאוחרים ל'אבי הישוב החברוני'".[42]

אינני מצליח להבין מה עומד מאחורי יחס מזלזל זה של נתן שור אל ר' מלכיאל אשכנזי מחד גיסא, ואת ההכרזה ש"לא מצאתי כל סימן שאמנם ישבו קראים בחברון" מאידך גיסא. העולה מדבריי הוא שאין כל סיבה שלא לקבל את כלל העדויות בדבר קהילה קראית בחברון, חצר היהודים שלה, בית הכנסת שלה ובית העלמין שלה. אין סיבה לטעון ש'חברון' איננה חברון; אמנם יש סיבה לחלק מטענות הזיוף שהועלו, אך ככלל יש עדויות אמינות בדבר הקהילה הקראית בחברון ומוסדותיה.

סופה של הקהילה היהודית-קראית בחברון

עד שנת 1540

על השאלה 'עד מתי התקיימה הקהילה הקראית בחברון?' אפשר לענות בהבנה ראשונה: עד ימיו של ר' מלכיאל אשכנזי, עת מכרו אנשי הקהילה את חלקם ליהודים הרבנים, קרי עד סביבות שנת 1540 לספה"נ.

41 שור, 1990, עמ' 108.
42 שור, 1990.

ואולם יש להניח כי עד שנפלה ההחלטה למכור את בית הכנסת או 'רק' את חלק הקהילה בחצר היהודים עברו שנים מספר, ולכן יש להקדים את זמן סופה של קהילת הקראים בחברון אל לפני שנת 1540, אולי בשנים ספורות ואולי בשנים רבות.

עד שנת 1516

אפשר להציע את שנת 1516 לספה"נ כשנת סופה של קהילת הקראים בחברון. בשנה זו כבשו העות'מאנים את ארץ ישראל מידי השלטון הממלוכי. בעת הכיבוש, כאשר נפוצו שמועות לא נכונות על מפלה תורכית במצרים, נערך פוגרום וטבח ביהודי הארץ, כולל ביהודי חברון. אל נכון נכללו גם קראי העיר בפוגרום ההוא, ושתי עדויות מהפוגרום נשתמרו בידינו. העדות האחת היא עדות של יהודי מקורפו ששמו יפת בן מנשה ס"ט, כתובה על קלף, מיום ו' בטבת ה'רע"ט (10 בדצמבר 1518), השמורה בארכיון המוראבי הלאומי בברין (ברנו), צ'כיה של היום, שפרסם פרופ' שטוסל:

> ויהי בשנת ה'רע"ח לפ"ג לב"ע, בחודש השביעי בחג הסוכות [תחילת אוקטובר 1517] האיש האכזר והעריץ כלי זעמו של הקב"ה ושבט אפו ה"ה אמורד ביאיי, משנה למלך ושליט בעיר ירושלים תוב"ב אמר בליבו לעלות על היהודים אשר בעירו וגם על בני ישראל החונים בחברון זמם לעשות כן ויאמר ארדוף אשיג אבוז בז ואשבה שבי מן היהודים אשר בשתי הערים בעודם לבטח אתי ויבצע אמרתו ויגזור אמר ויקום ביום ההוא באו אנשיו על חברון ויהרגו עם רב מן היהודים העומדים על נפשם, וכל רכושם הביאו שלל עד בלי השאיר להם פליט ומחי' בארץ וינוסו אנשים מתי מעט מנוסת חרב וירדו לעיר בירות וטרם נסעם מיהרו להביא את ספרי התורה הקדושה בחיקם ויבקשו להוציא את כלי הקודש עמהם ובע"ה [ובעוונותינו הרבים] לא מצאו דב [ר..]. נכתב ונחתם פה ק"ק קורפו יום ו' לחודש טבת, ה'רע"ט [10.12.1518]. יפת בן מנשה ס"ט.[43]

העדות האחרת מצויה בדברי הנוסע הנוצרי הנס שטוקאר:

> ונאמר לנו כאמת, שהיהודים בגדו בסולטן [הממלוכי] לטובת הקיסר התורכי. [בעקבות זאת] הרגו אותו [את הסולטן הממלוכי]. ולכן נתן [הקיסר התורכי] ליהודים חופש רב בירושלים ובארץ כולה, ואסור לעשות להם [כל דבר רע] ואזרחי ירושלים [המוסלמים] מתמרמרים [על היהודים] על שהם בגדו בסולטן וגרמו למותו.[44]

43 אבישר, תש"ל, עמ' 43; שור, 1986, עמ' 160.

44 שור, 1986, עמ' 159; שיב, 1949, עמ' 14.

מדבריו אלו של שטוקאר משתמע אמנם שליהודים ניתן יחס טוב ואוהד, אולם יחס זה היה רק מצד השלטון ואילו התושבים המוסלמים במקומות רבים דווקא התנפלו על היהודים ופרעו בהם. דווקא המילים "נתן [...] ליהודים חופש רב בירושלים ובארץ כולה, ואסור לעשות להם [כל דבר רע]" מחד גיסא, וההמשך: "ואזרחי ירושלים [המוסלמים] מתמרמרים [על היהודים]" מאידך גיסא, מציינים את ההפך מהיחס הטוב והאוהד.

כאקורד סיום לקהילה הציע לי אריה קליין בשיחה בעל פה כי ייתכן שהקשרים הטובים בין קראי חברון לקראי קהיר ומצרים, ובעיקר בינם ובין השלטונות הממלוכיים של מצרים, היו לצנינים בעיני העות'מאנים, והם טבחו בעיקר בקראים.

עוד לפני שנת 1488, בשנת 1480

למרות כל ההשערות הללו נראה לי שאפשר להצביע על תאריך מוקדם יותר המתאים להיות סופה של קהילת הקראים בחברון - לפני שנת 1488 לספה"נ. מפרש המשנה הגדול ר' עובדיה מברטנורא הגיע לארץ ישראל מעירו ברטינורו, בדרום-מזרח המגף האיטלקי, בשנת רמ"ח (1488). הוא שלח כמה איגרות למשפחתו באיטליה, ובאיגרת הראשונה ששלח לאביו ציין: "ביום הראשון בי"א בניסן [...] וביום השני באנו לחברון [...] ובה היום כעשרים בעלי בתים, כולם רבנים".[45] הוא מדגיש שכל יהודי חברון הם רבנים, כלומר - אין בין יהודי חברון בשנת 1488 יהודי קראי.

בשלב זה נראה לי להציע כי בנקודת זמן מסוימת לפני שנת 1488, ועדיין אינני יכול להצביע על אירוע ותאריך מסוימים, הגיעה הקהילה הקראית בחברון לסופה. אפשר אולי לעגל את זמן עזיבת אחרוני הקהילה לשנת 1480, ועברו עוד יותר מ-50 שנה(!), עד שנת 1540, שבה מכרו שרידי הקהילה את חלקם בחצר היהודים ובבית הכנסת.

בית העלמין היהודי-קראי בחברון והנקברים בו

לקהילת יהודי חברון, לאו דווקא הקראית, היה בית עלמין בעיר. בית העלמין שכן באותו מקום המוכר לנו היום, אם כי לא על כל השטח הנוכחי. האתר נמצא על השלוחה המערבית היורדת מהאתר הקדום של העיר חברון, תל אל-רמיידה, היום - 'אדמות ישי', 'אתר קבר ישי ורות', לכיוון מערב-צפון-מערב. בחלק העליון של השלוחה, בתוך 'החלקה הקראית', שוכנות מערות מספר, ככל הנראה מערות קבורה מתקופה הברונזה המאוחרת. בשיפולי השלוחה יש רצף מערות מתקופת בית שני, המשנה והתלמוד (רומית-ביזנטית), והמערה המוכרת ביותר מתקופה זו היא המערה המזוהה כמערת הקבורה של השופט עתניאל בן

45 יערי, 1971, עמ' 125-126.

קנז (שופטים ג, ז-יא), אם כי זמנה מאוחר לזמנו והיא איננה קדומה לשלהי ימי הבית השני. סמוך אליה היו שתי מערות קבורה נוספות, וכן במדרון שמצפון לה, כולן אל נכון מסוף ימי הבית השני ואולי מתקופת המשנה והתלמוד (שלוש מערות אלו מכוסות היום בבנייה חדשה והן לא תועדו). לאחרונה התגלתה מערת כוכים נוספת במצוק העליון שבחלקה הספרדית בבית העלמין היהודי. מערה זו, שנתוניה טרם התפרסמו, יש בה כדי לצייר רצף קבורה יהודית באותו תא שטח של מורדות תל חברון מימי קדם ועד ימינו אנו. הווי אומר שבבית העלמין של הקהילה היהודית בחברון נמשכות מסורות קבורה קדומות, ובחלקן מסורות קבורה יהודיות, באותו אתר עצמו.

העדות הראשונה לכאורה על בית עלמין זה - ושוב, לאו דווקא בהקשר קראי - היא ככל הנראה משנת ה"נ (1290), באיגרת 'תוצאות ארץ ישראל' מאת מחבר אלמוני, תלמיד הרמב"ן: "[...] בחברון שם מערת המכפלה קברי האבות וחברון החדשה הנה היא סמוך למערה דומה היתה למעלה בהר שם בית הקברות לישראל. ושם מצד אחד מערה שם קברו של ישי".[46]

העדויות הללו הן ככל הנראה מן המאה ה-16 וה-17. בשנת רצ"ז (1537) נכתב באיגרת 'ייחוס האבות': "[...] חברון בארץ כנען היא קרית ארבע [...] ולפני העיר למעלה בהר בניין נאה שם קבור ישי אבי דוד המלך ע"ה וסמוך לו בית החיים מישראל [...]".[47] 87 שנים אחר כך, בשנת שפ"ד (1624), כתב ר' גרשון ב"ר אליעזר סגל באיגרת 'ארץ הקודש' שלו: "[...] ובשיפוע ההר קבר ישי אבי דוד על בית החיים שם מערות מצדיקים לאין מספר באמצע בית העלמין מצבה הרב הגדול בעל ספר ראשית חכמה הוא ר' אליהו די וידאס נ"ע".[48]

לקהילת היהודים הקראים בחברון היה בית קברות משלהם, והוא מוכר עד היום כ'חלקה הקראית' בבית העלמין היהודי בחברון. על קיומו של בית עלמין זה יש בידנו עדויות מספר: מפי הנוסע הקראי בנימין ב"ר אליהו ירושלמי, שביקר, כאמור, בחברון בשנים תקמ"ה-תקמ"ו (1785-1786) אנו שומעים: "[...] ומשם הלכנו לקברי הקראים שהיו יושבים שם מזמן ענן הנשיא והלאה וראינו שהיה צומח (?) על האבנים ברזל[49] ולקחתי משם ברזל על

46 ריבלין, תרפ"ח, עמ' נח; יערי, 1976, עמ' 88; ארנון, תשע"ד, עמ' 20.

47 אבישר, תש"ל, עמ' 240; ארנון, תשע"ד, עמ' 20.

48 אבישר, תש"ל, עמ' 241; ארנון, תשע"ד, עמ' 20.

49 ברזל - אולי כוונתו לעופרת? ואולי היה נהוג שם כמו שנהוג היום, למלא את חקיקת האותיות בעופרת? טרם מצאנו עדויות לכך, ואולי גם לשונו המתפלאת מציינת משהו חריג אף לו? ואולי הלשון "צומח על האבנים ברזל", הכוונה לצמח כלשהוא הנקרא או מכונה 'ברזל'? ואולי טעות מעתיק יש כאן, והמילה 'ברזל' אינה מילה זו כלל?

האבן ואח"כ הלכנו למערת עתניאל בן קנז קרוב לקבר הקראים ואח"כ הלכנו לקבר ישי אבי דוד שהוא על ההר [...]".[50]

עדות נוספת היא של נוסע קראי צעיר שסיפר בשנת 1863: "[...] ובאנו לעיר חברון לפנות ערב [...] ומשם הלכנו למערת עתניאל בן קנז והוא קבור בתוך המערה ותשעה תלמידיו קרובים סביבו, ומשם הלכנו לבית החיים של עדתנו אשר גרו שם וזכרנו את שמם בזכר טוב [...]".[51]

גם החכם הקראי אברהם פירקוביץ, אב"ן רש"ף, ביקר בחלקה הקראית בבית העלמין של חברון בביקורו בארץ בשנת תק"ץ (1830). הוא פירט על בית העלמין והתווכח עם הרבנים בעניין הרכוש הקראי-רבני שם. זולת רכישת ספרים, במהלך המסע התעניין פירקוביץ במצבות קבורה, הן בנחל קדרון הסמוך לירושלים הן בבית העלמין הקראי בירושלים. בחברון ביקר פירקוביץ בבית העלמין הקראי בחלקה שבין קבר ישי לקבר עתניאל בן קנז, וראה שם 21 מצבות גדולות של קראים.[52] תיאור קברי הקראים הסמוכים ל'מערת עתניאל בן קנז' ול'קבר ישי אבי דוד' תואם את מקום 'החלקה הקראית' של ימינו.

איור 4: חברון, בית הקברות, מבט-על לדרום:

משמאל - החלקה הקדומה, הקראית

במרכז - החלקה הגדולה, הספרדית

מימין - החלקה המאוחרת, האשכנזית

(צילום: גרשון בר-כוכבא, ובאדיבותו)

50 גורלאנד, תרכ"ו, עמ' 52; יערי, 1946, עמ' 474.

51 דן ד"י שפירא, מידע בעל פה.

52 ראו לעיל הערה 2.

הגדרת הקברים כקבריהם של "הקראים שהיו יושבים שם מזמן ענן הנשיא והלאה" נראית במבט ראשון הפרזה גרדא, גוזמא בעלמא. ואולם במבט שני ייתכן שאין כאן כל הגזמה והדברים קרובים לאמת: אם יש עדויות על קראים בחברון ועל קראים הנטמנים בחברון מממצאי הגניזה בקהיר ומלפני כיבוש הארץ בידי הצלבנים, ייתכן שזמנם של ראשוני הנקברים איננו רחוק משנת 750-850 לספה"נ, ימיו של ענן הנשיא! אזכיר בעניין זה את הכתובת המספרת על הקדשת ספר תורה "לבני מקרא אשר בחברון הקדושה" בידי ר' צמח הסופר בן אבו שיבה בשנת 1050 לשטרות, היא שנת 738 לספה"נ, שראינו לעיל, ואת הכתובת על מכירת ספר נביאים בחברון בידי ר' צדקה בן שמרון ב"יום א' ב' לחשון שנת ת'ש'ס'ב' לפ'ק'", שראינו לעיל, אלא שהתברר שעדויות אלו הן מזויפות. ואולם העדות על ישראל הדיין בכר דניאל המערבי, שחי בחברון ופעל בה סביב שנת ד'תתכ"ג (1063 לספה"נ), לפני בוא הצלבנים, שרירה וקיימת.

תפרוסת החלקות בבית העלמין: בית החיים

כאמור, החלקה הקראית שוכנת בחלקו המזרחי של בית העלמין, וממערב לה שוכנות שתי החלקות הרבניות: מיד בסמוך וממערב לחלקה הקראית שוכנת החלקה המסתערבית-ספרדית, היא החלקה הגדולה שבכלל בית העלמין, וממערב לה נמצאת החלקה האשכנזית, קטנה אף היא. בית העלמין בחברון מייצג מבחינתי בצורה המיטבית את הכינוי 'בית החיים' ככינוי לבית עלמין, בית קברות. גרעין הרובע היהודי בחברון שוכן סביב בית הכנסת 'אברהם אבינו'. בית כנסת זה נקנה, כאמור - כולו או חלקו - עם החצר שסביבו או חלק ממנה, מידי הקהילה הקראית בחברון, כלומר היהודים הקראים בחברון התגוררו בחלק זה של הרובע היהודי, ונוסיף על בית הכנסת והחצר את 'רחוב הקראים' המצוין בתרשים של דוד אבישר בחלקו המזרחי דווקא (!) של הרובע.[53] עם קניית בית הכנסת והחצר גדלה הקהילה היהודית-רבנית והרובע היהודי צמח מערבה, וכלל גם את מכלול בית רומנו על מוסדותיו הכלולים בו ובחצרו ובבתים הסמוכים לו. רוב התושבים ברובע, שכבר לא גרו בו קראים, היו יהודים-מסתערבים וספרדים, יהודים רבנים שהגיעו בקצב כזה או אחר דרך כל מיני ארצות מספרד, לאחר גירוש היהודים ממנה. בהמשך הגיעו לחברון יהודים-רבנים אשכנזים. לכאורה גרו כל יהודי חברון בתוך תוכי הרובע, אולם לספרדים הייתה חצר משלהם וכן לאשכנזים חצר משלהם. האשכנזים, שהגיעו לחברון לאחר הספרדים, התגוררו אמנם בכל שטח הרובע, אך התחילו להשתכן דווקא בחלקו המערבי. הם גם יצאו מן הרובע לכיוון מערב העיר.[54]

53 כנראה משנת 1943, אך מצוין בו המצב עוד לפני טבח תרפ"ט (1929).

54 ראו את בתי האשכנזים בחברון אצל קליין, תשס"ח, והוסיפו על כך את 'בית שניאורסון' ואת ישיבת 'תורת אמת' של חב"ד בבית רומנו, מחוץ ל'קסבה' אם כי סמוך לה מערבה, ואת ישיבת 'כנסת ישראל -

איור 5: חברון, בית הקברות, החלקה הקראית (בקיץ)

(מקור לא ידוע)

איור 6: חברון, בית הקברות, החלקה הקראית (בחורף)

(מקור לא ידוע)

סלבודקה-חברון' מערבה יותר, הרחק מחוץ ל'קסבה', את 'אחוזת קלונסקי' מצפון לישיבה ואת החנות של הגב' חייקל ובניה - כל אלו כאמור מחוץ לקסבה וממערב לה, בשטחה של העיר החדשה של היום.

כיוון התפשטות הרובע היהודי בחברון היה ממזרח, משכונת היהודים הקראים, מערבה, אל המסתערבים והיהודים הרבנים מספרד, ומערבה יותר, אל שכונת היהודים הרבנים מאשכנז. והלוא כך בנויות חלקות בית העלמין בחברון: החלקה הקראית היא המזרחית ביותר, ממערב לה שוכנת החלקה הרבנית-מסתערבית-ספרדית, ומערבה ביותר - החלקה הרבנית-אשכנזית. אכן, לא רק 'בית עלמין' כי אם 'בית חיים'.

בית העלמין הקראי בחברון - מבנה פיזי

החלקה הקראית בבית העלמין היהודי בחברון מצומצמת בהיקפה, צורתה כעין משולש שקדקודו בצפון-מערב ופינותיו מעוגלות. גודל החלקה 30X30 מ' לערך. מדרום וממערב לו היו בעבר שבילי עפר והיום הם כבישי אספלט צרים. ממזרח לו מצוק סלע קטן, ומצפון, תחת מצוק נוסף, מבני מגורים. החלקה הייתה מגודרת, אלא שהגדר הישנה נהרסה והיא שוקמה בשנת תשמ"ח (1988) על ידי המועצה הדתית קרית ארבע, ושוב שופצה לאחרונה (תשע"ו, 2016) על ידי קמ"ט דתות במנהל האזרחי ביהודה ושומרון. החלקה מוקפת היום גדר חדשה, ופתחה, כמו הפתח המקורי, בדרום.

בשנות ה-70 של המאה הקודמת מיפה האדריכל דן טנאי את בית העלמין,[55] אולם ייתכן כי השטח היה גדול יותר והשתרע לצפון-מערב. בצדה הצפוני הייתה במאות הקודמות רחבה כבוּשה ובמרכזה עץ אֵלה גדול ממדים.

החלקה הקראית בחברון מחולקת לשתי מדרגות גדולות: במדרגה העליונה, הדרומית, ששטחה כשליש משטח החלקה כולה, לא התגלה ולו קבר אחד. השטח כולו מכוסה בסלע הטבעי המקורי ולא ניכרים בו כל סימני חציבה קדומים. למותר לציין כי במדרגה זו אין כל אבן או סלע הנראים כמצבה. המדרגה התחתונה, הצפונית, כשניים-שלושה מ' מתחת למדרגה העליונה, היא המדרגה שבה נמצאים קברי הקראים היום, ובה נתמקד.

המצוק הקטן המפריד בין המדרגה העליונה למדרגה התחתונה הוא מזקף סלע שניכר כי חלקו קבור בקרקע. באזור זה כמה חציבות וחללים המעלים אפשרות כי מדובר במקטע של בית קברות מתקופת הברונזה המאוחרת.[56]

55 חבר, תשל"ט.

56 את המצוק והמערות שבו בדק בעבורי אריה קליין מחברון, ותודתי נתונה לו על כך.

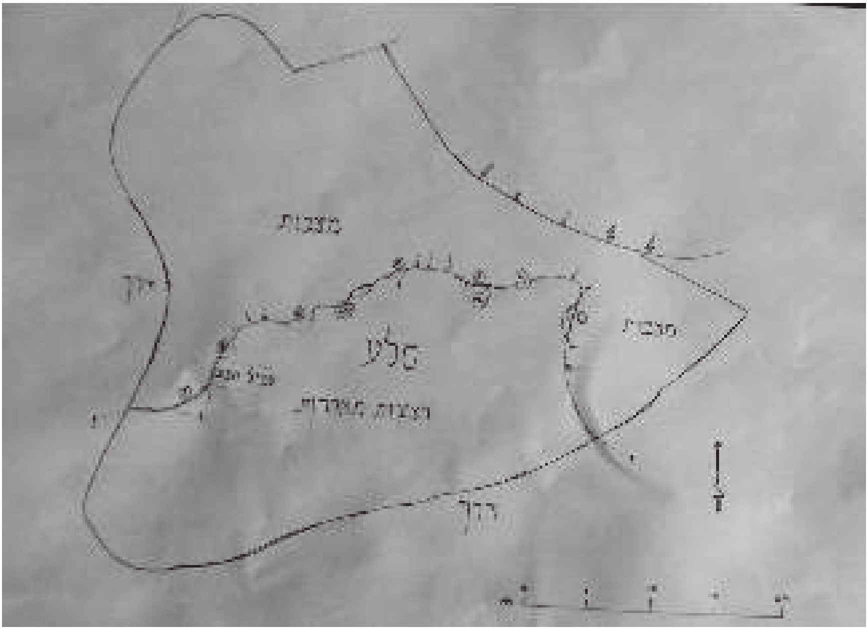

איור 7: חברון, החלקה הקראית, החללים במצוק
(תרשים: אריה קליין, ובאדיבותו)

החציבות הניכרות היום, ממזרח למערב:
כוך פתוח - אפשר שהוא חלל קבורה שגגו הוסר.
כוך פתוח - אפשר שהוא חלל קבורה שגגו הוסר.
חלל מלא עפר ובראשו פיר בקוטר 0.5 מ' (בצדו המערבי של החלל סידוק קרסטי, והפיר גם הוא מכיל סימנים קרסטיים).
פתח חלל מלא עפר במפלס תחתון.
כוך חצוב במפלס עליון. כוך זה הוא החלל החצוב המובהק ביותר: גודלו 1.60X1.30 מ' וגובהו 1.30 מ'. צדה הצפוני של תקרתו הוסר בחציבה מאוחרת.

כוך פתוח במפלס נמוך- אפשר שהוא חלל קבורה שגגו הוסר.

כוך פתוח - אפשר שהוא חלל קבורה שגגו הוסר.

פתח חלל מלא עפר במפלס תחתון.

מכיון שיובל פלג ואירינה אייזנשטט חשפו מערת קבר מתקופת הברונזה המאוחרת במרחק של פחות מ-30 מ׳ מאזור זה, אפשר שגם שמונת החללים האלו היו חלק מהנקרופוליס של העיר בתקופת הברונזה המאוחרת.[57]

המדרגה התחתונה, הצפונית, היא המדרגה שבה נמצאים קברי הקראים כיום. מדרגה זו מחולקת לשלוש חלקות משנה: החלקה המזרחית היא ככל הנראה החלקה הקדומה בכל בית העלמין. בסיור במקום ספרנו קרוב ל-30 מצבות, כולן עשויות סלע טבעי מסותת במקצת, המסודרות בארבע שורות לא ישרות. אורך כל מצבה כ-1 מ׳ ואף פחות. החלקה האמצעית נמצאת בחלקה הצר ביותר של המדרגה התחתונה. בסיור במקום ספרנו כעשר מצבות בלבד, כולן עשויות סלע טבעי מסותת במקצת. ניכר שהיו בעבר שורות מצבות, אולם היום קשה לזהותן. אורך כל מצבה כ-1 מ׳ ואף יותר. החלקה המערבית היא כנראה החלקה המאוחרת בכל החלקה הקראית. בסיור במקום ספרנו קרוב ל-90 מצבות, כולן עשויות סלע טבעי מסותת במקצת, מסודרות בתשע שורות לערך. אורך כל מצבה כ-1 מ׳ ואף 1.5 מ׳ ויותר.

בסך הכול התגלו כ-130 מצבות, כולן במדרגה הצפונית, התחתונה. כיוונן של כל המצבות הוא מדרום-מזרח לצפון-מערב, לכיוון ירושלים. נראה כי לאורך כל ימי קיומו של בית העלמין הקראי נהגו להניח מצבות עשויות סלע טבעי מסותת אך מעט, שגובהן הוא כ-0.5-0.3 מ׳. שיטה זו נהגה גם בשתי החלקות הסמוכות, בבית העלמין של היהודים הרבנים - החלקה המסתערבית-ספרדית לדורותיה והחלקה האשכנזית. למרות הדמיון בין כלל המצבות בשלוש החלקות של העדות השונות, הרי שבבית העלמין הקראי אפשר להצביע על שינוי מתמשך: בתחילה - וקשה להצביע במדויק על תחילת הקבורה בבית העלמין הקראי - נהגו להקים מצבות באורך של פחות מ-1 מ׳. כך בחלקה המזרחית, הקדומה בכולן. בחלקה האמצעית, ובעיקר בזו המערבית, אורכן של המצבות אינו נופל מ-1 מ׳, ובהן יש כמה שאורכן אף גדול יותר מ-1.5 מ׳.

57 פלג ואייזנשטט, 2004; עד כאן סיכומו של אריה קליין.

איור 8: חברון, החלקה הקראית: החלקה ללא גדר, המצוק והמצבות במפלס התחתון [צילום: זאב ח' (ז'אבו) ארליך]

כאמור, בחלקה הקראית התגלו כ-130 מצבות. אם 'נשלים' את המרווחים שבין המצבות הקיימות ב'מצבות דמיוניות', נגיע לכדי 200 מצבות. כולן, שוב, רק במדרגה התחתונה.

אם הקהילה הקראית התקיימה בחברון משנת 850-750 לספה"נ, ימי ענן בן דוד, ועד 50 שנה לפני מכירת בית הכנסת או חלק הקראים בחצר היהודים בשנת 1540, כלומר עד שנת 1480 לערך, הרי שאנו מדברים על קהילה שהתקיימה לאורך זמן של כ-750-650 שנה. חשבון פשוט מעלה כי ממוצע הנפטרים היה 3.75-3.25 נפטרים בשנה; ממוצע נפטרים כזה מלמד על קהילה קטנה לכל הדעות.

בית העלמין הקראי בחברון - זיהוי הנקברים בו

על הנקברים הקראים בבית עלמין זה אנו יודעים אך מעט, ובחיפושינו העלינו כי נותרו מעט שמות של יהודים-קראים שאכן נקברו בבית עלמין זה. ברשימות 'אל-תרחים', שהן רשימות 'אשכבה' או 'אזכרת נשמות' שהיו נהוגות בקרב הקראים בקהיר ונתגלו בממצאי הגניזה,[58] ומקורן ככל הנראה מן הימים שקדמו לכיבוש ארץ ישראל בידי הצלבנים, מצאנו

58 מאן, 1935.

את שמותיהם של שני אנשים שלגביהם מצוינת ההערה: "הנטמן בחברון בארץ הקדש".

הראשון שבהם הוא "[...] חסדאל הכהן יר' א' [= ירחמו א-להים] הנטמן בחברון בארץ הקדש".[59] חסדאל זה היה בנו של "פינחס הכהן אשר היה מתמיד התפילות יר' א"'.[60] ככל הנראה היה פינחס האב "מתמיד התפילות" בבית הכנסת הקראי בקהיר. עוד ייתכן ששניהם התייחסו על משפחת סינאני (סינני) הקראית. מבניה של משפחה זו אנו מכירים בדורות האחרונים את יוסף בן אברהם סינאני,[61] ד"ר מרדכי בן אליהו סינאני,[62] אליהו בן יוסף סינאני,[63] יוסף בן אברהם סינאני,[64] וכן את אליהו סינאני ובנו אברהם סינאני, מפליטי הרובע היהודי בירושלים בתש"ח במתחם מנזר רטיסבון, בחלקה המערבי של העיר.[65] בני משפחה אחרים קבורים בבית הקברות הקראי בירושלים. ייתכן שמשפחה זו, סינאני, הייתה משפחת כוהנים.[66] עוד נאמר כי עם כל הבעייתיות בזיהוי האישים הראשונים של המשפחה או מקום מוצאה,[67] נראה כי בני משפחה זו חיו בחצי האי קרים[68] ובמצרים, ומקצתם הגיעו לירושלים.

ממצבות בתי העלמין הקראיים בחצי האי קרים לא ידוע אם היו כוהנים, אבל בזיכרונות קראי מצרים יש "אלתרחים ביתה אלסינאני [הכוהנים]". ידוע גם על בני המשפחה הזאת, הכוהנים, שנטמנו בחברון בארץ הקודש. בספר 'לבנת ספיר' מוזכרת קהילת סינאן ומקומה ברשימה בסדר זה (ההדגשה שלי): "נהונד [...] דמשק בבל מצרים סינאן פויירז סכוז (Chios) סולכאט סטמבול אדרנופוליט". רשימה זאת איננה מסייעת למקם את היישוב סינאן, אולם לפי הסופר המצרי אל-סיוטי, סנאני הוא אדם ממקום מסוים במצרים.[69] בדורות האחרונים המשפחה ידועה בקרב הקראים.

הנפטר השני שנקבר בבית העלמין הקראי בחברון הוא "נוח הנטמן בחברון בארץ הקדש יר' א"'.[70] נוח זה היה בנו של "משה יר' א"', שהיה אחיו של "יוסף הרפא (הרופא?) אשר

59 שם, עמ' 269.
60 שם.
61 אלגמיל, 1981, עמ' 338-365.
62 שם, עמ' 267-268.
63 שם, עמ' 152.
64 שם.
65 מרגלית, 1961, עמ' 149-192.
66 מאן, 1935, עמ' 267.
67 שפירא, תשס"ד, עמ' 277-290.
68 דן ד"י שפירא, מידע בעל פה.
69 מאן, 1935, עמ' 267. נויבאואר, 1864, עמ' 129.
70 שם, עמ' 282.

היה ביתו פתוח ותתם נעתה (?) (= לתורה ולמקרא ולרוחה והיה עושה כמה חסדים וכמה טובות)", נכדו של "כ[בוד] ג[דולת] ק[דושת]מ[ורנו] ור[בנו] יעקב ידרש א-להינו דמו וינקום נקמתו יר' א"'.[71] עוד ייתכן שהם התייחסו על משפחת אלכאזרוני הקראית.[72] ייתכן שאפשר לזהות קראי נוסף שנקבר בבית העלמין היהודי-קראי בחברון: "אהרן הרפא [הרופא?] הנטמן בארץ הקדש יר' א"',[73] המתייחס אף הוא למשפחה זו.

יש להניח שכל אלו היו חברי הקהילה הקראית בקהיר, אולם הם נטמנו "בחברון בארץ הקדש", ככל הנראה בעת עלייתם לירושלים על מנת לזכות בתואר 'ירושלמי', כמנהג הקראים, או בעת מסע מסחר, ביקור קרובים וכיוצא בזה. ואולם אין להוציא מכלל אפשרות ששני אלו (ואולי שלושה), בשונה משאר בני המשפחה שהתגוררו בקהיר, התגוררו בחברון, ככל הנראה עם משפחותיהם המצומצמות, ובה חיו וגם נקברו.

על שניים או שלושה קראים אלו, שעליהם מציינים המקורות במפורש כי "נטמנ(ו) בחברון בארץ הקדש", יש ככל הנראה להוסיף גם את הסופר 'ר' ישראל הדיין האסכנדרי' (מאלכסנדריה) בכר' דניאל המערבי' (ממרוקו?), שהקדיש 'ספר מצוות' בחברון בשנת 1373 לשטרות, היא שנת ד'תתכ"ג (1063 לספה"נ).

על מנת לטפל בנפטרי הקהילה ובקבורתם היה צורך כמובן ב'חברא קדישא', וככל הנראה הייתה זו יהודית-קראית. עם זאת דן ד"י שפירא סבור כי היהודים הקראים היו תלויים ב'חברא קדישא' הרבנית, כי לא עסקו בקבורה, ולכן בכל מקום שיש קראים מן הדין ישבו שם גם קברנים רבנים.

בית העלמין הקראי בחברון - מצבות ללא שם

המצבות בבית הקברות הקראי בחברון, כמו אלו שבחלקות הרבניות, הן ללא ציוני שמות הנפטרים. מאז הקבורה במערות בימי הבית הראשון והשני וימי המשנה והתלמוד, כולל מנהג 'ליקוט העצמות' אל גלוסקמאות אבן בשלהי ימי הבית השני, כמעט שלא היה נהוג לכתוב את שם הנפטר על הקבר, על המערה או על הגלוסקמה. יש כמובן יוצאים מן הכלל, הן במערות הקבורה מימי הבית הראשון (כפר השילוח בירושלים,[74] חר' אל-כום במערב

71 שם, עמ' 281-282.
72 שם, עמ' 280.
73 שם, עמ' 281.
74 אוסישקין, תשמ"ז.

הר חברון[75] ועוד), הן על סרקופגים וגלוסקמאות מימי הבית השני.[76] מספר הכתובות הללו, עם כל חשיבותן, הוא מזערי, והנוהג שרווח היה שלא לציין את שם הנפטר על מצבתו

איור 9: חברון, החלקה הקראית; המצבות במפלס התחתון ללא כל כתובת, משמאל - החלקה הספרדית; מבט מראש המצוק

[צילום: זאב ח' (ז'אבו) ארליך]

נוהג זה השתנה ככל הנראה רק לפני כ-700 שנה: המצבה המתוארכת הקדומה בבית הקברות הקראי בצ'ופוט-קלעה היא משנת 1345 לספה"נ; המצבה המתוארכת הקדומה בבית הקברות היהודי בהר הזיתים היא משנת 1637 לספה"נ. בקרב יהודי חברון הרבנים היה נהוג שלא לכתוב את שם הנפטר על המצבה עד לסוף הקהילה בתרפ"ט, והסיבות לאי-כתיבת השם היו מגוונות: ראשית, מי שצריך לדעת אכן יודע. בני משפחה, ידידים וצאצאים עד דור סביר יודעים את מקום הנפטר גם ללא ציון השם על המצבה. שנית,

75 דיוור, תשל"ב.

76 קלונר וזיסו, תשס"ג.

מקובלנו כי "גזרה על המת שישתכח מן הלב" (על פי בבלי, פסחים נד ע"ב), ועל כן המצבות הן ללא כל שם. שלישית, עוד מימרה של חז"ל, הפעם מהתלמוד הירושלמי, מקצינה את העניין אף יותר: "רבן שמעון בן גמליאל אומר: אין עושין נפשות [= מצבות] לצדיקים, דבריהם הן הן זכרונן" [שקלים ב, ח, (ז ע"א)].

כאמור, רק במאות השנים האחרונות השתנה הנוהג, והיום בכל עדות ישראל מציינים את שם הנפטר ופרטים נוספים על גבי מצבתו. כאמור, המצבות בבית הקברות הקראי בחברון, כמו אלו שבחלקות הרבניות, הן ללא ציון שמות הנפטרים.

בית העלמין הקראי בחברון - מצבות כתובות

למרות כל האמור לעיל על המצבות בבית הקברות הקראי בחברון כמו אלו שבחלקות הרבניות, מצאנו בשנים האחרונות לפחות שתי מצבות ששרדו עליהן כתובות על הנפטרים וציון שמותיהם. המצבה הראשונה, להלן מצבת 'ברוך הגוזר', היא דלה ביותר ושרדו בה שתי אותיות בלבד, אולם ניתנת בידנו האפשרות לשלים לפחות שורה אחת ממנה. המצבה האחרת, להלן מצבת 'ישראל בן מזל טוב', היא ארוכה ומפורטת.

אמנם אין בכתובות אלו כדי להציג פרטים מרובים על אודות הנפטרים וכן אין בהן תאריכי פטירה וקבורה, אולם מיקום המצבות יכול לאפשר תיארוך כללי, גם אם לא מדויק. החשיבות הנוספת של גילוי מצבות כתובות אלו היא התקווה לגילוי כתובות נוספות בעתיד, כתובות שאולי קיימות כיום אך הן מכוסות בעפר או חקוקות על גב מצבות הפוכות, או כתובות שתתגלינה בתאורה מסוימת אם רק נחפש אותן.

בית העלמין הקראי בחברון - מצבת 'ברוך הגוזר'

בחלק המערבי של המדרגה התחתונה בחלקה הקראית בבית העלמין בחברון מצאנו מצבה שעליה שרידי כתובת.[77] המצבה נמצאת בשורה השנייה מצפון, בצד המזרחי של החלקה המערבית. כמו כל המצבות גם מצבה זו שוכבת בכיוון דרום-מזרח-צפון-מערב, לכיוון ירושלים, וכמו כל המצבות אף היא עשויה אבן גיר קשה מתצורת ורדים.

77 את הכתובת גילינו בסיור שערכנו בחלקה הקראית בית העלמין בחברון ביום ה' באדר ראשון תשע"ד (5 בפברואר 2014). לאחר שגילינו את מצבת 'ישראל בן מזל טוב' בחלקה, שבנו וסרקנו את כל המצבות וגילינו כתובת זו.

איור 10: חברון, החלקה הקראית, מצבת 'ברוך הגוזר'; החלק העליון של המצבה [צילום: זאב ח' (ז'אבו) ארליך]

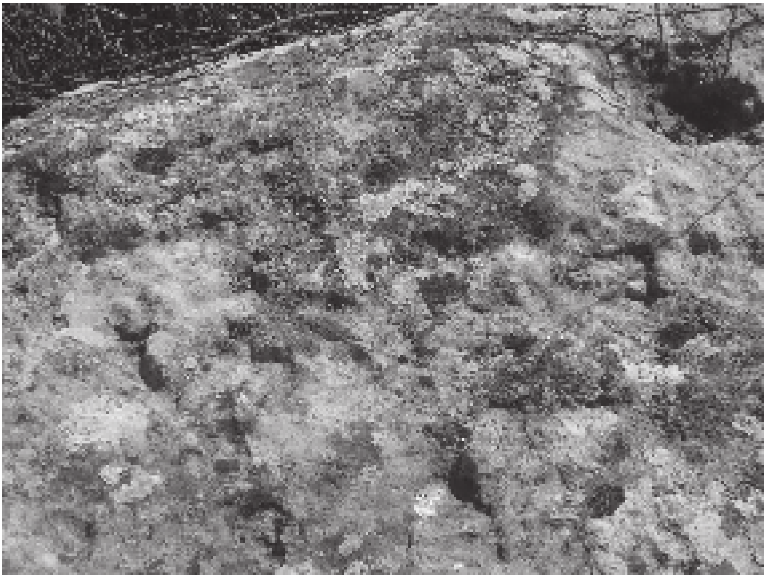

איור 11: חברון, החלקה הקראית, מצבת 'ברוך הגוזר';

האותיות בי"ת וזי"ן

[צילום: זאב ח' (ז'אבו) ארליך]

הכתובת כתובה על המצבה לכיוון ירושלים, כלומר כדי לקרוא אותה על הקוראים לעמוד כשפניהם כלפי דרום. שרידי הכתובת נמצאים בחלק הדרומי של המצבה, כלומר בשורה הראשונה של הכתובת שהייתה על כלל המצבה אך לא שרדה. היום אפשר לקרוא רק שורה אחת מתוך כמה שורות חרותות, שאיננו יכולים להעריך את מספרן. בשורה הראשונה אפשר לקרוא רק שתי אותיות: האות הראשונה, בצדה המערבי, הימני של המצבה היא האות בי"ת, ואות נוספת לקראת סוף השורה, בצד השמאלי, המזרחי של המצבה - האות זי"ן. אנו מציעים להשלים את הכתובת כך: ב[רוך הגו]ז[ר] ולקרוא את המילים ברוך הגוזר.

הצעתנו נסמכת על נוסח זה, שמצאנוהו בבית העלמין הקראי בירושלים. במדרון הצפוני של שכונת גבעת חנניה (אבו תור), המדרון היורד אל אפיק נחל קדרון, גיא בן הינום, נמצא בית הקברות הקראי בירושלים. בית קברות זה הוא למעשה החלקה השלישית לפחות של קברי הקראים בעיר. שתי החלקות הראשונות, הקדומות, היו סמוכות לבית הקברות היהודי-רבני הגדול בהר הזיתים,[78] ובדורות האחרונים נקברים נפטרי הקראים בירושלים בבית קברות זה.

בשטח בית הקברות נמצאו לפחות ארבע מערות קבורה קדומות מימי הבית השני, המשנה והתלמוד,[79] ובשטחים הפתוחים שביניהן נקברים הנפטרים הקראים. בחלק מן המצבות בבית קברות זה מופיעות בראש המצבה, כפתיח, שתי המילים: 'ברוך הגוזר'. המצבות שבהן מופיע נוסח זה הן מטווח השנים תרכ"ח (1868)-תרצ"א (1931) לערך. חריג אחד, המנסה ככל הנראה לשוות לנוסח המצבה נוסח קדום, הוא משנת תשנ"ט (1999).

במצבות קדומות יותר לשנים אלו לא מצאנו את הנוסח הזה, ובמצבות המאוחרות יותר הנוסח מקביל למצוי בין היהודים הרבנים: "ברוך דיין האמת", "מצבה/ת", "ציון", "מ"ק" וכיוצא בזה, אולם נוסח זה מצוי גם בבית העלמין הקראי בקושטא-איסטנבול ובבתי עלמין קראיים נוספים.[80]

שימוש בשורש גז"ר ובהטיותיו בהקשר זה, אם כי לא בנוסח 'ברוך הגוזר', נמצא בכמה ממצבות בתי העלמין הקראיים במזרח אירופה:

- מצבה 026 משנת 1586: "[...] על פי [הגוזר] לאנוש צבא [...]".[81]
- מצבה 041 משנת 1656-1673, של אברהם בן דניאל הזקן: "[...] ונפטר בגזרת

78 יערי, 1946, עמ' 471-472; כהן וסימון-פיקאלי, תשנ"ג, עמ' 91, 107-108.
79 קלונר וזיסו, תשס"ג.
80 מידע בעל פה מדן ד"י שפירא; שפירא, תשס"ח.
81 שפירא ולסקר, תשע"א, עמ' 50.

אלהא רבא [...]".[82]

- מצבה 002 משנת 1621, של משה לוי: "[...] ונפטר בגזרת מלך שמיא [...]".[83]
- מצבה 021, ככל הנראה משנת 1626, של יוסף בן אברהם: "[...] נפטר על פי הגוזר [...]".[84]

כמעט למותר לציין כי נוסח 'ברוך הגוזר' איננו מצוי בראש מצבות היהודים הרבנים לדורותיהם. אם נוסח זה מצוי במצבות יהודיות-רבניות, הרי הוא ברצף הטקסט ולא בראשו, ואפשר להצביע על נוסח זה כמאפיין מצבות קבורה קראיות. צר לנו שלא הצלחנו לגלות את המשכה של הכתובת, שהיה יכול לספק לנו פרטים על הקבור תחתיה.

בית העלמין הקראי בחברון - מצבת 'ישראל בן מזל טוב'

בחלק המערבי של המדרגה התחתונה בחלקה הקראית בבית העלמין בחברון מצאנו מצבה שעליה שרידי כתובת.[85] המצבה נמצאת באחת השורות באמצע החלקה, והמצבה עצמה נמצאת באמצע השורה.[86] כמו כל המצבות האחרונות גם מצבה זו שוכבת בכיוון דרום-מזרח-צפון-מערב, לכיוון ירושלים, וכמו כל המצבות אף היא מאבן גיר קשה מתצורת ורדים. הכתובת כתובה על המצבה לכיוון ירושלים, כלומר כדי לקרוא אותה על הקוראים לעמוד כשפניהם כלפי דרום. הכתובת כתובה על רוב שטח המצבה וכוללת שבע שורות: נראה שבכוונת מכוון השאירו שורה ריקה בתחילת המצבה, בחלקה העליון, הדרומי. בחלקה התחתון, הצפוני, נראה שאפשר להשלים שתיים או שלוש שורות לקראת סיומה.

מידות המצבה:

אורך: 1.41 מ'

רוחב עליון: 0.66 מ'

רוחב תחתון: 0.54 מ'

מראש המצבה עד שורה 1: 0.53 מ'

משורה 6 עד קצה המצבה: 0.32 מ'

במצבה חקוקות שבע שורות, האותיות די ברורות וגודלן הממוצע 0.05X0.05 מ'.

---

82 שם, עמ' 76.

83 שם, עמ' 80.

84 שם.

85 את הכתובת גילינו בסיור שערכנו בחלקה הקראית בבית העלמין בחברון ביום ה' באדר ראשון תשע"ד (5 בפברואר 2014). זו הכתובת הראשונה שגילינו במקום. בסקירת המצבות שערכנו לאחר מכן גילינו את הכתובת המוצגת כאן בפעם הראשונה, מצבת 'ברוך הגוזר'.

86 למיקום המצבה במרחב החלקה הקראית יש משמעות רבה לעניין תיארוכה, ראו להלן.

איור 12:
חברון, החלקה הקראית; מצבת ישראל בן מזל טוב ברגעי הגילוי [צילום: זאב ח' (ז'אבו) ארליך]

איור 13:
חברון, החלקה הקראית; מצבת ישראל בן מזל טוב במרחב החלקה [צילום: זאב ח' (ז'אבו) ארליך]

ואולם מרחק הזמן ופגעי מזג האוויר (רוח, גשם, שלג, שמש, קור וחום) ולא פגעי אדם(!) מחד גיסא, וריבוי סדקים וחריצים באבן שאינם הכתובת מאידך גיסא - מקשים על פענוח ברור. ואף על פי כן נראה לנו להציע את הקריאה הזו:

1. זאת'
2. מצבה/ת
3. [- -] [י]שראל
4. [ב']ר החכ[י']ם
5. [ה]צנוע [- - -] [ב'ן']
6. מזל טוב
7. מכ
8. [- - -]
9. [- - -]

אנו מציעים להשלים את הכתובת כך:

1. זאת
2. מצבת
3. [- -] ישראל
4. בר החכים
5. הצנוע [- - -] בן
6. מזל טוב
7. מכ
8. [- - -]
9. [- - -]

איור 14: חברון, החלקה הקראית: מצבת ישראל בן מזל טוב, מבט צד

[צילום: זאב ח' (ז'אבו) ארליך]

שורה 1: זאת'

הגם ששלוש אותיות אלו נחקקו בחקיקה רדודה, הרי שאת שתי האותיות הראשונות, זי"ן ואל"ף, אפשר לראות בבירור. האות האחרונה, תי"ו, כמעט שאיננה נראית.

שורה 2: מצבה/ת

האות הראשונה, מ"ם, נראית בבירור, אם כי החלק השמאלי נחקק עד בסיס האות, אך במרחק מה ממנה, ולכן האות נראית רחבה מעט ממידותיה. היא דומה בשינויים קלים לאות מ"ם בשורה 6 ולאות מ"ם בשורה 7.

האות השנייה, צד"י, חקוקה בבהירות רבה. מאפיינות אותה, כמו את האות שי"ן בשורה 3 ואת האותיות צד"י ועי"ן בשורה 5, הנקודות מעל לקווים העולים מעלה.

האות השלישית, בי"ת, כתובה ב'כתב פירוש', 'כתב רש"י', כמקובל לעתים בכתבי יד.

האות הרביעית, האחרונה בשורה, ברורה מאוד בחלקה הימני אך איננה ברורה בחלקה השמאלי. ייתכן שלפנינו האות ה"א או אולי האות תי"ו. שתי אפשרויות אלו יוצרות את שתי המילים 'מצבה' או 'מצבת'.

איור 15: חברון, החלקה הקראית; מצבת ישראל בן מזל טוב, השורות הראשונות (יום) [צילום: זאב ח' (ז'אבו) ארליך]

שורה 3: [י]שראל

לפני האות הברורה הראשונה ייתכן שהיו חקוקות אותיות נוספות, אולם לא הצלחנו לפענח אותן, וייתכן שאלו חריצים טבעיים באבן המצבה.

האות הראשונה היא ככל הנראה האות יו"ד. לפני האות שי"ן, האות השנייה בשורה, נראות חריתות מספר שקשה לדעת האם הן מציינות רק את האות יו"ד או אותיות נוספות.

האות השנייה, שי"ן, חקוקה בבהירות. מאפיינות אותה, כמו את האות צד"י בשורה 2 וכמו את האותיות צד"י ועי"ן בשורה 5, שלוש הנקודות על שלושת הקווים העולם מעלה, וכן הבסיס הישר, הרחב, של האות, כמסורת הכתיבה במזרח.

האות השנייה, רי"ש, חקוקה בבהירות.

האות השלישית והרביעית, האחרונות בשורה, הן שילוב של שתי אותיות - אל"ף ולמ"ד. הקו האנכי השמאלי של האות אל"ף הוא גם הקו היורד של האות למ"ד. תופעה זו, של תשליב האותיות אל"ף ולמ"ד, נראית בכתבי היד של ימי הביניים ואף חדרה לדפוסים ראשונים, ובסידורים מסוימים היא קיימת עד היום. תחילתה ככל הנראה ברצון המעתיקים להימנע מכתיבת שתי אותיות אלו בצורתן הרגילה, שהרי הן שמו של האל. כוונה נוספת היא ככל הנראה לחסוך בעבודה, בזמן או במקום, והמשכה בחיקוי המצב שלפני המעתיקים או המדפיסים.

איור 16: חברון, החלקה הקראית; מצבת ישראל בן מזל טוב, השורות הראשונות (לילה)

[צילום: זאב ח' (ז'אבו) ארליך]

שורה 4: [ב' - -] החכם / החכי'ם

האות הראשונה והשנייה אינן ברורות כל צורכן; ייתכן שאין אלו אלא חריצים טבעיים באבן ואולי יש כאן שרידי אותיות שפענוחן לא עלה בידינו.

האות השלישית, ה"א, חקוקה בבהירות. הרגל שלה מעט רחוקה מגוף האות, אך אין ספק בקריאתה.

האות הרביעית, חי"ת, חקוקה בבהירות, אם כי היא רחבה מעט.

האות החמישית, כ"ף, חקוקה בבהירות.

האות האחרונה בשורה, האות השישית ואולי השביעית, מ"ם סופית, חקוקה בבהירות חלקית. הקו הימני והקו התחתון חקוקים בבהירות, אולם שני הקווים הנוספים - אינם. עם זאת השלמת הקווים החסרים מתאפשרת אם נניח שבעת החקיקה ניתז מילוי הסלע הפנימי של המ"ם הסופית: נותרו ממנו הקו הימני והתחתון, והשאר - כמתאר בלבד. גם לפי החקיקה וגם לפי השלמת המילה אין סיבה לקרא אותה סמ"ך אלא מ"ם סופית.

שתי האותיות האחרונות, הכ"ף והמ"ם הסופית, מרוחקות מעט זו מזו וביניהן לא נראית כל אות חקוקה, אולם ייתכן שהייתה חקוקה ביניהן האות יו"ד, שבשל גודלה הקטן נשחקה ונעלמה עם השנים. אם אכן הייתה יו"ד כזו בין הכ"ף למ"ם הסופית, הרי שהמילה איננה 'החכם' אלא 'החכים'.

אם אכן שם הנפטר הוא 'ישראל', הרי שלתואר או לכינוי 'חכים' יש מובן כפול: ראשית, חכים במובן חכם, והוא תואר של כבוד המצוי הרבה. המובן האחר, העמוק יותר, מפנה את תשומת הלב דווקא לתרגום אונקלוס למילים 'בן זקונים' בפסוק "וישראל אהב את יוסף מכל בניו כי בן זקונים הוא לו" (בראשית לז, ג) - "בר חכים". ייתכן ששם הנפטר '[י]שראל', הוא שהביא את חוקקי המצבה להצמיד לו תואר זה, מדעת או שלא מדעת. לענייננו, אין זה חשוב כלל אם הקראים מקבלים את תרגום אונקלוס או לא; בקהילה קטנה כמו זו הקראית, הקרובה לקהילה היהודית-רבנית, תיתכן שאילת תרגומים, מונחים ומנהגים וכיוצא בזה.

אפשרות אחרת להבנת המילה 'חכים' היא על פי מובנה בערבית, שפת הסביבה הקרובה. 'חכים' בערבית, וכן 'חאכם', וכן בעברית שבפי יהודי המזרח, פירושה 'רופא'. ההיה הנפטר שלפנינו רופא? מן המצבה אין באפשרותנו לדעת, אולם על קבורתו של רופא קראי בחברון אנו שומעים מתפילת 'אל-תרחים' שפרסם מאן: "נוח הנטמן בחברון בארץ הקדש

יר' א"'.[87] הוא היה בנו של "משה יר' א"', שהיה אחיו של "יוסף הרפא (הרופא?)". אל נכון היה הדוד רופא בקהיר ולא בחברון. האומנם יש קשר כלשהו בין השניים?

עוד רופא שהזכרנו הוא "אהרן הרפא [הרופא?] הנטמן בארץ הקדש יר' א"',[88] וכפי שהראינו לעיל, ייתכן שאף הוא נקבר בחברון.

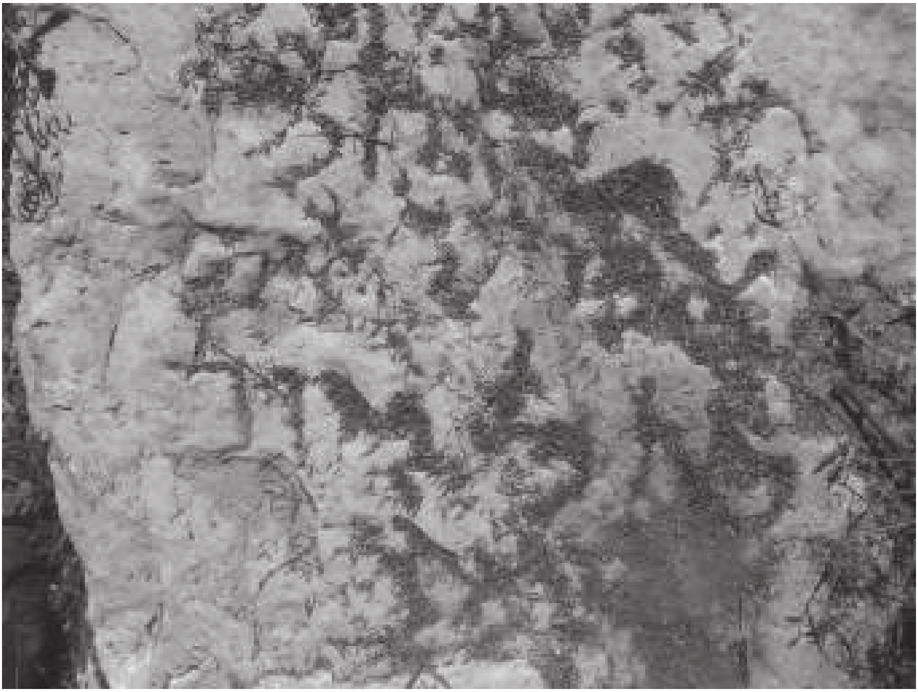

איור 17: חברון, החלקה הקראית;
מצבת ישראל בן מזל טוב, השורות האחרונות (יום)
[צילום: זאב ח' (ז'אבו) ארליך]

שורה 5: [ה]צנוע [???]

ייתכן שלפני האות הראשונה הייתה האות ה"א, או שאלו רק חריתות טבעיות. האות הראשונה, צד"י, חקוקה בבהירות. מאפיינות אותה, כמו את האות צד"י בשורה 2, את האות שי"ן בשורה 3 ואת האות עי"ן בשורה זו (5), הנקודות בראשי הקווים העולים מעלה. אמנם

87 מאן, 1935, עמ' 282.
88 שם, עמ' 281.

צד"י זו שונה במקצת מן האות צד"י שבשורה 2, אולם אין סיבה לקריאה אחרת ואת האי-דמיון יש לתלות בחקיקה באבן בשונה מכתיבה על נייר ועל קלף.

האות השנייה, נו"ן, חקוקה בבהירות רבה.

האות השלישית, וי"ו, חקוקה בבהירות.

האות הרביעית, עי"ן, חקוקה בבהירת. מאפיינות אותה, כמו את האות צד"י בשורה 2, את האות שי"ן בשורה 3 ואת האות צד"י בשורה זו (5), הנקודות בראשי הקווים העולים מעלה.

ככל הנראה יש עוד שתיים או שלוש אותיות בהמשך השורה שלא עלה בידינו לפענח.

שורה 6: מזל טוב

האות הראשונה, מ"ם רגילה, חקוקה בבהירות, ודומה בשינויים קלים בלבד לאות מ"ם בשורה 2 ולאות מ"ם בשורה 7.

האות השנייה, זי"ן, חקוקה בבהירות. כפי שקורה במקרים רבים, בחקיקות באבן ואף בכתבי יד, יש דמיון רב בין האותיות וי"ו וזי"ן. גם כאן דומה אות זו לאות וי"ו שבשורה 5. לפי הקריאה יש להבין אות זו כאן כאות זי"ן, ואילו בשורה 5 יש להבינה כאות וי"ו.

האות השלישית, למ"ד ברורה ביותר.

האות הרביעית היא האות טי"ת. קו הבסיס נחקק חלש למדי, ולכן איננו בולט. שני הקווים האנכיים נחקקו עמוק באבן והם ברורים מאוד. ייתכן שהקו הנטוי של האות טי"ת איננו יוצא מן הקו האנכי הימני כמקובל בימינו, אלא דווקא מן הקו האנכי השמאלי. חקיקתו נראית בבהירות. תופעה זו של הקו הנטוי היוצא מן הקו האנכי דווקא מוכרת בכתבי יד של ימי הביניים.

האות החמישית היא וי"ו. הן הקו האנכי והן ה'גג' של האות חקוקים בבהירות.

האות השישית והאחרונה בשורה היא האות בי"ת. גג האות וכן הקו האנכי וקו הבסיס חקוקים בבהירות. זנב האות, הקו התחתון הממשיך אל מימין לעיקר האות, נראה אמנם בבירור, אך הוא נכנס לסדק באבן, ואולי חקיקתו היא שגרמה לסדק באבן.

את השורה כולה יש לקרוא 'מזל טוב'. ככל הנראה יש להבין את השם כשמה של אמו של הנפטר, אם כי בכלל המצבות הקראיות הקדומות(!) המוכרות לנו נזכר תמיד שם הנפטר בציון שם אביו ולא שם אמו. אמנם הנהוג בקרב יהודי המזרח וכן בקרב הקראים היום,

לפחות בבתי העלמין הקראיים בירושלים וברמלה, הוא לציין את שם הנפטר ואת שם האם ללא ציון שם האב כלל.

על פירושו של השם והשימוש בו יש להניח כי מדובר בדוברי לאדינו, והשם השימושי היה 'פורטונה', 'פורטונטה' או 'בונה פורטונטה' במובן 'בעלת המזל הטוב' או 'בת מזל'. שם זה מוכר בקרב יהודי המזרח ואיטליה מימי הביניים ועד היום, ואולי יש כאן רמז להיות הנפטר ואמו מצאצאי מגורשי ספרד, שכן שם זה היה נפוץ שם אף יותר.

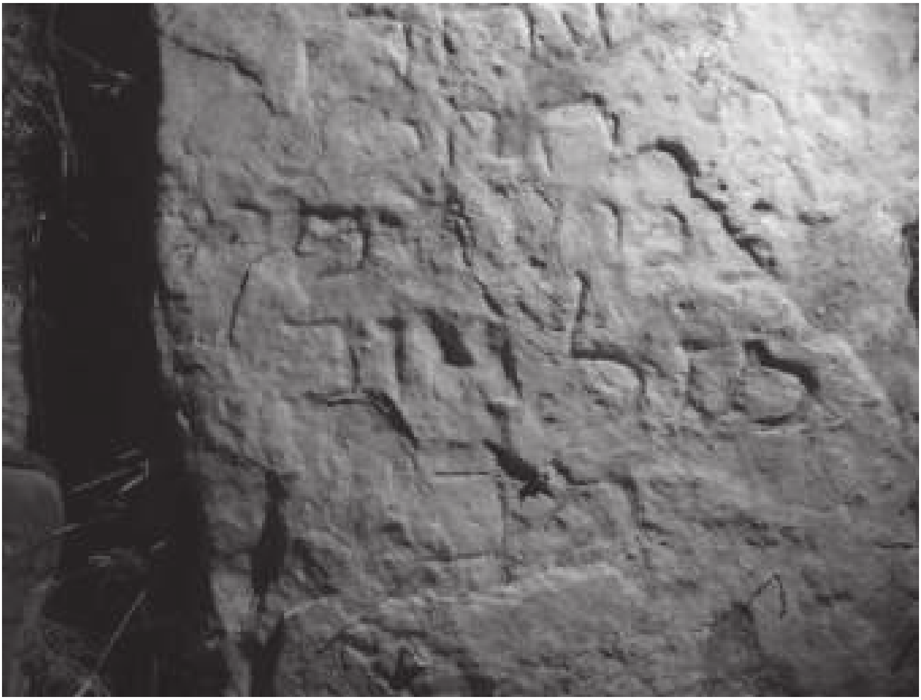

איור 18: חברון, החלקה הקראית; מצבת ישראל בן מזל טוב, השורות האחרונות (לילה) [צילום: זאב ח' (ז'אבו) ארליך]

שורה 7: מכ

האות הראשונה, מ"ם רגילה, חקוקה בבהירות ודומה בשינויים קלים בלבד לאות מ"ם בשורה 2 ולאות מ"ם בשורה 6.

האות השנייה, האחרונה בשורה, היא האות כ"ף.

את שתי האותיות האלה יש לקרוא כראשי התיבות של המילים 'מנוחתו כבוד'. סיומת זו באה לציין את התפילה למנוחת הגוף ואתו הנפש בכבוד ובשקט בקבר. הנוסח נסמך על הכתוב בישעיהו יא, י: "וְהָיָה בַּיּוֹם הַהוּא שֹׁרֶשׁ יִשַׁי אֲשֶׁר עֹמֵד לְנֵס עַמִּים אֵלָיו גּוֹיִם יִדְרֹשׁוּ, וְהָיְתָה מְנֻחָתוֹ כָּבוֹד", וכמוהו מצוי גם במצבות אחרות בבתי עלמין קראיים ורבניים במזרח, וראו לעיל בדבריו של ישראל הדיין האסכנדרי בכר' דניאל המערבי, שחי בעיר חברון ופעל בה, וככל הנראה גם נקבר בחלקה זו בחברון.

לסיכום, לראשונה התגלתה כתובת מצבה בבית העלמין הקראי בחברון, ותגלית זו פותחת פתח ותקווה לגילוי כתובות נוספות. בכתובת צוין שם הנפטר, ישראל, הוצמדו לו תארים וצוין גם שם אמו, אם אכן 'מזל טוב' מציין את שם האם ואיננו בקשה, תפילה או ייחול.

יש בכתב שילוב של אותיות בכתב דפוס עברי רגיל ובכתב פירוש, שילוב המרמז על שכיחותם של שני סוגי כתב אלו בקרב אנשי הקהילה הקראית בחברון.

על המצבה עצמה לא מצאנו תאריך, אולם נראה לנו להציע תחום זמן שאפשר למקם בו את הנפטר ואת המצבה. המצבה איננה בשורה התחתונה, האחרונה של החלקה, והיא גם לא נמצאת בקצה אחת השורות. מסיבות אלו קשה לטעון כי מדובר במצבה שהונחה בשלבים האחרונים של השימוש בבית העלמין, ואין זו מצבה משנותיה האחרונות של החלקה. המצבה נמצאת בלב לבו של בית העלמין, במרכז החלקה הקראית. לכן נראה לנו לקבוע את זמנה למאה שנים לפחות לפני סוף השימוש במקום.

אם קבעתי את סוף הקהילה הקראית בחברון לשנים שסביב שנת ה'ר"מ (1480), נראה שלא אחטא לאמת אם אציע שזמנה של מצבה זו הוא סביב שנת ה'ק"מ (1380), וכבר ציינתי קודם כי ייתכן שזמנה עוד קדום יותר.

סיכום

בסקירה זו ריכזתי את כל החומר המוכר לנו על אודות קהילת היהודים הקראים בחברון. העליתי כי קרוב לוודאי שהייתה קהילה זו גדולה וחזקה מן הקהילה היהודית הרבנית המסתערבית הספרדית שירשה אותה. תחילתה של קהילת היהודים הקראים בחברון אולי כבר בתקופה הראשונה של ימי הקראות, אם לא מימי הנשיא ענן בן דוד הרי שמן השנים שמעט אחריו. לקהילה זו היו כמה וכמה מוסדות, והבולטים שבהם, על כל פנים אלו ששרדו עליהם מגוון עדויות, הם בית כנסת, חלק מחצר היהודים ובית העלמין. את סופה

של הקהילה הקראית בחברון קבעתי לשנים שלפני 1480 (כ-50 שנה לפני שהם מכרו את בית הכנסת ואת חלקם בחצר היהודים למנהיג הקהילה היהודית-רבנית, הרב מלכיאל אשכנזי, בשנת 1540). את קבורת הנפטר 'ישראל בן מזל טוב', שעל המצבה שלו גילינו את הכתובת, קבעתי למאה שנים לפני כן לפחות, אל השנים שלפני שנת 1380 לערך.

במסגרת זמן זו של כ-700 שנה הצלחנו לאתר אך מעט דמויות שקיימות לגביהן עדויות מוצקות (לא ספרתי כאן את שני הסופרים הקראים הידועים לנו בשמם, אך העדויות על פעילותם בחברון הוכחו כמזויפות): דיין אחד, שניים-שלושה נפטרים, אולי רופא אחד. כנראה היו בקהילה 'אנשי צורה' נוספים, אלא שלא הגיעו לידינו עדויות על כך.

אחת התגליות המרתקות במחקר בית העלמין הקראי הייתה גילוין של שתי כתובות על שתי מצבות. באחת שרדו שתי אותיות בלבד, אך יש בהן כדי להוסיף הוכחה לצדק שבכינויה של חלקת קברים זו 'החלקה הקראית'. הכתובת האחרת כוללת כמה וכמה פרטים על הנפטר. אמנם אין בפרטים אלו כדי להוסיף לנו הרבה על אודותיו, אולם יש בתגלית זו פתח ותקווה לגילוין של כתובות מצבה נוספות בבית עלמין זה, שעד כה לא היה ידוע על כל כתובת מצבה בו.

כתובות המצבה שגילינו אנו וציון 'רחוב הקראים' בתרשים מלפני כ-80 שנה, שרק לאחרונה הושם לב אליו, יש בהם כדי לצפות שבעתיד צפויים גילויים נוספים ותובנות חדשות. יש לקוות שגילויים ותובנות אלו יוסיפו לידע על אודות הקהילה היהודית בחברון על כל חלקיה ועל הידע על אודות הקהילות הקראיות בארץ ומחוצה לה.

תודות

ברצוני להודות לה"ה האלה:

למפקדי צה"ל ולחייליו בעת עריכת המחקר, ובראשם למפקדי פיקוד המרכז, למפקדי אוגדת יהודה ושומרון, למפקדי חטיבת יהודה ולמפקדי גדוד העיר;

לפרופ' דן ד"י שפירא מהמחלקה ללימודי המזרח התיכון באוניברסיטת בר-אילן על שיחה, עזרה ושיתוף פעולה בעניין הקראים;

למר אריה קליין, תושב היישוב היהודי בחברון, על שיחות מרתקות בהיסטוריה הכללית, היהודית והקראית של חברון - חלק מתובנות השיחות ההן משוקע בדברים שלפנינו - וכן על בדיקת מצוק הסלע בחלקה הקראית והחללים הקדומים שבו.

עם זאת, כל הכתוב כאן הוא באחריותי בלבד.

רשימת קיצורים ומקורות

אבישר, תש"ל — ע' אבישר (עורך), **ספר חברון**, ירושלים תש"ל.

אוסישקין, תשמ"ז — ד' אוסישקין, 'הכתובות', **כפר-השילוח - עיר-הקברים מתקופת המלוכה**, ירושלים תשמ"ז, עמ' 216-226.

אזולאי, תרל"ו — חי"ד אזולאי, '[מד] מה' מלכיאל אשכנזי', **שם הגדולים**, ווארשא תרל"ו.

אלגמיל, 1979 — י' אלגמיל, תולדות **היהדות הקראית - קורות חיי הקהילה הקראית בגלות ובארץ-ישראל** א, רמלה 1979.

אלגמיל, 1981 — י' אלגמיל, תולדות היהדות הקראית - קורות חיי הקהילה הקראית בגלות ובארץ-ישראל ב, רמלה 1981.

ארנון, תשע"ד — נ' ארנון, 'בית העלמין העתיק בחברון', בתוך: י' אלמכיאס ומ' פרג'ון (עורכים), **כנס מחקרי חברון ויהודה ג**, קרית ארבע-חברון תשע"ד, עמ' 19-57.

בשן, תשל"ד — א' בשן, 'שמות ערי ארץ-ישראל ככינויים לערים בחו"ל בספרות השו"ת של התקופה העות'מאנית', **בר-אילן** יב (תשל"ד), עמ' 137-165 (= **מחקרי אליעזר**, לוד תשמ"ז, עמ' 3-31).

גוטלובר, תרכ"ד — א"ב כהן, המכונה א"ב גאטטלאבער, בקרת לתולדות הקראים, ווילנא תרכ"ד, עמ' 188-198.

גורלאנד, תרכ"ו — ח"י גורלאנד, 'ספר המסעות של כ"ר בנימין ירושלמי ב"ר אליהו', בתוך: גנזי ישראל בס"ט **פיטורבורג**, חוברת א, ליק תרכ"ו, עמ' 44-54.

דיוור, תשל"ב — ו"נ דיוור, 'כתובות ממערות קבורה ישראליות בהר חברון', **קדמוניות** 15 (תשל"ב), עמ' 90-92.

הורוביץ, תרפ"ג — י"ז אי"ש הורוביץ, 'חברון', **ארץ ישראל ושכנותיה**, וינה תרפ"ג.

הרכבי, 1877 — A. Harkavy, Altjudische Denkmaler aus der Krim, Weisbaden 1887 (1969), pp. 244-245.

הרכבי ושטארק, 1875 — A. Harkavy & H. L. Strack, Catalog der Hebraischen Bibelhandschriften, Der Kaiserlichen Offentlichen Bibliothek in St. Petersburg, Petersburg-Leipzig 1875, pp. 79-81.

וסילייבה, 2003 — O. V. Vasil'eva, '"Odesskoe Sobranie" Avraama Firkoviča', Vostočnyj Sbornik 6 (2003), pp. 12-35.

חבר, תשל"ט	ז' חבר, 'שיקום בית העלמין', בתוך: ח' ברנס וע' ארליך (עורכות), **לקט מאמרים עדויות ותמונות במלאת 50 שנה למאורעות תרפ"ט בחברון**, קרית ארבע תשל"ט, עמ' 117.
יערי, 1946	א' יערי, מסעות ארץ-ישראל של עולים יהודים מימי הביניים ועד ראשית ימי שיבת ציון, תל אביב 1946.
יערי, 1971	א' יערי, אגרות ארץ ישראל, רמת גן 1971.
יערי, 1976	א' יערי, מסעות ארץ ישראל, רמת גן 1976.
כהן וסימון-פיקאלי, תשנ"ג	א' כהן וא' סימון-פיקאלי, יהודים בבית המשפט המוסלמי, חברה, כלכלה וארגון קהילתי **בירושלים העות'מאנית, המאה השש-עשרה**, ירושלים תשנ"ג.
לבדב, 1987	V. V. Lebedev, 'K istočnikovedčeskoj ocenke nekotoryx rukopisej sobranija A.S. Firkoviča', Palestinskij Sbornik, 29 [9] (1987), pp. 57-63.
מאן, 1935	J. Mann, Texts and Studies in Jewish History and Literature, Philadelphia 1935, pp. 257-283.
מרגלית, 1961	ד' מרגלית, 'שושנה ברזני: דרמה במנזר', **הסדיסט - סיפורי-חיים מאחורי משפטים דרמטיים**, תל אביב 1961, עמ' 149-192.
נויבאואר, 1864	A. D. Neubauer, 'Die Firkowitz'sche Sammlung', Mélanges asiatiques tirés du Bulletin de l'Académie Impériale des Sciences de St.-Pétersbourg, St.-Pétersbourg: Académie Impériale des Sciences (1864), pp. 119-164.
פוזננסקי, תרע"ד	ש"א פוזננסקי, 'ראשית התישבות הקראים בירושלים', בתוך: א"מ לונץ (עורך), **ירושלים**, כרך עשירי, ירושלים תרע"ד, עמ' 83-116.
פירקוביץ, תרל"א	א' פירקוביץ (פירקוויץ), **בני רשף**, וויען תרל"א, עמ' 4.
פירקוביץ, תרל"ב	א' פירקוביץ (פירקאוויץ), **אבני זכרון**, ווילנא תרל"ב, עמ' 2-3.
פירקוביץ, 1986	A. S. Firkovič, Palomničestvo, Perevod B.Ja. Kokenaja, podgotovka k publikacii i kommentarij M. Éjzeri, Leningradskij Jevrejskij Al´manax (LEA) II, Leningrad 1986.

פלג ואייזנשטט, 2004	Y. Peleg & I. Eisenstadt, 'A Late Bronze Tomb at Hebron (Tell Rumeideh)', in: H. Hizmi (ed.), Burial Caves and Sites in Judea and Samaria From the Bronze and Iron Ages, JSP 4, Jerusalem 2004, pp. 231-259.
קלונר וזיסו, תשס"ג	ע' קלונר וב' זיסו, **עיר הקברים של ירושלים בימי הבית השני**, ירושלים תשס"ג.
קליין, תשס"ח	א' קליין, **חצרות בעיר האבות - ראשית היציאה מחוץ לרובע היהודי בחברון**, חברון תשס"ח.
שוורץ, תר"ס	י' שווארץ, **תבואות הארץ**, ירושלים תר"ס, מהד' לונץ, עמ' תעג.
שור, 1986	נ' שור, 'יחס מיוחד מצד השלטון התורכי לישוב היהודי במאה הט"ז, **ישראל - עם וארץ** ב-ג (1986), עמ' 20-21.
שור, 1990	נ' שור, 'תולדות הקהילה היהודית בחברון ממסעי הצלב ועד למאורעות תרפ"ט', **ירושלים וארץ-ישראל - מאמרים ומחקרים בידיעת הארץ, אריאל** (68-70), עמ' 99-145.
שור, תשס"ג	נ' שור, **תולדות הקראים**, ירושלים תשס"ג.
שיב, 1949	K. Schib, 'Hans Stockars Jerusalemfahrt 1519', Quellen zur Schweiser Geschichte, Basel 1949, pp. 14.
שפירא, תשס"ד	דד"י שפירא, 'האמנם קברי אבות? נתונים היסטוריים ועיבודם בכתובות המצבות של אברהם פירקוביץ', **פעמים** 98-99 (תשס"ד), עמ' 261-317.
שפירא, תשס"ח	דד"י שפירא (עורך), **מצבות בית העלמין של היהודים הקראים בצ'ופוט-קלעה, קרים, דו"ח משלחת אפיגרפית של מכון בן-צבי - קובץ מחקרים**, ירושלים תשס"ח.
שפירא ולסקר, תשע"א	דד"י שפירא וד"י לסקר (עורכים), **קראי מזרח אירופה בדורות האחרונים**, ירושלים תשע"א.